روايات مصرية

# أرزاق

٤



د. نبيل فاروق

# إهداء

إلى الأب الروحى الحنـون ..

إلى العبقـرى الـذى أديـن له بالكثيـر ..

إلى أسـتاذى الراحـل ،
الأستاذ ( حمدى مصطفى ) .

**د . نبيل فاروق**






رواية اجتماعية طويلة

من قلب الليل يأتى النهار ..

ومن قلب الظلم تأتى الرحمة ..
ومن المحال أن نأمل دوام الحال ..

د. نبيل فاروق

# 1 ـ الـــوداع ..

« الوداع يا ( جمال ) ، يا حبيب الملايين ... الوداع » ..

هكذا بدأت تلك الأغنية التلقائية ، التى رددتها الملايين ، فى ذلك اليوم ، الذى لم تشهد ( مصر ) مثيلاً له ، فى تاريخها كله ...

يوم جنازة الزعيم ...

جنازة ( جمال عبد الناصر ) ...

خبر الوفاة المفاجئة ، الذى أعلنه ( أنور السادات ) ، وهو يطل على الشاشات فى هيئة مزرية ، كان صدمة عنيفة ، ليس للمصريين وحدهم ، ولكن لكل دول الأرض تقريبًا ...

كان ( جمال ) قد انتهى من توديع آخر الملوك العرب ، بعد مؤتمر قمة طارئ ؛ لإيقاف نزيف الدم الفلسطينى فى ( الأردن ) ، عندما شعر بآلام فى صدره ...

وما هى إلا ساعات ، حتى كان زعيم الزعماء ، الذى هزّ أركان العالم بخطبه ومواقفه ، قد انضم إلى الطابور ، الذى ينضم إليه حتمًا كل بشرى فى النهاية ...

طابور الموت ...

وغرقت ( مصر ) فى بحر من الدموع ...

الصرخات الملتاعة بلغت عنان السماء ...

أو تجاوزته ...



ثم توالت ردود الأفعال ...

كل من اتفق ، أو حتى اختلف مع ( ناصر ) نعاه فى حرارة مخلصة ...

حتى ( إسرائيل ) نفسها ...

الرؤساء والملوك توافدوا على ( مصر ) ، من كل أنحاء العالم ؛ للمشاركة فى الجنازة ، التى شيعها ملايين البشر ، فى مشهد لم تشهده جنازة واحدة ، فى التاريخ كله ...

وفى تلقائية ، راح الكل ينشدون أغنية الوداع ...

حتى أولئك ، الذين يتابعون المشهد على شاشات التلفاز ، انهمرت دموعهم غزيرة ، وتحرّكت شفاههم بكلمات الأغنية ...

كل من يتفق أو يختلف مع سياسة ( ناصر ) وأسلوبه ، لم يجرؤ على المساس بأهم أمرين فى حياته ...

وطنيته ...

ونزاهته ...

وفى سراى ( البنهاوى ) ، حيث اجتمعت العائلة كلها ، حتى ( عبد الحكيم ) ، زوج الراحلة ( توحيدة ) ، ران صمت تام حزين ، والكل يطالعون شاشة التلفاز ، الذى احتل مكانًا خاصًا ، فى قاعة اجتماعات العائلة ...

( نعيمة ) و( ناهد ) و( شريفة ) و( فاطمة ) انهمكن فى بكاء حار ، وغرقت وجوههن بدموعهن ، فى حين بدا ( عبد الحكيم ) حزينًا فى عمق ، و( فؤاد ) زوج ( ناهد ) عصبيًا متوترًا ، فى حين غاب ( عمر ) زوج

( نعيمة ) عن المشهد كعادته ، واختفى ( حافظ ) فى حجرته ، وكأنه يخشى مواجهة فكرة الموت ، التى مازالت تذكره بوالده ( محمد البنهاوى ) ، الذى فقدته عائلة ( البنهاوى ) منذ أعوام طوال ...

( طارق ) ، والذى اقترب من إتمام عامه السادس عشر ، انحدرت الدموع من عينيه فى صمت ، وهو يتابع الجنازة ، أما عمه ( مفيد ) فقد كان الوحيد ، الذى لم يحمل وجهه أية انفعالات ، فى تلك اللحظات التاريخية ...

المتأمِّل لملامحه لم يكن ليتصوَّر أبدًا إنه يتأمل ملامح بشرى ...

بل ملامح تمثال ...

تمثال من شمع جاف ، لم يضف إليه المثَّال لمحة إنسانية واحدة ...

حتى عيناه فقدتا بريقهما القديم ...

وعلى الرغم من بكاء ( طارق ) إلى جواره ، اكتفى هو بالتحديق فى الشاشة ، وذهنه يسبح فى بحر آخر تمامًا ...

بحر الذكريات ...

ذهنه الشارد كان يسترجع أحداثًا ، قد لا ينتمى معظمها إلى ما تعرضه الشاشة ...

أو حتى إلى اللحظة التاريخية ...

كان يسترجع تاريخ عائلة ( البنهاوى ) تقريبًا ...

يسترجع ماسمعه من والده الراحل ، عن كفاحه الطويل ، منذ أتى من قريته ، التابعة لمركز ( بنها ) ، إلى تلك القرية ، التابعة لمركز ( طنطا ) ..



كان فقيرًا معدومًا ، ولكنه يمتلئ بالأمل والطموح ...

ولأنه أتى من ( بنها ) ، أطلقوا عليه فى القرية اسم ( البنهاوى ) ، الذى حملته الأسرة ، حتى ذلك اليوم ...

كافح وتعب وعمل ، حتى امتلك قيراطين ، سمحا له بالزواج من ابنة الحاج ( علام ) شيخ القرية ؛ لينجب منها عائلة ( البنهاوى ) ، التى منحته الفخر والعزوة ، إلى جانب الثراء ، الذى كان يهبط عليه ، مع كل مولود جديد ، وكأن كل مولود يأتى برزقه معه كما يقولون ...

( نعمية ) ، ثم ( توحيدة ) ، و( زينب ) ...

ثم أتى ( حسين ) ، أولَّ الذكور ، وفاتحة الخير على ( البنهاوى ) ...

بعده جاءت ( شريفة ) ، ثم ( حافظ ) ، و( ناهد ) ، قبل أن يختم ذريته بآخر العنقود ( مفيد ) ، الذى كان آخر هبة حياة تخرج من زوجة ( البنهاوى ) ، قبل أن تفارق الحياة ، وتترك ( محمد البنهاوى ) وقد بلغت أرضه ألف فدان ، وبلغت عزوته ثمانية أبناء ، خمسة إناث ، وثلاثة ذكور ..

سراى ( البنهاوى ) صار أكبر وأفخم سراى فى الناحية ...

وأبناء ( البنهاوى ) صاروا زهرة شباب القرية ...

« ألن يأتى ( حسين ) بك ؟! ... »

ألقى ( عبد الحكيم ) السؤال فى حذر ، فغمغم ( فؤاد ) فى مقت لم يستطع ، أو يحاول إخفاءه :

ـ فى مثل هذه الظروف ؟!... مستحيل طبعًا !... لا ريب فى أنه منشغل للغاية فى إجراء حساباته .

غمغمت ( شريفة ) مستنكرة ، من وسط دموعها :

ــ حساباته ؟!

أشار إلى شاشة التلفاز ، قائلاً فى صوت ، برزت فيه شماتته :

ــ ألا تدركون أن ذلك ، الذى تتابعون جنازته ، كان الراعى الرسمى له ؟!

اعتدل ( طارق ) ، وهو يتساءل فى حيرة :

ــ وهل يصنع هذا فارقًا يا عماه ؟!

لوَّح بذراعه ، مجيبًا :

ــ بالتأكيد .

هزَّ ( عبد الحكيم ) رأسه ، قائلاً :

ــ لست أظن هذا رأى الجميع ، وإلا كان ( عمر ) هنا معنا الآن .

امتقع وجــه ( نعيمــة ) ، وارتبكت ( شريفة ) ، وسرعان ما انتقل ارتباكها إلى ( عبــد الحكيم ) نفســه ، فانكمش فى مقعــده ، فى توتر شديد ...

فالكل كان يعلم أن ( عمر ) زوج ( نعيمة ) ، لن يطأ أرض السراى ، ما دام ( حسين ) يتمتع بمنصبه ونفوذه ...

هذا لأنه لا ينسى ما حدث ، عقب وفاة الحاج ( محمد البنهاوى ) ، عندما فوجئ الجميع بأنه قد كتب أرضه كلها ، وحتى سراى العائلة باسم ( حسين ) وحده ، على أن يتولى توزيع الأنصبة الشرعية على الجميع بالعدل ...



أيامها ثار ( عمر ) ، وطلب الحصول على الميراث الشرعى لزوجته ...

وكانت النتيجة كالكابوس ...

( رفعت كسَّاب ) ، عضو مجلس قيادة الثورة جامل ( حسين ) ، وألقى القبض على ( عمر ) ، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم ، وتم ضربه وتعذيبه وإهانته وحبسه ؛ لإجباره على التنازل عن قضية رفعها ؛ للحصول على الميراث ...

وتنازل ( عمر ) مكرهًا ...

وكره ( حسين ) ...

و( نعيمة ) ...

ولأنه لم يستطع لمسها ، بعد أن صارت تذكرة بشقيقها ، وبكل ما ناله من عذاب ومهانة على يديه ، تزوَّج ( عمر ) من ( فاتن ) ابنة عمدة القرية المجاورة ...

وعلم ( حسين ) ، ورأى فى ذلك تحد لسلطته وسطوته ، فأجبره على طلاق ( فاتن ) ، على الرغم من حملها ...

وكره ( عمر ) ( حسين ) أكثر وأكثر ، وكره ( نعيمة ) أكثر وأكثر ، وأقسم ألا يطأ السراى بقدميه مرة أخرى ، و...

« أين حافظ يا ( فاطمة ) ؟!.... »

ألقى ( عبد الحكيم ) السؤال ؛ فى محاولة لترطيب الأجواء ، ومحو ما تركته كلماته السابقة من أثر سيئ ، فغمغمت ( فاطمة ) بصوتها الخشن وأسلوبها الفظ :

ــ يختفى فى حجرته كالمعتاد .

ابتسم ( فؤاد ) فى سخرية ، فرمقته ( ناهد ) بنظرة قاسية ، جعلته يغمغم مشيحًا بوجهه :

ــ اتركيه براحته .

واصلت ( ناهد ) نظرتها القاسية له ، وهى تختلس النظر إلى ( فاطمة ) ؛ فى محاولة لرصد رد فعلها ...

إنها لم تنس أبدًا كيف انهار ( حافظ ) ، وبلغ درجة أشبه بالاختلال ، عقب وفاة والده ، مما دفعهم إلى فكرة جنونية ، بعد عجزهم عن رعايته طوال الوقت ...

( فاطمة ) ، ابنة ( عبد الحميد ) ، كلأف مواشى الأسرة ، والتى كانت أكثر من تعتنى بــ ( حافظ ) ، وأكثر من يرتاح ( حافظ ) لها ، زوجوه إياها ؛ حتى تصبح خادمة دائمة بلا أجر ...

ولكن ( فاطمة ) لم ترض أبدًا بهذا ...

لقد شعرت بالمهانة ، عندما ظلت الأسرة تعاملها كخادمة ، حتى بعد زواجها الرسمى من ( حافظ ) ...

ولكن سرعان ما حملت حصانة خاصة فى أحشائها ...

أوّل حفيد ذكر ، يحمل لقب ( البنهاوى ) ...

« ( طارق ) ... » .



قالها ( مفيد ) فى جمود ، فالتفت إليه ( طارق ) فى اهتمام ، وهو يمسح دموعه قائلاً :

ــ أمرك يا عماه .

بنفس الجمود ، سأله ( مفيد ) :

ــ هل حضر ( جودة ) اليوم ؟!

على الرغم من الجمود ، الذى نطقها به ، فجَّرت عبارته قنبلة من المشاعر والانفعالات فى المكان ...

( عبد الحكيم ) حدَّق فيه فى دهشة ، و( فؤاد ) تراجع منزعجًا ، فى حين لطمت ( نعيمة ) صدرها براحتها ، وهتفت ( شريفة ) فى مرارة :

ــ يلعن ( جودة ) ، وأبو ( جودة ) ، وعائلة ( جودة ) كلها ... لقد كنت زينة شباب القرية يا ( مفيد ) ... ماذا أصابك على يد ذلك المجرم الفاسق ؟!

لم يبد ( مفيد ) أى انفعال ، وهو يستمع لما تقول ...

بل ولم يلتفت حتى إليها ...

لقد ظل جامدًا ضائعًا ، وكأنما خدَّرت سموم ( جودة ) حواسه ، فلم تعد تتجاوب مع ما يحيط بها ...

كل ما استوعبته حواسه ، هو أنهم يتحدَّثون عن ( جودة ) ، صاحب المقهى فى مدخل القرية ، والذى اشتهر بتوزيع السموم على شبابها ...

( جودة ) الذى أعطاه أوّل سيجارة مخدرات فى حياته

والذى صار المورِّد الأساسى له ...

و ...

« ( جودة ) لن يدخل هذا السراى يا عماه ... »

قالها ( طارق ) فى حزم صارم ، على الرغم من أنه أصغر الموجودين عمرًا ، فتطلَّعت إليه ( نعيمة ) فى دهشة ، فى حين غمغمت ( ناهد ) :

ــ ( طارق ) ... ماذا تقول لعمك ؟!

كان المفترض أن تكون لهجة سؤالها مستنكرة ، إلا أنها ، وعلى الرغم منها ، خرجت من بين شفتيها متخاذلة ، توحى بامتلاك حفيد ( البنهاوى ) لسطوة خاصة ، على الرغم من سنوات صباه ، فابتسمت ( فاطمة ) فى زهو ، ووضعت راحتها على صدرها ، وكأنها تحاول منع قلبها الفرح ، من أن يثب برقصاته خارج صدرها ...

ابنها الوحيد صارت له كلمة فى عائلة ( البنهاوى ) ، وهو بعد فى السادسة عشرة من عمره ...

الحلم الذى راودها طيلة عمرها ، بدأت ملامحه الأولى تتضح ...

حلم السيادة على عائلة ( البنهاوى ) ...

كلها ...

« ولكننى أحتاج إليه ... »

قالها ( مفيد ) بنفس الجمود ، فأجابه ( طارق ) بنفس الصلابة ، التى تفوق ضعف سنوات عمره :



ــ وهذا ما يسعى هو إليه يا عماه ... أن تظل دومًا فى حاجة إليه ، وتحت سيطرته .

ثم نهض فجأة ، وهو يضيف فى حزم :

ــ وأنا لن أسمح بهذا أبدًا .

بهت الكل لصلابة الصبى وحزمه ، وانعقد حاجبا ( فؤاد ) زوج ( ناهد ) فى شدة ، وهو يتطلَّع إليه بنظرة عجيبة ، فى حين خفض ( مفيد ) عينيه ، متمتمًا :

ــ مازلت صغيرًا .

ضرب ( طارق ) صدره بيده ، وهو يقول :

ــ ولكننى ( بنهاوى ) يا عماه ، وسراى ( البنهاوى ) لن يلوثها ذلك القذر بقدميه .

انتفض جسد ( فاطمة ) على الرغم منها ، وهى تسمع تلك الكلمات القوية ، تنطلق من بين شفتى ابنها ، فى حين هتفت ( شريفة ) فى انفعال :

ــ سلم لسانك يا ( طارق ) ... سأطلب من الخفراء إطلاق النار عليه ، لو أنه اقترب من السراى مرة أخرى .

غمغم ( عبد الحكيم ) فى حذر :

ــ وماذا لو ذهب الأستاذ ( مفيد ) إليه ؟!

قالها وهو يختلس النظر إلى ( مفيد ) ، فقال ( طارق ) فى حزم :

ــ لن يذهب .

وفى بطء ، التفت ( مفيد ) إليه ...

لم يلتفت غاضبًا أو رافضًا أو مستنكرًا ...

لقــد التفت يتطلع إلى ( طــارق ) فى صــمت ، وكأنه يرى فيه وجهًا آخر ...

وجه يعرض ماضيه هو ...

من سنوات ، كان هو الذى يلعب هذا الدور ...

هو كان المقاتل الشريف فى الأسرة ...

الوحيد الذى يتصدَّى لديكتاتورية ( حسين ) ...

ولكن ( حسين ) كان ينتصر فى كل مرة ...

أيًّا كانت النتائج ...

وأيًّا كان الثمن ...

كل ما كان يعنى ( حسين ) هو قوته ، وسطوته ، ونفوذه ، وسلطته ...

من أجلهم خاض معارك وحشية مع ذئاب لا تعرف الرحمة ...

( إبراهيم مكى ) ...

و( مراد صقر ) ...

وحتى شقيق ( فؤاد ) ، الذى حاول يومًا اعتلاء عرش السلطة والسطوة فى العائلة ، فلم يتردَّد ( حسين ) عن سحقه سحقًا ؛ ليعيده مرة أخرى تحت سلطته ...

ومن أجلهم حرمه من كل من خفق له قلبه ...



ومن حب عمره كله ...

( مديحة ) ، حب طفولته وصباه ومراهقته ...

بمنتهى القسوة ، طردها ( حسين ) مع عائلتها من القرية ...

ثم ( جيهان ) ، التى حاولت اللعب على الشقيقين ، هو و( حسين ) ، فدمَّرها ( حسين ) بلا رحمة أو هوادة ، ودمَّر سمعتها تمامًا ، مما دفعها للفرار من ( طنطا ) ، وربما من ( مصر ) كلها ...

بل إنه لم يتردَّد حتى فى اعتقاله هو شخصيًّا ...

اعتقال شقيقه الأصغر ؛ ليثبت ولاءه للنظام ...

ولقد نجح ( حسين ) بضرباته المتتالية فى تحطيمه ...

كسر قلبه ، ونهش طموحاته ، وأخضع إرادته ، فلم يعد أمامه سوى ( جودة ) ، وقهوة ( جودة ) ...

ربما لهذا تطلَّع إلى ( طارق ) ...

تطلَّع إليــه ، وكأنما يرى فيــه نفســه ، كما كانت ، قبل أن تنكسر روحه ...

كان يتطلَّع إليه بنظرة خاوية ، على الرغم من المشاعر التى تتفاعل فى أعماقه ، عندما هتفت ( شريفة ) :

ــ أخى ( حسين ) اعتقله لنفس السبب من قبل ، ولكن من الواضح أنه لم يتعلم الدرس ... سأخبره ليبعده عن هنا مرة أخرى ، و ...

قاطعها ( مفيد ) فى بطء :

ــ لن يفعل .

هتفت ( شريفة ) فى تحد :

ــ أخى ( حسين ) يستطيع أن يفعل أى شىء .

غمغم ( فؤاد ) ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى :

ــ حتى بعد رحيل الراعى الرسمى ؟!

رمقته ( ناهد ) بنظرة صارمة ، فأشاح بوجهه ، وهمهم بكلمات غيرمفهومة ، فى حين لم تنتبه ( شريفة ) لقوله ، الذى توازى مع تكرار ( مفيد ) :

ــ ولكنه لن يفعل .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وبدا ( طارق ) أكثرهم اهتمامًا ، وهو يتطلع إلى عمه ، فى حين قالت ( شريفة ) مستنكرة :

ــ ولماذا لن يفعل ؟!

أجابها ( مفيد ) فى هدوء :

ــ لأنك أنت التى لم تتعلمى الدرس .

عاد ( طارق ) يجلس فى بطء وهدوء ، وكأنما يعنيه فى شدة سماع تعليق عمه ، الذى تابع بنفس البطء والهدوء :

ــ ألم تسألوا أنفسكم ، لماذا ظهر ( شعبان ) فور اختفاء ( جودة ) ، ثم عاد يختفى مع عودة ( جودة ) ...

غمغم ( عبد الحكيم ) فى حذر :

ــ ( شعبان ) كان مخبراً للحكومة .

بدت ابتسامة شاحبة على شفتى ( مفيد ) ، وهو يغمغم :



ــ ( شعبان ) الذى استبدلوه بــ ( جودة ) ؟!

اتسعت عيونهم جميعًا ، وكأنهم يدركون الحقيقة لأوّل مرة ...

( جودة ) كان معتقلاً ، ولكنه عاد ...

عاد بعد أن استبدل عمله بآخر ...

كان مجرَّد صاحب مقهى ، فصار عينًا للحكومة والنظام ...

ولهذا سمحوا له بالعودة ...

غمغم ( طارق ) ، وهو يربِّت على كتف ( مفيد ) فى حنان :

ــ دومًا أتعلم منك الكثير يا عماه .

تمتم ( فؤاد ) :

ــ منه هو ؟!

رمقته ( ناهد ) مرة أخرى بتلك النظرة الصارمة ، فعاد يشيح بوجهه ، فى حين قالت هى معترضة :

ــ غير منطقى ... لو أن ( جودة ) يعمل لحساب الحكومة ، فسيعلم ( حسين ) حتمًا أنه الوغد ، الذى يزوِّد ( مفيد ) بالمخدرات .

ارتسمت ابتسامة شاحبة ساخرة حزينة على شفتى ( مفيد ) ، وهو يغمغم :

ــ ليس لدى من شك فى أنه يعلم .

هتفت ( نعيمة ) مستنكرة :

ــ أى قول هذا ؟!

هزَّ ( مفيد ) رأسه بالابتسامة نفسها ، دون أن يجيب ، فى حين مصمصت ( فاطمة ) شفتيها ، مغمغمة :

ــ لن أستبعد .

التفتت إليها ( نعيمة ) ، صائحة فى غضب :

ــ قطع لسانك .

هبَّ ( طارق ) من مقعده ، هاتفًا فى صرامة :

ــ عمتى .

ارتبكت ( نعيمة ) ، وهو تغمغم :

ــ لست أحتمل ذكر اسم أخى ( حسين ) بسوء .

قال ( طارق ) فى صلابة :

ــ هذا ينطبق علىَّ ، بالنسبة لأبى وأمى .

مطَّت ( نعيمة ) شفتيها ، مغمغمة فى ازدراء :

ــ أمك ؟!

أجابتها ( فاطمة ) فى خشونة :

ــ نعم ... أمه .

شعر ( فؤاد ) و( عبد الحكيم ) أن الجو يتكهرب ، فنهضا والأخير يقول :

ــ لقد أوصلوا جثمان ( ناصر ) إلى مثواه ... فليتغمَّده الله سبحانه وتعالى برحمته .



تمتم ( فؤاد ) :

ــ لو أنه يستحقها .

شعر ( عبد الحكيم ) بالحرج ، فتحرَّك فى سرعة يصافح الجميع ، ولاحظت ( فاطمة ) أن مصافحته ليد ( شريفة ) استغرقت وقتًا أكثر من الباقين ، وأن تلك الأخيرة قد سحبت كفها من يده ، ووجهها يتخضَّب بحمرة الخجل ، فعادت تمصمص شفتيها ، مغمغمة :

ــ حكم .

وتناهت كلمتها إلى مسامع ( عبد الحكيم ) فارتبك أكثر ، وسارع الخطى نحو باب السراى ، ولحق به ( فؤاد ) و( ناهد ) فى خطوات متئدة ، والتقى الثلاثة فى ساحة السراى ، وهناك مال ( فؤاد ) على ( عبد الحكيم ) يسأله :

ــ بمن يذكِّرك ( طارق ) ؟!

أجابه ( عبد الحكيم ) فى حذر ، وهو يحاول انتقاء الجواب المناسب :

ــ بالحاج ( محمد البنهاوى ) رحمه الله .

هزَّ ( فؤاد ) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ــ بل بالديكتاتور .

هتف ( عبد الحكيم ) :

ــ ( حسين ) ؟!

نظرة الاستنكار فى عينى ( ناهد ) ، جعلته يستدرك فى سرعة وحرج :

ــ أهذا ما تقصده ؟!

اعتدل ( فؤاد ) وهو يقول :

ـ أرأيت حـزمه وصرامته ، وهــو بعـد فى السادســة عشرة من عمره ؟!... حاول أن تتخيَّل ما سيكون عليه ، عندما يصل إلى السادسة والعشرين .

ولم يجب ( عبد الحكيم ) ، وهو يختلس النظر إلى ( ناهد ) ، خشية رد فعلها ، فتابع ( فؤاد ) ، وكأنه لم يكن ينتظر جوابًا :

ـ سيكون نسخة أكثر قسوة وسطوة من عمه ( حسين ) ، وسيحكم عائلة ( البنهاوى ) كلها ، و ...

قاطعته ( ناهد ) بصيحة مستنكرة :

ـ ابن ( فاطمة ) ؟!

التفت إليها متحديًا ، وهو يقول :

ـ بل الحفيد الوحيد ( البنهاوى ) فى العائلة .

هتفت فى حدة :

ـ حتى هذه اللحظة ... أخى ( حسين ) متزوِّج من أميرة ، وابنه بإذن الله سيكون ابن الحسب والنسب ... أمه أميرة ، وأبوه ( حسين البنهاوى ) .

قال ساخرًا :

ـ ولماذا لم يأت سليل الحسب والنسب هذا حتى الآن ؟!... ألم يتزوَّج ( حسين ) بك الأميرة ( عايدة ) ، منذ ثلاث سنوات ؟!

أجابه فى عصبية :



ـ الأميرة ( عايدة ) تربَّت فى ( باريس ) ، ومن عاداتهم هناك ألا تنجب العروس فور الزواج ، وإنما تستمتع أوَّلاً بشهر عسل طويل ، ثم ...

قاطعها ( عبد الحكيم ) ، وهــو يشير إلى مدخــل السراى ، قائلاً فى انفعال :

ـ انظرا من جاء .

التفت معًا إلى حيث يشير ، ثم تفجَّرت الدهشة فى ملاحهما معًا ...

فالقادم كان آخر شخص يتوقع الجميع رؤيته ...

على الإطلاق .

★ ★ ★

## 2 ـ التغيير ..

استرخت الأميرة ( عايدة ) فى مقعد وثير ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، فى معطف منزلى حريرى قصير وردى اللون ، وراحت تتأمَّل طلاء أظفارها فى عدم رضا ، وهى تقول ، فى لهجة تحمل لمحة من السخرية :

ــ أخيرًا مات !

التفت إليها ( حسين ) فى غضب ، وبدا شديد العصبية ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف ، قائلاً :

ــ هل تسخرين ، فى مثل هذه الظروف ؟!

ابتسمت ابتسامة خبيثة ، وهى تقول :

ــ أبدى دهشتى فحسب .

قال وهو يدير قرص الهاتف فى عصبية :

ــ الرجل مات مثلما يموت كل البشر .

هزَّت كتفيها ، واسترخت أكثر فى مقعدها ، فى لامبالاة ، وهى تغمغم :

ــ كنتم تقدسونه ، حتى صرتم تتصوَّرون أنه كالآلهة ... لا يموت .

كان يشعر بالحنق ، لأن محاولته الاتصال بـ ( إبراهيم مكى ) لم تفلح للمرة الخامسة ؛ بسبب انشغال الخط المستمر ، فأعاد السماعة إلى موضعها ، وهو يقول فى حدة :



ــ لم نكن نقدسه ، بل كنا ندرك زعامته وعظمة دوره القيادى ... ولم نتوقَّع وفاته فى الخمسينات من العمر .

حمل صوتها خبثًا أكثر ، وهى تسأله :

ــ هل تعتقد أنها وفاة طبيعية ؟!

هتف مستنكرًا :

ــ بالطبع ... الرجل بذل جهدًا خرافيًّا ، طوال الأيام التى سبقت وفاته ، فى محاولة لإيقاف مذبحة ( الأردن ) ، وقلبه المريض من ثقل الهموم ، لم يحتمل أن ...

قاطعته وهى تعتدل :

ــ هل عرفتنى أهتم بالتفاصيل ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

ــ أنت من سأل .

لوَّحت بيدها ، وكأنها لا تبالى ، فاعتدل يواجهها ، وهو يقول :

ــ ألا تدركين تأثير وفاة الرجل فى حياتنا ومستقبلنا ؟!

مالت نحوه ، تقول فى لهجة عابثة مستهترة :

ــ هل سنتقبَّل العزاء هنا أم ماذا ؟!

التقط سمَّاعة الهاتف مرة أخرى فى عصبية ، قائلاً :

ــ هذا لو ظل هناك ( هنا ) .

أطلقت ضحكة عابثة ، تزامنت مع رنين انشغال الخط ، الذى حملته له سمّاعة الهاتف ، فأعادها إلى موضعها فى عنف ، وهو يقول فى حدة :

ــ متى تتعاملين مع الأمور بجدية ؟!

قالت بنفس اللهجة العابثة المستهترة :

ــ تقصد بهلع .

رمقها بنظرة غاضبة ، ولكنها التقطت علبة سجائرها ، وهى تعود للاسترخاء فى مقعدها ، مضيفة :

ــ مثلك .

أحنقته كلماتها وأغاظه أسلوبها ، فجلس على المقعد المجاور لها ، وهو يقول فى عصبية :

ــ ( عايدة ) ... طوال عمر الزعيم ، كنت واحدًا من أقرب الناس إليه ، وهــذا ما منحنى كل القوة والسلطة والنفوذ ... وما حمانى أيضًا عبر تلك السنوات .

قلبت شفتيها وهى تقول :

ــ حذرتك أكثر من مرة ، من بناء قوتك استنادًا على الكبار ، فعلى الرغم من صعودك معهم ، تهوى أيضًا معهم ، وبعنف يفوق عنف سقوطهم .

هتف مستنكرًا :

ــ فى هذا البلد ؟!

ثم مال نحوها ، مستطردًا بعينين محمرتين :



ــ فى بلدنا هذا ، الطريق الوحيد للترقى والصعود ، هو الاستناد على أحد الكبار ... تصعدين معه كل درجة سلم يصعدها .

قالت فى استهتار :

ــ وتهبط معه فى مصعد كهربى .

هتف :

ــ لو لم تحسنى إدارة اللعبة .

أدارت عينيها إليه قائلة :

ــ تعترف إذن أنها مجرَّد لعبة .

أشار بسبَّابته إلى أعلى ، قائلاً فى حزم عصبى :

ــ أخطر لعبــة فى الحياة كلها ... لعبــة القــوة والسطوة والنفوذ ... لعبة إما أن تربحيها ، فتصعدى إلى عنان السماء ، أو تخسريها فتدفنين فى أعماق الأرض .

تساءلت فى هدوء :

ــ أهذا رأيكم جميعًا ؟!

عاد يلتقط سمَّاعة الهاتف ، قائلاً :

ــ أنا و( إبراهيم ) على الأقل .

مطَّت شفتيها ، وهى تقول :

ــ ( إبراهيم مكى ) ؟!... لم أرتح قط لذلك الرجل ... إنه لا يوحى أبدًا بالثقة .

كان يدير قرص الهاتف ، وهو يقول :

ــ من الخطأ الثقة فى ابن ( مكى ) هذا ، ولكن الاستفادة من عقليته التآمرية الجبارة تمنحك قوة إضافية .

غمغمت :

ــ لو أنها تعمل فى اتجاهك .

قال فى عصبية ، وهو يعيد سمَّاعة الهاتف إلى موضعها فى حدة :

ــ هذا ما أحرص على توجيهه طوال الوقت .

هزَّت رأسها ، قائلة ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

ــ لست أفهمك أنت أو ( إبراهيم ) هذا !!... اعتقلك أنت ووالدك قبل انقلاب اثنين وخمسين ، واعتقلته أنت عندما هيمن ( عبد الناصر ) على السلطة ، ثم عدت تفرج عنه ، عندما احتجت إليه ، واليوم تتعاملان كصديقين ، على الرغم من أن كل منكما شديد الحذر مع الآخر .

غمغم :

ــ تستطيعين أن تقولى : إنها صداقة ذئبين ... وجودهما فى قطيع واحد يمنحهما قوة ، ولكن كل منهما ينام بنصف عين ، خشية أن ينقض عليه الآخر ، إذا ما غفا ولو لحظة .

ابتسمت متمتمة :

ــ أستطيع تفهم هذا .

التقط السمَّاعة مرة أخرى ، مغمغمًا :



ــ حقًّا ؟!

ابتسمت ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة :

ــ لو أنك عشت حياة القصور شهرًا واحدًا لفهمت .

تطلَّع إليها لحظة فى دهشة ، قبل أن يطلب رقم ( إبراهيم ) مرة أخرى ، قائلاً :

ــ العجيب أن ( إبراهيم ) أخبرنى هذا ذات يوم .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ لقد بدأ حياته فى البوليس السياسى .

كان هذا بالنسبة إليها جوابًا كافيًا ...

وبالنسبة إليه أيضًا ...

ولكن صوت الخط المشغول جعله يمط شفتيه فى مقت ، ويعيد سماعة الهاتف ، هاتفًا فى سخط :

ــ شبكة الهاتف فى أسوأ حالاتها اليوم .

تساءلت فى استرخاء :

ــ لماذا لا تذهب إليه ، بدلاً من كل المحاولات الفاشلة هذه للاتصال ؟!

هتف مستنكرًا :

ــ اليوم ؟!... العالم كله فى ( القاهرة ) اليوم ، والبشر أنفسهم يسيرون فى صعوبة ، فما بالك بالسيارات .

هزَّت كتفيها فى لا مبالاة ، ونهضت من مقعدها ، متجهة نحو الشرفة المطلة على نيل ( القاهرة ) ، فى حين مد هو يده مرة أخرى إلى سماعة الهاتف ، ولكن قبل أن تلمسها أصابعه ، ارتفع رنين الهاتف فجأة ، فانتفض جسده انتفاضة خفيفة ، قبل أن يختطف السماعة ، هاتفًا :

ــ ( إبراهيم ) ؟!

أتاه صوت رصين هادئ ، يقول :

ــ هل كنت تنتظر مكالمة من ( إبراهيم مكى ) يا ( حسين ) ؟!

فى هذه المرة كانت انتفاضة جسد ( حسين ) حقيقية ...

وقوية ...

فالصوت الذى تحدَّث إليه عبر الهاتف ، والذى ميَّز نبراته على الفور ، لم يكن صوت

( إبراهيم مكى ) ...

كان صوت من هو أعلى مكانة منه ...

بكثير ...

جدًا ...

★ ★ ★



« عماه ... »

قالها ( طارق ) فيما يشبه الهمس ، وهو يجلس إلى جوار ( مفيد ) ، بعد أن خلا المكان إلا منهما ، فالتفت إليه ( مفيد ) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يقول فى خفوت ، أقرب إلى الهمس :

ــ نعم يا ( طارق ) .

سأله الصبى فى اهتمام واضح :

ــ لماذا تصوَّرت أن عمى ( حسين ) يعلم ما يفعله بك جودة ؟!

تطلَّع إليه ( مفيد ) طويلاً فى صمت ، وهو يحاول إجابة السؤال فى ذهنه أوَّلاً ...

لماذا تصوَّر أن ( حسين ) يعلم ما يفعله ( جودة ) به ؟!...

أو بمعنى أدق ، لماذا هو واثق من هذا ؟!

معرفته بشقيقه وطبيعته السيكوباتية ، التى لا تقيم وزنًا فى الحياة إلا لذاته ، جعلته يتساءل : لو أن ( شعبان ) هو رجل الحكومة وأذنها وعينها ، فكيف تسحبه الحكومة من القرية ، بعد عودة ( جودة ) ؟!...

الجواب الوحيد هو أن ( جودة ) تم تجنيده فى المعتقل ؛ لكى يحل محل ( شعبان ) ، ويصير هو أذن الحكومة وعينها ...

ومادام كذلك فسيدرك أن ( حسين البنهاوى ) من قيادات كل الحكومات ، وان يجرؤ على وضع المخدرات فى طريق شقيقه ، إلا إذا ...

ومن الضرورى أن يتوقَّف لحظة عند ( إلا إذا ) هذه ...

فشقيقه ( حسين ) لا يغفر أبدًا أية محاولة للخروج من سيطرته ، أو منافسته فى سطوته ...

ولو أن ( جودة ) حاول السيطرة عليه هو ، دون أوامر مباشرة من ( حسين ) ، فسيبطش به هذا الأخير بلا رحمة أو هوادة ...

بل سيسحقه سحقًا ...

( جودة ) واثق إذن أن ( حسين ) لن يفعل به هذا ...

لأنه يفعل ما يفعله بأوامر مباشرة منه ...

من ( حسين البنهاوى ) ...

« لم تجبنى يا عمى ... »

ابتسم ( مفيد ) ابتسامة حانية ، وربّت على كتف ( طارق ) ، هامسًا :

ــ لأن عمك ( حسين ) يعلم كل ما يحدث ، فى كل مكان .

مال نحوه ( طارق ) ، وهو يسأله فى فضول شديد :

ــ ولكن كيف يسمح بحدوث هذا ؛ لو أنه يعلمه ؟!

ربّت ( مفيد ) على كتف ( طارق ) مرة أخرى ، وهو يهمس :

ــ لا يمكنك أبدًا أن تعلم كيف يفكّر عمك ( حسين ) .

أطلت نظرة مستنكرة من عينى ( طارق ) ، فأضاف ( مفيد ) ، محاولاً أن يبتسم :

ــ إنها طبيعة عمله .

تراجع ( طارق ) معتدلاً فى إحباط ، وهو يقول :



ــ إننى لا أعرف أبدًا ماهية عمل عمى ( حسين ) ... كل ما أعلمه هو أنه بالغ السلطة والنفوذ .

صمت ( مفيد ) لحظات ، قبل أن يقول فى بطء هامس :

ــ كل ما أعلمه أنه قد انضم إلى جهاز أمنى استثنائى ، عمل على نحو سرى ، عقب قيام ثورة يوليو مباشرة ؛ كسبيل لحماية الثورة من أعدائها ، وعندما تم إنشاء جهاز أمنى أرفع مستوى ، عام خمسة وخمسين ، أسندوا إليه منصبًا رفيعًا فيه ، وبعدها صار مندوب اتصال خاص برياسة الجمهورية .

سأله ( طارق ) بفضوله الصبيانى الطبيعى :

ــ وماذا بعد رحيل الزعيم ؟!

مطّ ( مفيد ) شفتيه ، ولوّح بكفه لحظات ، إلا أنه لم يقل شيئًا لدقيقة كاملة ، تمتم بعدها :

ــ لا تقلق على عمك ( حسين ) ... إنه يجد دومًا وسيلة للصعود .

تساءل ( طارق ) فى حيرة :

ــ الصعود إلى ماذا ؟!

هزّ ( مفيد ) رأسه ، وبدا منه ما يشبه ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول فى خفوت :

ــ إلى الشىء الوحيد ، الذى يقاتل من أجله طيلة عمره .

ثم أدار بصره إليه ، مضيفًا :

ــ السلطة .

« أتفق معك تمامًا ... »

استدار كلاهما إلى مصدر الصوت ، وتهللت أسارير ( طارق ) ، وهو ينهض قائلاً :

ــ عمى ( عمر ) .

ارتفع حاجبا ( مفيد ) فى دهشة حقيقية ، وهو ينهض بدوره ، فى نفس الوقت الذى اندفعت فيه ( نعيمة ) من الداخل ، هاتفة فى فرحة :

ــ ( عمر ) ؟!... أنت هنا ؟!

كان قلبها يختلج فرحًا ؛ لأن زوجها ( عمر ) قد كسر ذلك الحظر ، الذى وضعه بإرادته ، تجاه سراى ( البنهاوى ) ، بعد أن قهره ( حسين ) ثلاث مرات ، آخرها عندما صار شريكاً بالثلث ، فى مصنع الغزل والنسيج ، الذى أنشأه هو مع ( عبد الحكيم ) ، و( رضا ) ابن ( على العبد ) بالقوة ...

وفى سعادة حقيقية ، صافح ( مفيد ) ( عمر ) ، قائلاً :

ــ لن تتصور مدى سعادتى برؤيتك هنا يا ( عمر ) .

هتفت ( نعيمة ) فى لهفة فرحة :

ــ هل أعد لك شيئًا تأكله ، أم ترغب فى شرب الشاى أوّلاً ؟!

بدا صارمًا بعض الشىء ، وهو يقول :

ــ لا هذا ولا ذاك ... لو أن الأمر يتعلّق بالطعام والشراب ، لما وطأت قدماى هذا السراى .



تراجعت مصدومة فى إخفاق ، فربّت ( مفيد ) على ذراعه ، قائلاً :

ــ أنت على الرحب والسعة دومًا هنا يا ( عمر ) .

غمغمت ( نعيمة ) فى ضيق :

ــ هل أتيت لأن ( ناصر ) مات ، و( حسين ) يمكن أن ...

قاطعها فى شىء من الحدة :

ــ لا شأن لى بشقيقك ( حسين ) .

خفضت عينيها فى أسى ، فى حين التفت هو إلى ( مفيد ) ، مستطردًا :

ــ لقد أتيت من أجلك أنت يا ( مفيد ) .

غمغم ( مفيد ) :

ــ من أجلى أنا ؟!

مال نحوه ، مجيبًا :

ــ نعم يا ( مفيد ) ... إنها مسألة حياة ... حياة أو موت .

وتراجع ( مفيد ) بكل دهشة الدنيا ...

كلها ...

* * *

لم يبد ( إبراهيم مكى ) فى حياته كلها قلقًا ، كما بدا فى ذلك اليوم ، عقب انتهاء الجنازة الرسمية للزعيم ...

كانت أولّ مرة ، فى عمره كله ، يخطئ فيها فى اختيار مساره ، دون حتى أن ينتبه بهذا ...

فمنذ سنوات طوال ، سعى لتوطيد علاقته بثلاثة ممن بدوا له أقوى رجال السلطة ، لسنوات طويلة قادمة ...

راهن عليهم كعادته ...

وعلى الرغم من ذكائه ، وعقليته التآمرية الفذة ، وقدرته على سبر أغوار النفس البشرية ، لم يكن ( أنور السادات ) واحدًا منهم ...

الرجل دومًا هادئ بسيط ، لا يتحدَّث إلا لمامًا ، وينفذ الأوامر فى طاعة تامة ، ولا يحيط نفسه بشلة قوة ، مثلما يفعل ( على صبرى ) مثلاً ...

وربما لهذا بدا له ، وكأنه رجل بلا طموح ...

حتى تم تعيينه كنائب للرئيس ( جمال ) ، بعد مرحلة لم يسع إليها ، ولم يتصوَّر أنها ستستمر حتى وفاة ( جمال ) ...

لقد بدا له أشبه بتعيين مؤقت ، لحين عودة ( جمال ) من جولة مباحثات خارجية ، فى ظروف ما بعد النكسة ...

وكان من الشائع ، حتى فى الأوساط الأمنية العليا ، التى انتقل إليها مع ( حسين البنهاوى ) ، أن ( ناصر ) يسعى لاستبداله فى القريب العاجل بعضو مجلس قيادة الثورة القوى ( عبد اللطيف بغدادى ) ...

ولقد بنى هو كل حساباته على هذا ...



تقَّرب من ( على صبرى ) ، رئيس الاتحاد الاشتراكى ، التنظيم السياسى الوحيد فى ( مصر ) ، و( عبد اللطيف بغدادى ) ، نائب الرئيس المنتظر ، و( سامى شرف ) ، سكرتير الرئيس للمعلومات ، والرجل الأقوى فى مؤسسة الرياسة ...

ولكن القدر أفسد مخططاته بضربة مفاجئة ، لم يعمل لها أى حساب ...

مات ( ناصر ) فجأة ...

مات و( أنور السادات ) نائبه ، والذى سيصعد بعده إلى سدة الحكم ، وفقًا للنظام المعمول به ...

بالطبع سيكون هناك استفتاء شعبى على رياسته لـ ( مصر ) ، ولكنه هو شخصيًّا أكثر من يعرف كيف تدار الاستفتاءات ...

النتيجة ستأتى وفق رغبة الكبار ...

فقط رغبة الكبار ...

ارتفعت دقات على باب مكتبه ؛ لتنتزعه من أفكاره وتوتراته ، فأسرع يعود إلى خلف مكتبه ، وتنحنح وهو يقول فى حزم كبير ، أراد أن يخفى به توتره :

ــ ادخل .

انفتح باب الحجرة فى هدوء ، ودلف إليه ( سمير خضر ) ... شاب جديد ، انضم إلى الجهاز ، نقلاً من سلاح المدرعات ، وأثبت كفاءة نادرة فى هذا العمل ، بالغ الحساسية والخطورة ، مما جعل ( مكى ) يضمه إلى مكتبه ...

كان ( سمير ) يختلف عنه تمام الاختلاف ...

صريح ...

مباشر ...

مخلص ...

طيب القلب ، على نحو جعل ( مكى ) يشعر أنه يستطيع الثقة به ، مكدير لمكتبه الشخصى ...

وعلى الرغم من توتره ، تنحنح ( إبراهيم مكى ) ، قائلاً :

ــ ماذا هناك يا ( سمير ) ؟!

شدَّ ( سمير ) قامته ، على نحو مازال يعتاده ، من أيام خدمته فى سلاح المدرعات ، وهو يقول :

ــ لقد اجتمعوا كما توقَّعت تمامًا يا سيِّد ( إبراهيم ) .

تراجع ( إبراهيم ) فى مقعده ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ جميعهم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا :

ــ جميعهم يا سيِّد ( إبراهيم ) .

تردَّد ( مكى ) لحظة ، قبل أن يسأله :

ــ و( أنور السادات ) ؟!

هزَّ ( سمير ) رأسه نفيًا :



ــ لم يدعوه للاجتماع .

التقط ( مكى ) نفسًا عميقًا ، وعادت نظرة الذئب الشهيرة تطل من عينيه ، وهو يغمغم فى ثقة :

ــ كما توقَّعت ... إنهم لا يقنعون به خلفًا للزعيم .

قال ( سمير ) فى تردد :

ــ ولكن الدستور والشرعية يضعان النائب ( أنور السادات ) فى مقدمة اللائحة يا سيِّد ( إبراهيم ) .

قال ( مكى ) فى ثقة :

ــ ربما ... ولكنهـم ليســوا ممن يقنع بدستور أو شرعية ، لو أن هذا يتعارض مع مصالحهم .

تساءل ( سمير ) فى حيرة :

ــ وفيم تتعارض مصالحهم مع هذا ؟!

ابتسم ( مكى ) ابتسامة الذئب ، وهو يجيب :

ــ ( على صبرى ) رئيس الحزب الاشتراكى ، وأقوى رجل فى ( مصر ) ، حتى فى وجود ( أنور السادات ) ، و( حسين الشافعى ) يرى أنه الأحق بالرياسة ، وبخلافة ( ناصر ) ، باعتباره أكبر أعضاء مجلس قيادة الثورة سنًا ، و( عبد اللطيف بغدادى ) يعلم أن ( ناصر ) كان بصدد وضعه مكان ( السادات ) ، لو أمهله القدر شهرًا واحدًا إضافيًا ... وقادة الجيش والشرطة والمخابرات ، بالإضافة إلى الإعلام والاتحاد الاشتراكى ، يقفون على الجانب المعاكس للنائب ( أنور السادات )

قال ( سمير ) :

ـ مع كل هذا ، مازالت الشرعية مع سيادة النائب .

غمغم ( مكى ) فى سخرية :

ـ ليس قبل أن يقول الشعب كلمته ، فى استفتاء عام .

هزَّ ( سمير ) كتفيه ، قائلاً :

ـ الكلمة للشعب إذن .

أدهشه أن انفجر ( مكى ) ضاحكًا إثر عبارته ، ومال نحوه قائلاً :

ـ الشعب ؟!...

ثم عاد يتراجع فى مقعده فى بطء ، وهو يضيف فى سخرية واضحة :

ـ مازال أمامك الكثير لتتعلمه هنا يا ( سمير ) .

بدا مزيج من الحيرة والتوتر على وجه ( سمير ) ، وتساءل عما يمكن أن يعنيه ( مكى ) ، الذى سرعان ما اعتدل مرة أخرى ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ ألديك أية فكرة عن أين هو ( السادات ) الآن ؟!

أومأ ( سمير ) برأسه إيجابًا وقال :

ـ لقد عاد من الجنازة إلى القصر الجمهورى ، لاستقبال المعزين ، وطلب إجراء بعض اللقاءات .

سأله ( مكى ) فى اهتمام :



ـ مع من ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ بعض كبار موظفى القصر ، ووزير الخارجية ، والسيد ( حسنين هيكل ) .

قلب ( مكى ) شفته السفلى ، وهو يغمغم :

ـ لقد بدأ تدريباته من الآن ، على لعب دور الرئيس .

وافق ( سمير ) بإيماءة من رأسه ، ثم أضاف :

ـ والسيد ( حسين البنهاوى ) .

اتسعت عينا ( مكى ) ، وهو يثب من مقعده ، هاتفًا :

ـ من ؟!

فقد كان هذا بالفعل صدمة له ...

صدمة قاسية ...

للغاية ...

* * *

## 3 ـ الذروة ..

« ماذا أصابك ؟!... »

هكذا بادر ( عمر ) ( مفيد ) وهما يسيران معًا فى الحديقة ، المحيطة بسراى ( البنهاوى ) ، فغمغم ( مفيد ) بلا انزعاج :

ـ وماذا أصابنى ؟!

قال ( عمر ) فى حزم :

ـ ماذا أصابك ؟!... أتتساءل ماذا أصابك يا ( مفيد ) !!... هل نسيت كيف كنت وكيف أصبحت ... صحيح أنك أصغر أبناء الحاج ( محمد ) رحمه الله ولكننى كنت أرى فيك دومًا الامتداد الحقيقى للحاج ( البنهاوى ) رحمه الله ... صادق ، وأمين ، وقوى فى الحق ... عف اللسان عذب القول ، منفتح الذهن ... أهذا ما أنت عليه الآن ؟!..

لم ير دموعًا فى عينى ( مفيد ) ، ولكنه شعر بها فى كلماته ، وهو يجيب فى صوت متهدج :

ـ لم أستطع الاحتمال يا ( عمر ) ... الدنيا كلها كانت تحاربنى .

قال فى حزم أكثر :

ـ ليس الدنيا كلها ... فقط شقيقك ( حسين ) .

توقف ( مفيد ) ، والتفت إليه بعينين منكسرتين ، قائلاً :



ـ ( حسين ) حطَّم كل طموحاتى وأحلامى يا ( عمر ) ... أحببت ( مديحة ) فى صباى ، ولم يرق له هذا ، فقهرها وقهر والدها ، وأجبرهما على ترك القرية كلها ... وقهر إرادتى ، عندما أردت منح ( حافظ ) و( فاطمة ) حقهما ، فى حضور عيد ميلاد ( طارق ) ... حتى ( جيهان ) ...

قاطعه ( عمر ) :

ـ ( جيهان ) كانت تعبث بعواطفك يا ( مفيد ) ، وأنت تعلم هذا .

قال فى مرارة :

ـ ولكنه لم يتردَّد فى إقامة علاقة معها .

قال ( عمر ) فى إصرار :

ـ أنت تعلم أننى لا أثق فى ( حسين ) ، ولكنه فى هذا الموقف بالذات ، كان يحاول حمايتك .

أشاح ( مفيد ) بوجهه ، وهو يغمغم :

ـ كانت هناك ألف وسيلة ، يفعل بها هذا ، دون أن يورطها فى قضية دعارة ، تدمر سمعتها وسمعة عائلتها .

زفر ( عمر ) ، وهو يقول :

ـ مشكلة ( حسين ) هى أنه ، عندما تتملكه شهوة الانتقام ، والرغبة فى إثبات القوة والنفوذ ، لا يعمد أبدًا إلى أساليب بسيطة ، بل لابد له من سحق خصمه سحقًا ... وبلا أدنى رحمة أو شفقة .

غمغم ( مفيد ) :

ـ المثل القديم يقول : من عاش بالسيف مات بالسيف

مال ( عمر ) نحوه ، قائلاً :

ــ المهم متى يموت بالسيف ... قبل أم بعد أن يذبح به كل من حوله ؟!

انعقد حاجبا ( مفيد ) ، فاعتدل ( عمر ) ، قائلاً :

ــ المهم دعنا من ( حسين ) وحكاويه ... لقد أتيت لك من أجل أمرين هامين .

ابتسم ( مفيد ) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ــ وأنا أريدك أيضًا فى أمر هام .

سأله ( عمر ) فى اهتمام حقيقى :

ــ مر يا ( مفيد ) ... أنت تعلم قيمتك عندى ... لو طلبت حياتى نفسها لما تردَّدت فى منحك إياها .

اتسعت ابتسامة ( مفيد ) قليلاً ، وهو يربت على ذراع ( عمر ) ، قائلاً :

ــ ليس لدى شك فى هذا يا ( عمر ) ، والقلوب عند بعضها ... ولكننى أفضل سماع مالديك أوّلاً .

ابتسم ( عمر ) بدوره ، وهو يقول :

ــ لا بأس ... اتفقنا .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا فى اهتمام :

ــ كنت أفكر فى أمرك ، وفيم وصلت إليه ، منذ أن تركت العمل فى مدرسة طنطا ، وصرت زبونًا دائمًا عند ( جودة ) ، ولا تفارق السراى إلا فيما ندر ... ولأن أمرك يهمنى كثيرًا ، واعتبرتك منذ خطبت ( نعيمة ) ، بمثابة ابن لى ، بحثت فى ذهنى عن حل ، يعيدك إلى ما كنت عليه .



غمغم ( مفيد ) فى مرارة :

ــ أتظن أن هذا ممكن ؟!

لم يتوقف ( عمر ) عند تعليقه ، وهو يواصل حديثه :

ــ الجواب الذى أتانى هو العمل .

غمغم ( مفيد ) ، فى مزيج من الدهشة والحذر :

ــ العمل ؟!

هتف ( عمر ) فى حماس :

ــ بالطبع يا ( مفيد ) ... العمل ... انهماكك فى عمل ما ، سيملأ الكثير من فراغ يومك ، وسيمنحك دافعًا للعودة إلى ما كنت عليه .

سأله ( مفيد ) ، فى شىء من القلق :

ــ هل تقترح أن أعود إلى عملى فى المدرسة ؟!

لوَّح ( عمر ) بيده ، هاتفًا :

ــ مدرسة ؟!... العمل فى المدرسة لم يكن يناسب إمكانياتك من الأساس يا ( مفيد ) .

عاد ( مفيد ) يسأله ، وقلقه يتزايد :

ــ أين أعمل إذن ؟!

مال نحوه ، يقول فى حماس :

ــ فى المصنع ... مصنع الغزل والنسيج

تراجع ( مفيد ) فى حركة حادة ، وهو يهتف مستنكرًا :

ــ مصنع ( حسين ) ؟!

اعتدل ( عمر ) فى غضب ، وهو يقول :

ــ مصنعى يا ( مفيــد ) ... مصنعى ومصنع شريكى ( عبد الحكيم ) ... أرمل شقيقتك توحيدة .

قال ( مفيد ) فى مرارة :

ــ ومصنع شريككم الثالث ( حسين البنهاوى ) .

بدا الغضب على وجه ( عمر ) ، وهو يقول :

ــ أنت تعلم جيدًا كيف فرض ( حسين ) شراكته علينا ، عندما خشينا أن يتم تأميم مصنعنا ، وتصورنا أنه باستطاعته استخدام موقعه ونفوذه ؛ لمنع هذا .

مطَّ ( مفيد ) شفتيه ، قائلاً :

ــ مازال شريككما .

عاد ( عمر ) يميل نحوه ، قائلاً :

ــ شريك برأس المال فحسب ، ولكن ( حسين البنهاوى ) لم يطأ أرض المصنع بقدمه مرة واحدة ، حتى بعد توقيع عقد المشاركة ... أراهنك أنه لن يشعر حتى بعملك فى المصنع ... إننا نرسل إليه كشف الحساب السنوى الختامى ، ونودع نصيبه فى حسابه فحسب ، وهو لم يراجعنا فى هذا مرة واحدة ، فلماذا سيفعل الآن ؟!

تساءل ( مفيد ) فى قلق :



ــ وماذا لو فعل ؟!

ابتسم ( عمر ) ، وربَّت على كتفه ، وهو يقول :

ــ سأتقبل كل ما يحدث من أجلك .

تطلَّع إليه ( مفيد ) فى صمت وامتنان ، فسأله ( عمر ) فى اهتمام :

ــ ما رأيك ؟!... هل توقع عقد العمل اليوم ؟!

صمت ( مفيد ) لحظات ، ثم لم تلبث ابتسامة هادئة كشخصيته أن تسلَّلت إلى شفتيه ، وهو يقول :

ــ أخبرنى بالأمر الآخر ، الذى أردتنى من أجله .

رفع ( عمر ) سبَّابته ، وهو يقول :

ــ آه ... أظنه سيكون أكثر أهمية بالنسبة لك .

ثم مال نحوه ، وأضاف فى لهجة لها رنين خاص :

ــ لقد عرفت أين هى ...

التقى حاجبا ( مفيد ) ، وهو يسأله :

ــ من ؟!

أجابه ( عمر ) فى حماس :

ــ ( مديحة ) ... حبيبتك القديمة ( مديحة ) ...

وانتفض جسد ( مفيد ) وقلبه معًا ...

وبمنتهى العنف ...

* * *

على الرغم من رغبته فى التماسك ، لم يستطع ( حسين البنهاوى ) كبح جماح توتره الشديد ، وهو يقف أمام ( أنور السادات ) ، فى نفس المكتب ، الذى كان يلتقى فيه ، منذ أيام قليلة ، بالرئيس ( جمال عبد الناصر ) ...

لم تكن أوّل مرة يلتقى فيها بالنائب ( أنور السادات ) ، ولكنها كانت المرة الأولى ، التى يلتقى به فيها ، وهو على وشك أن يرث ذلك المنصب ، الذى احتله زعيم الأمة العربية ، التى كانت خطبه قادرة على رج العالم العربى كله ، من المحيط إلى الخليج ...

لم يكن ( أنور السادات ) يمتلك نصف قوة شخصية ( جمال عبد الناصر ) ، إلا أن أبجديات المرحلة ، وما يحيط بها من صراع خفى ، قد لا يدركه المواطن العادى ، حول مقعد السلطة ، كانت تجعل الجميع فى حالة مـن القلق والتوتر ، فى انتظـــار ما ستسفر عنه الأمور ...

حتى عندما استدعاه ( أنور السادات ) بنفسه ، وليس عن طريق سكرتارية الرياسة ، لم يكن يدرك ، أخير هذا أم شر ...

ولماذا الآن ، وجثة ( ناصر ) لم تبرد فى قبرها بعد ؟!...

لماذا ؟!...

« استرح يا ( حسين ) ... »

قالها ( أنور السادات ) فى هدوء ، ولكن فى لهجة عسكرية صرفة ، جعلت ( حسين ) يقول :

ـ أمرك يا ريس .

خرجت العبارة منه فى تلقائية ، فابتسم ( السادات ) ، وأشار إلى المقعد أمام مكتبه ، قائلاً :



ـ اجلس يا ( حسين ) .

اتجه ( حسين ) إلى المكتب ، وجلس حيث أشار ( السادات ) ، الذى اعتدل فى مجلسه ، وخلع منظاره الطبى ، ووضعه على سطح المكتب أمامه ، قبل أن يقول :

ـ الوضع الحالى حساس للغاية ، كما تعلم يا ( حسين ) .

اكتفى ( حسين ) بإيماءة من رأسه ، فتابع ( السادات ) فى اهتمام :

ـ لو سارت الأمور على نحو طبيعى ، المفترض أن أتولى رياسة ( مصر ) بعد أيام قلائل ، على نحو رسمى ، وسيعنى هذا أن أحتاج إلى فريق من المعاونين ، يماثل ذلك الفريق الذى أحاط به ( ناصر ) رحمه الله نفسه .

صمت ( السادات ) لحظة ، التقط خلالها منظاره مرة أخرى ، ووضعه على عينيه ، وقرأ شيئًا من ورقة أمامه ، قبل أن يسأل ( حسين ) :

ـ ماذا تعرف عن زميل لك ، يدعى ( إبراهيم مكى ) ؟!

بدا السؤال أشبه بصدمة ، أصابت صدر ( حسين ) مباشرة ، فراح قلبه يخفق فى قوة ، وخاصة بعد أن جاء اسم ( مكى ) بعد الحديث عن فريق المعاونين ...

ولثانية أو ثانيتين ، احتبست الكلمات فى حلق ( حسين ) ، قبل أن يتنحنح فى توتر ، مجيبًا :

ـ إنه زميل ممتاز يا سيادة الرئيس .

غمغم ( السادات ) فى حزم :

ـ الأفضل أن نكتفى بلقب ( النائب ) ، فى هذه المرحلة

قال ( حسين ) ، وتلك الغصة لم تفارق حلقه بعد :

ــ أمر سيادتك .

خلع ( السادات ) منظاره مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ إذن فأنت تراه كزميل ممتاز .

ازدرد ( حسين ) لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

ــ إنه كذلك بالفعل يا سيادة الر ... النائب ... صحيح إنه كان جزءًا من البوليس السياسى ، قبيل ثورة يوليو ، ولكنه أثبت كفاءة وخبرة ، طوال فترة عمله بعد الثورة .

أشار ( السادات ) إلى الأوراق أمامه ، وقال فى اهتمام :

ــ مكتوب هنا أنه تم اعتقاله ، أيام خلافنا مع ( نجيب ) ، وأنك أنت من سعيت للإفراج عنه .

غمغم ( حسين ) ، وقد بدأ اليأس يتسلَّل إليه :

ــ هذا صحيح .

مطَّ ( السادات ) شفتيه ، وأومأ برأسه عدة مرات ، قبل أن يسأل :

ــ بكل صراحة ومباشرة ووضوح ... هل تثق فيه يا ( حسين ) ؟

صمت ( حسين ) لحظة ، ثم أجاب :

ــ ليس بحيث أوليه ظهرى يا سيادة النائب .

ابتسم ( السادات ) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ جواب ممتاز يا ( حسين ) .



ثم عاد يشير إلى الأوراق أمامه ، مضيفًا :

ــ ( على صبرى ) رشحه لى ؛ ليرأس مكتب المعلومات الخاص بى ، عندما أتولى الرياسة .

لم يجد ( حسين ) ما يقوله ، فاكتفى بهزّ كتفيه ، مما جعل ( السادات ) يتراجع فى مقعده ، ويتطلع إليه لحظة ، قبل أن يقول :

ــ لقد كنت أحد أعضاء مكتب المعلومات ، التابع للرئيس ( جمال ) ، قبل أن يتولَّى الرياسة ، وعندما كان وزيرًا للداخلية ، فى بداية الثورة .

غمغم ( حسين ) :

ــ هذا صحيح .

تابع ( السادات ) :

ــ وظللت أحد أهم مصادر المعلومات لديه ، حتى لحظة رحيله .

اكتفى ( حسين ) بإيماءة إيجاب ، فعاد ( السادات ) يبتسم ، وهو يقول :

ــ الواقع أن ملف ( مكى ) هذا لم يوح لى بالثقة الكافية ... ربما كان خبيرًا فى عمله ، ولكننى مازلت أثق فى ( جمال ) رحمه الله وفى موهبته فى فهم طبيعة من يحيطون به .

قالها ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :

ــ وبناء على هذا ، وقع اختيارى عليك يا ( حسين ) ؛ لترأس إدارة المعلومات التابعة لى ، عندما أستقر فى منصب الرئيس ، إن شاء الله .

وثب قلب ( حسين ) من بين ضلوعه ، وهو يقول :

ــ أشكرك يا سيادة النائب ... يا سيادة الرئيس ، باعتبار ما سيكون .

نهض ( السادات ) يصافحه ، وهو يقول :

ــ بالمناسبة ... يمكنك الاستمرار فى عملك هنا ، حتى ذلك الحين .

صافحه ( حسين ) فى امتنان شديد :

ــ وماذا عن ( إبراهيم مكى ) ؟!

هزَّ ( السادات ) كتفيه ، وهو يقول :

ــ لسبب ما ، لست أثق فيه .

ثم غمز بعينه ، مضيفًا :

ــ ولا فى ( على صبرى ) نفسه :

وضحك ( حسين ) ضحكة قصيرة ، لم تشف عن كل ما يعتمل فى أعماقه فى الواقع ...

فقد كانت هذه أسعد لحظات حياته ...

على الإطلاق ...

★ ★ ★

على عكس ما توقع ( إبراهيم مكى ) ، لم يعترض أحد الأقوياء على السير فى الطرق الشرعية ، ووضع ( السادات ) على مقعد الرياسة ، خلفًا للزعيم ( عبد الناصر ) ...

ربما لأنهم رفضوا أن يبدو الأمر ، كما لو أن شركاء الثورة يتصارعون على مقعد الحكم ...



أو لأنهم تصوَّروا أن ( السادات ) شخص يمكن وضعه فى المواجهة ، كخيال مآتة لهم ، يسيطرون عليه ، ويحكمون البلد من خلفه ، دون أن يعترض أو يواجههم ...

أو لأنهم كانوا يعملون ويدركون صعوبة موقف من سيأتى بعد زعيم عظيم مثل ( ناصر ) ، وأن الشعب سيعجز عن تقبله ، أيًا كانت شخصيته ...

وأرادوا تفادى تلك المواجهة مع الشعب ، وتركها لشخص يمكن التخلص منه فيما بعد ، عندما يعتاد الشعب رحيل ( جمال ) ...

المهم أنهم لم يتعارضوا ...

ولم يسعوا حتى لتزوير الاستفتاء على رياسة الجمهورية كعادتهم ...

لقد تركوا الأمور تسير فى مجراها ، وربما لأوَّل مرة ، منذ قيام ثورتهم ...

ولهذا فلم يفز ( السادات ) فى الاستفتاء بنسبة خرافية مستحيلة ، كما فاز ( عبد الناصر ) من قبل ...

وهنا برز دهاء ( السادات ) للمرة الأولى ، عندما خرج على الشعب ، فى أوَّل خطبه كرئيس للدولة ، ليشكر من انتخبوه ، وليشكر أيضًا من رفضوه ...

كانت مبادرة شديدة الذكاء ، يوصل بها للمصريين أنه رئيس الكل ، وليس من قبلوا به وحدهم ...

وفى سرعة ، ولأن أحدًا لم يتصدّى للأمر ، اتخذ ( السادات ) موقعه كرئيس للبلاد ...

واستقر ( حسين ) كمدير للمكتب الخاص بالرئيس للمعلومات ...

وكان هذا ذروة ما كان من الممكن أن يصبوا إليه ، بعد رحيل راعيه الرسمى ، كما يصفه ( فؤاد ) زوج ( ناهد ) ، والذى كان أكثر نسباء عائلة ( البنهاوى ) غضبًا ، وهو يقول :

ــ الآن صرنا كلنا عبيدًا لــ ( حسين ) بك .

رمقته ( ناهد ) بنظرة متشفية ، وهى تقول ، محاولة أن تبدو هادئة بسيطة :

ــ أخى ( حسين ) هو دومًا سيد الكل .

قال فى غل :

ــ أخى كاد يطيح به يومًا .

أخفت شماتتها ، وهى تغمغم :

ــ كاد .

احتقن وجهه فى شدة ، وهو يهتف :

ــ ماذا تعنين ؟!

نفسها كانت تدعوها لمعاندته ونكايته ، ولكن عقلها كزوجة وأم ، جعلها تقول فى اهتمام :

ــ هل علمت أن ( مفيـد ) هو مدير حسابات مصنع الغزل الآن ؟!

كان يعلم أنها تبعده عن الشجار ، ولكنه أشاح بوجهه ، مغمغمًا فى عصبية :

ــ أخبرنى ( عمر ) منذ أسبوعين .

قالت فى حماس :



ــ ( عبد الحكيم ) يقول : إنه شديد الإخلاص والتفانى فى العمل ، وكأنه خلق لهذه المهنة بالذات .

غمغم :

ــ ( مفيد ) هو درة عائلة ( البنهاوى ) .

وافقته بإيماءة فرحة ، وقالت فى حنان :

ــ كم أتمنى أن يتزوَّج وينجب أطفالاً .

قال فى لهجة ، اشتمت فيها لمحة من السخرية :

ــ ادع لأختك ( شريفة ) أوّلاً .

انعقد حاجباها فى ضيق ، عندما أتى على ذكر هذا الأمر ...

فحتى هذه اللحظة ، مازالت تشعر بتأنيب الضمير ، كلما ذكر أحدهم عدم زواج ( شريفة ) ...

إنها لم تنس أبدًا أن زوجها ( فؤاد ) أتى فى البداية لخطبة ( شريفة ) ، إلا أنه عندما رآها ، طلب يدها هى ...

وانكسر قلب ( شريفة ) ...

ولكنها لم تعترض ...

تعلقت بفكرة القسمة والنصيب ، ورفضت أن تقف فى وجه شقيقتها الصغرى ، خاصة وأن ( حسين ) لم يعترض ، على الرغم من مخالفة هذا للتقاليد ؛ بسبب شقيق ( فؤاد ) ، الذى كان أيامها أحد أقوى رجال الثورة ...

وتم زفافها هى على ( فؤاد ) ؛ حتى يشق ( حسين ) طريق طموحاته ...

فى البداية تمنَّت أن تتزوَّج ( شريفة ) بعدها بقليل ، حتى يطفئ هذا نيران ضميرها ...

وخاصة عندما ظهر ( أمجد ) ...

الشاب الوسيم ، الذى كان يعمل تحت إمرة ( حسين ) ، والذى انبهر بشقيقتها فور رؤيتها ، وتقدَّم لطلب يدها ...

وكان حبه قد ملك شغاف قلب ( شريفة ) بالفعل ...

ولكن ( حسين ) رفض ...

وبمنتهى الإصرار ...

رفض أن يزوّج شقيقته من رجل يعمل تحت إمرته ...

لم تكن هذه هى صورة الزواج ، كما يراها هو ...

الزواج كان بالنسبة إليه دومًا ارتقاء ...

صفقة تضمن الوثب إلى أعلى ...

لهذا لم يعارض فى زواج ( فؤاد ) من ( ناهد ) ، على الرغم من أنه أتى أساسًا للزواج من ( شريفة ) ...

ولكن ( أمجد ) ظل يلتقى بـ ( شريفة ) ، على الرغم من رفض ( حسين ) ...

وهنا طبَّق ( حسين ) شريعته ...

شريعة القوة والنفوذ ...



شريعة الغاب ...

« لست أفهم ، لمـــاذا ترفض ( شريفة ) الزواج من ( عبد الحكيم ) ، على الرغم من عنو ... »

بتر حديثه دفعة واحدة ، قبل أن يكمل كلمة ( عنوستها ) ، ولكن ( ناهد ) فهمت ما يريد قوله ، فهتفت ثائرة :

ــ ( شريفة ) ست بنات القرية كلها ، ولو أرادت الزواج ، ستغلق طرقات القرية من طوابير الشباب .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لماذا ؟!... هل سيعتقل ( حسين ) بك من لا يتقدَّم للزواج بها ؟!..

احتقن وجهها فى شدة ، قبل أن تقول فى لهجة متحدية :

ــ كيف حال شقيقك الآن ؟!

انتقل احتقان الوجه إليه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ ومن أتى على ذكر شقيقى الآن ؟!

أجابته متشفية :

ــ إنه مجرَّد سؤال .

هتف فى غضب :

ــ سؤال لا محل له .

ابتسمت فى ظفر ، مغمغمة ، وهى تشيح بوجهها :

ــ كما تشاء .

ظل وجهه محتقنًا ، وهو يدرك أنها قصدت إغاظته ، ثم قال فى تحد ، لم يكن له ما يبرره :

ـ هل أخبرتك ( نعيمة ) شيئًا ؟!

سألته فى لامبالاة :

ـ بشأن ماذا ؟!

مال يجيبها ، بنفس اللهجة المتحدية :

ـ بشأن ( طارق ) و( نادرة ) .

التفتت إليه فى حركة حادة ، وهى تهتف :

ـ ماذا عنهما ؟!

راقه أن أفزعها ، فتراجع فى مقعده ، يجيب :

ـ كنت أتصورّ أنها تعلم شيئًا عنهما .

قالت فى عصبية :

ـ أى شىء تقصد ؟!

قال فى بطء :

ـ الواقع أننى لمحتهما وسط الحقول ، أثناء عودتى من ( طنطا ) .

ثم مال إلى الأمام فى حركة حادة ، مضيفًا بلهجة متشفية :

ـ وكانا يتعانقان .



وارتج جسد ( ناهد ) فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ...

فقد كانت هذه أقوى صفعة تلقتها فى حياتها ...

أقواها بالفعل .

* * *

# 4 ـ التـــاريخ ..

بذل ( إبراهيم مكى ) جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على أعصابه ، وهـو يجلس داخل القصر الجمهورى ، فى انتظار مقابلة ( حسين البنهاوى ) ...

لم يكن يستطيع تقبل هذا على الإطلاق ...

( حسين البنهاوى ) صار فى موقع ، يسمح له باستدعائه ...

يالسخرية القدر !!...

إنه لم ينس أبدًا أن المرة الأولى ، التى التقى فيها ( حسين البنهاوى ) ووالده ، كانت عندما كان هو ضابطًا فى البوليس السياسى ، و( حسين ) مجرَّد طالب فى الكلية الحربية ...

وكان هو يعتقله ووالده ، بتهمة مناهضة النظام الملكى ...

ثم جذب الضباط الأحرار ( حسين ) إليهم ...

أو أنه هو جذبهم إليه ...

وبترقية استثنائية تلو الأخرى ، صار ( حسين ) مساويًا له ، على الرغم من أنه هو درَّبه فى البداية ، ثم سرعان ما صعد ( حسين ) ، وتغلبت شهوته للسلطة على الشهامة الريفية فى أعماقه ، وصار ذئبًا مثله ، ولكن بمخالب أطول ، وأنياب أكبر و أحد ...

ومع ترقيته وصعوده فى السلطة ، تحولَّ من ذئب إلى وحش ..

وحش مفترس ، لا يعرف الرحمة ...

وحش لا يتردَّد لحظة فى سحق كل ما يعترضه أو يعترض طريقه ...



ودون ذرة واحدة من شفقة أو رحمة ...

« ( إبراهيم ) بك ... »

انتزعه صوت ( لطفى ) ، مدير مكتب ( حسين ) الشاب من ذكرياته ، وهو يستطرد فى احترام :

ـ ( حسين ) بك سيلتقى بك الآن .

تضـاعف الحنق فى أعمـاق ( مكى ) ، وهـو ينهض لدخـول مكتب ( حسين ) ...

( حسين ) بك سيلتقى به !!..

حقًا ... يا لسخرية القدر !!...

انعقد حاجباه ، عندما دخل المكتب ، الذى بدا له أفخم بكثير مما تصورَّه ، فى حين نهض ( حسين ) يستقبله فى مودة مدروسة ، وصافحه قائلاً :

ـ معذرة لانتظارك يا ( إبراهيم ) ... كنت أتحدَّث مع الرئيس فى أمر هام وعاجل .

كانت أوَّل رسالة يرسلها ( حسين ) إلى ( مكى ) ؛ ليخبره فيها أنه قد بلغ شأنًا يسمح بالتحدث مع الرئيس مباشرة وشخصيًّا ...

ولأن ( مكى ) أستاذ تآمرات ، فقد استقبل الرسالة فى تماسك ، وهو يغمغم :

ـ كان الله فى عونك يا ( حسين ) بك .

ربَّت ( حسين ) على كتفه :

ـ ( حسين ) فقط يا ( إبراهيم ) ... إنها عشرة عمر .

كان نوعًا من التواضع المدروس ، الذى علمه إياه ( مكى ) نفسه فيما سبق ، لذا فقد ابتسم وهو يغمغم :

ــ بالطبع .

دعاه ( حسين ) للجلوس ، وجلس على المقعد المقابل له ، وهو يسأله بابتسامة :

ــ كيف أحوال العمل فى الجهاز ؟!

أجابه ( مكى ) فى هدوء :

ــ على خير ما يرام .

كان ( حسين ) يهم بقول شىء آخر ، عندما بادره ( مكى ) على نحو مباشر :

ــ ترى ما سر هذا الاستدعاء ؟!

بقى ( حسين ) جامدًا لحظة ، وكأنه لم يستوعب تلك المباشرة غير المتوقعة ، ثم لم يلبث أن تراجع فى مقعده ، وطرح المجاملات جانبًا ، وهو يسأله :

ــ هل تتابع تحركات الكبار هذه الأيام يا ( إبراهيم ) ؟!

سأله ( مكى ) فى حذر :

ــ من أية ناحية ؟!

سأله ( حسين ) فى اهتمام :

ــ هل بلغك ما حدث ، فى جلسة الاتحاد الاشتراكى ؟!

أدرك ( مكى ) ما يعنيه ( حسين ) ، فاعتدل بدوره ، وهو يقول :



ــ هذا جزء من عملى ... أعلم أن الأعضاء لم يحسنوا استقبال سيادة الرئيس ، وهتفوا باسم ( جمال ) .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ــ ولكن سيادة الرئيس سيطر على الموقف .

أشار ( حسين ) بيده ، وهو يقول :

ــ سيادة الرئيس سيطر على الموقف ، لأنه أكثر ذكاءً ودهاءً مما كان الكل يتصوَّر ، ولديه قدرة مدهشة على فهم الأمور ، واستيعاب ما يدور حوله .

تمتم ( مكى ) :

ــ هذا ما يبدو واضحًا .

مال ( حسين ) نحوه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ ولهذا فسيادة الرئيس يدرك أن الذين دبروا هذا يحيكون شيئًا ما من حوله .

تساءل ( مكى ) فى اهتمام حذر :

ــ والمطلوب منى ؟!

ابتسم ( حسين ) ، وهو يميل نحوه أكثر :

ــ نفس ما علمتنى إياه ، فى بداية حياتى ... اختر الجبهة الرابحة ، حين تحين لحظة المواجهة ...

تطلَّع إليه ( مكى ) فى صمت ، وهو يحبس تساؤلاته فى أعماقه ... يختار الجبهة الرابحة ؟!...

المبدأ صحيح ، ولكنه لا يجيب السؤال ...

من هى الجبهة الرابحة ...

الغاضبون من ( السادات ) هم كل قيادات ( مصر ) ، ورءوس قوتها ... الجيش ...

والمخابرات ...

والداخلية ..

والإعلام ...

والاتحاد الاشتراكى ...

وحتى سكرتير الرئيس نفسه ...

فى يدهم كل مقاليد القــوة بلا استثناء ، فماذا لدى ( السادات ) ؟!... الشرعية ؟!..

وهل يمكن للشرعية وحدها ، أن تقف فى وجه كل القوى فى ( مصر ) ؟!

و( حسين ) يطلب منــه اختيــار الجبهــة الرابحــة ، فمــاذا يقصد يا ترى ؟!...

هل يختبره ؟!...

هل يعلنه أنه مع الآخرين ، مستغلاً موقعه ؟!...

أم ماذا ؟!...

دار كل هذا فى ذهنه ، فى لحظة واحدة ، غمغم بعدها :

ــ سأختار حتمًا الجبهة الرابحة .



ثم استدرك فى سرعة :

ــ إذا ما حدثت المواجهة ...

تراجع ( حسين ) فى مقعده فى بطء ، وهو يتطلّع إليه بنظرة ، بدت بالنسبة لــ ( مكى ) وكأنها تحمل معان بلا حدود ، وصمت بضع لحظات ، قبل أن ينهض إلى ما خلف مكتبه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ المهم أن يكــون موقفك واضحًا ، قبــل أن تنحسم الأمــور ، وليس بعدها .

ورمق ( مكى ) بنظرة بالغة الصرامة ، وهو يكرر :

ــ قبلها يا ( إبراهيم ) ...

وكما حدث فى البداية ، استقبل ( مكى ) الرسالة الجديدة ...

تمامًا ...

* * *

« كيف حال نسيبى العزيز ؟!... »

قالها ( عمر ) بابتسامة كبيرة ، وهو يدلف إلى مكتب ( مفيد ) ، فى مصنع الغزل والنسيج ، فابتسم ( مفيد ) ابتسامة شاحبة باهتة ، وهو يغمغم :

ــ فى خير حال يا ( عمر ) ... أسبوع واحد ، وينتهى جرد كل أقسام المخازن .

جلس ( عمر ) على مقعد مواجه لمكتب ( مفيد ) ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

ـ من الواضح أن قرار تعيينك هنا ، كان أفضل قرار اتخذته فى حياتى ... لقد أعاد إلينا ( مفيد ) الذى نعرفه ، وهذا أهم ما فى الأمر .

غمغم ( مفيد ) :

ـ الفضل لله سبحانه وتعالى ، ثم لك يا ( عمر ) .

مال ( عمر ) نحوه فى مودة :

ـ الفضل لله عزَّ وجلَّ وحده يا نسيبى العزيز .

ثم اعتدل ، يسأله فى حيرة :

ـ ولكن لماذا أرى الحزن فى عينيك طوال الوقت ؟!

رفع ( مفيد ) عينيه الحزينتين إليه ، وهو يتساءل فى مرارة :

ـ ألا تعلم حقًّا لماذا ؟!

تنهَّد ( عمر ) فى حرارة ، قبل أن يقول :

ـ إننى لم أسألك أبدًا كيف كان لقاؤك مع ( مديحة ) .

غمغم ( مفيد ) :

ـ وليس هذا وقت السؤال .

نطقها فى حزن شديد ، ضاعف من فضول ( عمر ) لمعرفة ما حدث ، إلا أنه بذل جهده ؛ ليخفى فضوله هذا فى أعماقه ، احترامًا لمشاعر ( مفيد ) ، وهو يقول ، محاولاً الابتسام :

ـ ألا يدهشك أن كلينا قد انشغل بمفاجأة العثور على ( مديحة ) ، فلم تخبرنى حتى الآن ماذا كنت تريد منى يومها ، وأنا لقلة ذوقى لم أسألك أبدًا .



غمغم ( مفيد ) :

ـ أنت أبو الذوق كله يا ( عمر ) .

ابتسم ( عمر ) ، ومال نحوه قائلاً :

ـ ماذا تكون أنت إذن ... هه ... هيا أخبرنى ماذا كنت تريد يومها ، ولم تخبرنى به ؟!

تردَّد ( مفيد ) لحظات ، فمال ( عمر ) أكثر عبر المكتب ؛ ليربت على كتفه ، وهو يقول فى حماس :

ـ هات ما لديك يا نسيبى العزيز ... لو أنك تطلب عينى ، فسأقتلعها وأهديك إياها ، عن طيب خاطر .

ابتسم ( مفيد ) ابتسامة ( باهتة ) ، وهو يقول :

ـ إنه شىء أقرب إلى عينك ، ولكنه ليس لى أنا فى الواقع .

تراجع ( عمر ) ؛ ليعود إلى مقعده ، وهو يتساءل فى فضول واهتمام :

ـ لمن إذن ؟!

أجابه ( مفيد ) :

ـ ( طارق ) .

عاد ( عمر ) يبتسم ، وهو يقول فى حماس :

ـ عيناى لحفيد ( البنهاوى ) ... إننى أحترم هذا الصبى وأحبه فى الواقع ، خاصة وأنه يذكرنى بصباك يا ( مفيد ) .

تنهَّد ( مفيد ) ، وهو يقول :

ـ سبحان الله ... التاريخ يعيد نفسه بالفعل يا ( عمر ) ، وكأنما هى دورة ، تتكررُ كل جيل .

وافقه ( عمر ) بإيماءة من رأسه ، وهو يسأل مبتسمًا :

ـ وماذا يريد ( طارق ) باشا بالضبط ؟!

مال ( مفيد ) نحوه ، قائلاً :

ـ أنت قلت : إن ( طارق ) يذكرك بصباى ، فهل تذكر متى أحببت أنا ( مديحة ) ابنة عم ( إسماعيل ) .

ضحك ( عمر ) وهو يقول :

ـ كنت فى مثل سنه تقريبًا :

ـ تراجع ( مفيد ) ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك : إن التاريخ يعيد نفسه ؟!

حاول ( عمر ) أن يربط الحديثين ببعضهما البعض ، وهو يتساءل :

ـ ومن يحب ( طارق ) باشا بالضبط ؟!

تنحنح ( مفيد ) ، والتقط نفسًا عميقًا ، وكأنما يمهد نفسه لقول ما لديه ، قبل أن يشحذ كل همته ، ويجيب فى توتر :

ـ ابنتك ... ( نادرة ) .

« يا للمصيبة !!... »



لطمت ( نعيمة ) صدرها ، وهى تصرخ بالكلمة فى ارتياع ، جعل ( عمر ) يقول فى دهشة :

ـ مصيبة ؟!... وأية مصيبة فى هذا ؟!.. ابن خالها ، وحفيد عائلة ( البنهاوى ) ... هل تحلمين لابنتك بأفضل من هذا .

صاحت مستنكرة :

ـ إنه ابن ( فاطمة ) .

قال فى صرامة :

ـ بل ابن ( حافظ البنهاوى ) .

لطمت صدرها مرة أخرى ، وهى تهتف :

ـ يا لمرارى !!... ابنتى الوحيدة ، ألقيها بنفسى فى المستنقع .

احتقن وجه ( عمر ) ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا أستطيع أن أفهمكم أبدًا يا آل ( البنهاوى ) ... متباهون ومتغطرسون دومًا بحسبكم ونسبكم ، على الرغم من أن هذا الحسب والنسب يبدأ من والدكم فحسب ، والذى جاء إلى القرية فقيرًا معدمًا حافيًا ، كما يذكر الكل .

صرخت :

ـ أبى كان سيد الرجال .

تجاهل تعليقها تمامًا ، وهو يواصل بنفس الحدة :

ــ ومن الخارج تبدون أسرة قوية متماسكة ، تنعم بسطوة ونفوذ وديكتاتورية ( حسين ) باشا ، الذى يبنى مجد الأسرة بالدم والسيف والكرباج .

صرخت فى انفعال أكثر :

ــ لا تمس أخى ( حسين ) بحرف واحد .

علا صوته ، وهو يواصل فى حدة أكثر :

ــ ولكن من الداخل ، أنتم مجرَّد أعواد حطب متفرقة ، كل منكم يحيا فى واد منعزل عن الباقين ، ولا يجمعكم سوى سراى ، بات بالنسبة لى أشبه بالسجن الحربى ، دخوله هو قمة كوابيسى .

صاحت فى انفعال شديد العصبية :

ــ قل ما يحلو لك . ولكن ابنتى الوحيدة لن تتزوَّج ابن ( فاطمة عبد الحميد ) أبدًا .

قال فى خشونة صارمة :

ــ للمرة الأخيرة أخبرك أن ( طارق ) ليس ابن ( فاطمة عبد الحميد ) ... إنه ابن ( حافظ البنهاوى ) ، شقيق ( حسين البنهاوى ) ، كبير أكابر هذا البلد .

هزَّت رأسها فى قوة وعناد ، صارخة :

ــ تلك الحقيرة لن تنفذ مآربها ، وتفوز بنسب جديد لعائلة ( البنهاوى ) .

بدا غضب ( عمر ) هادرًا ، وهو يقول :

ــ وماذا لو أن ( نادرة ) تبادله حبًّا بحب ؟!



هتفت :

ــ مستحيل !

انعقد حاجباه فى شدة ، وصاح :

ــ ( نادرة ) ... تعالى .

دخلت ابنته ترتجف ، مع ما تناهى إلى مسامعها من شجارهما ، وهى تغمغم :

ــ نعم يا أبى .

قبل أن تنفرج شفتاه ، صرخت فيها ( نعيمة ) :

ــ هل ما يقوله والدك صحيح يا قليلة الأدب والحياء ؟!

زمجر ( عمر ) معترضًا ، فى حين انكمشت ( نادرة ) فى خوف ، وهى تجيب مرتجفة :

ــ ( طارق ) ابن خالى ، وهو شهم ومحترم ، و ...

قاطعتها بصوت أشبه بعاصفة عاتية :

ــ هل تحبينه ؟!

انكمشت البنت أكثر وتطلعت إلى والدها فى خوف ، قبل أن تهمس :

ــ نعم ... إنه ...

فى هذه المرة لم تقاطعها صرخة أمها ...

لقد قاطعتها صفعة قوية على وجهها ...

صفعة لم تهو على وجهها فحسب ...

ولكن على قلبها الصغير ...

وبمنتهى منتهى القسوة ...

★ ★ ★

مطّت الأميرة عايدة شفتيها فى ازدراء ، وهى تمشط شعرها الطويل ، أمام مرآة حجرة النوم ، التى عكست صورة ( حسين ) ، وهو يرتدى ثياب النوم ، وقالت فى بطء :

ــ هل تثق به ؟!

سألها بلا اهتمام :

ــ من ؟!

قالت فى ضيق :

ــ ( إبراهيم مكى ) بالطبع .

صمت لحظات ، وهو يكمل ارتداء ثيابه ، قبل أن يتجه نحو فراشهما ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ أخبرتك من قبل أنه هناك فارق كبير ، بين أن أعمل مع شخص أثق فى قدراته ، أو أثق فى شخصه ... ( مكى ) أستاذ فى مضماره ، وعقليته تآمرية من الطراز الأوّل ، وقدرته على فهم الأمور ، واستيعاب التطوّرات مدهشة ، ولهذا أحاول دومًا ضمه إلى صفى ؛ لأن العكس يخلق خصمًا رهيبًا ، تكلف مواجهته الكثير من الجهد والوقت ، مع احتمالات غير محدودة للخسارة .



التفتت تحدّق فيه فى دهشة ، وهو يندس تحت الغطاء ...

لقد اختلف كثيرًا عن يوم عرفته ...

اختلف عن ( حسين ) الريفى الهادئ الشهم ...

( حسين ) الذى خدعته ؛ وأوهمته بحبها ، لكى تحصل منه على تصريح بالسفر ، يتيح لها الذهاب إلى ( باريس ) ، حيث أموالها ومجوهراتها ...

إنه الآن ( حسين ) آخر ...

( حسين ) مختلف ...

تمامًا ...

لقد صار قويًا ، حاسمًا ، حازمًا ، صلبًا ، واثقًا ...

حتى مشاعره اختلفت ...

لم تعد قوية كما فى السابق ...

ولم يعد من السهل التلاعب بها ...

ولكن العجيب أن هذا ما تحبه فى الرجال ...

كل الرجال ، الذين ارتموا تحت أقدامها حبًا وولهًا ، طوال مشوار حياتها ، لم يحظ أحدهم بذرة من احترامها ...

كلهم كانوا بالنسبة لها مثالاً للضعف البشرى الذكورى ، فى أسوأ صورة ...

ولأنها قوية ، فهى لا تقبل الضعف فى الرجال ...

لا تقبله أبدًا ...

تأملت ( حسين ) بضع لحظات ، وهو يراجع بعض الأوراق فى الفراش ، وكأنها تراه لأوّل مرة ، على الرغم من فترة زواجهما الطويلة نسبيًّا ، وشعرت فى أعماقها بشعور عجيب ، لم تشعر به من قبل قط ...

شعور الأنثى ، التى تزهو بأنها زوجة ...

وفى بطء ، وبحركات أنثوية مدروسة ، خلعت روبها المنزلى ، وضبطت هندام ثوب النوم الحريرى القصير ، ثم اندست تحت الغطاء إلى جواره ، وهى تميل نحوه ؛ لكى يصل عطرها إلى أنفه ، قائلة :

ــ أمن الضرورى أن تواصل العمل ، حتى ونحن فى الفراش ؟!..

غمغم ، دون أن يلتفت إليها :

ــ إنه تفريغ لبعض التسجيلات الهاتفية الهامة .

قالت فى دلال ، وهى تلتصق به :

ــ ألا يمكنه أن ينتظر للغد ؟!..

تسلل عطرها الأنثوى الرقيق إلى أنفه بالفعل ، ودغدغ مشاعره الذكورية على نحو خاص ، فوضع الأوراق جانبًا ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ يمكنه بالطبع .

أطلقت ضحكة ناعمة رقيقة ، تحمل كل علامات الدلال الأنثوية ، مع دعوة صريحة للحب ، فالتفت إليها بجسده كله ، واحتواها بين ذراعيه ، ولكنه فوجئ بها تسأله فى دلال :

ــ ( حسين ) ... لماذا لم ننجب حتى الآن ؟!



أدهشه السؤال ، فى هــذه اللحظــة بالذات ، فهمس فى أذنها ، وهو يضمها إليه أكثر :

ــ المفترض أن أطرح أنا عليك هذا السؤال ؛ فأنت من ترفض الإنجاب منذ زواجنا .

انعقد حاجباها الجميلان فى شدة ، وهى تترك نفسها بين ذراعيه ...

إنه على حق ...

منذ زواجهما وهى ترفض فكرة الإنجاب ...

ربما لأنها اعتبرت زواجها منه مجرَّد نزوة ، أو انفعال مؤقَّت ، لن يلبث أن يزول . .

أو ربما لأن عشقها لجسدها يفــوق إحساسها بالرغبة فى الأمومة ، والكامن فى أعماق كل أنثى ...

أو لأنها ، مع ( حســين ) القديم ، لم تكن ترغــب فى ارتبــاط أبدى بطفل ...

أما مع ( حسين ) الجديد ، فهى ترغب فى هذا ...

بل وتشتاق إليه ...

تشتاق إلى ابن ، يحمل اسم ( حسين البنهاوى ) ...

بدت لها الفكرة عابثة بضع لحظات ، إلا أنها لم تلبث أن شعرت بالارتياح لها ، فأحاطت عنق ( حسين ) بذراعيها البضين ، وهى تهمس :

ــ هل ترغب فى ذكر أو أنثى ؟!

أجاب ، وهو يقبل وجنتها :

ــ ذكر بالطبع ... ( بنهاوى ) صغير ، يرث أرض ( البنهاوى ) وسراى ( البنهاوى ) .

ضحكت هامسة :

ــ مازلت فلاحًا كما أنت .

همس :

ــ وأنت ازددت جمالاً ، و ...

قبل أن يتم كلمات الغزل ، ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراشهما فجأة ، على نحو جعل ( عايدة ) تنتفض هاتفة فى استنكار :

ــ فى هذا التوقيت !! . .

استدار هو يلتقط سماعة الهاتف فى سرعة ؛ لأنه يعلم أن قليلين فقط من يجرءون على الاتصال به ، فى مثل هذه الساعة ، وهتف :

ــ من ؟!

أتاه صوت ( لطفى ) مدير مكتبه ، وهو يقول فى اضطراب شديد :

ــ سيدى ... لابد وأن تأتى فورًا .

اعتدل ( حسين ) ، وهو يسأله فى توتر :



ــ ماذا حدث يا ( لطفى ) ؟!

انتبهت كل حواس ( عايدة ) ، فى انتظار معرفة الأمر ، ولكنها ، وعلى الرغم من أنها قد أرهفت سمعها ، لم تسمع ما قاله ( لطفى ) ، ولكنها رأت تأثير كلماته فى وجه ( حسين ) وملامحه ...

فلقد كان من الواضح أنه يتلقى صدمة عنيفة ...

بكل ما تحمله الكلمة من معان ...

★ ★ ★

# 5 ـ القـــــوى ..

« ماذا تريد منى يا أستاذ ( مفيد ) ؟!... »

تراجع ( مفيد ) مصدومًا ، عندما استقبلته ( مديحة ) بهذا السؤال ، فى عصبية بالغة ، أمام مقر الشركة ، التى تعمل فيها فى ( الإسكندرية ) ، وغمغم فى ألم :

ــ أستاذ ؟!

صاحت به فى حدة :

ــ ماذا تريد منى ؟!... وماذا أفعل لتتركنا فى حالنا ؟!... إنك تطاردنى فى كل مكان ، وشقيقك بطاردك ، وينكل بنا نحن .

خفض عينيه مصدومًا ، وهو يقول فى مرارة :

ــ لم تكن لى يد فى هذا .

قالت فى شراسة ، تتعارض تمامًا مع صورتها الجميلة ، التى عاشت فى ذهنه طويلاً :

ــ ولم تكن لك قدرة على حمايتنا أيضًا ...

رأته يتراجع وينكمش فى انهــزام ، فخففت مــن حدتها وشراستها ، وهى تضيف :

ــ أستاذ ( مفيد ) ... أنت إنسان طيب ، وصادق وكبير القلب .

ثم مالت نحوه ، واستعادت جزءًا من شراستها ، مردفة :



ــ ولكنك ضعيف .

انتفض جسده كله فى عنف ، كما لو أنها قد استجمعت كل مشاعرها فى صفعة واحدة ، هوت بها على كيانه كله ...

ضعيف ؟!...

إنها أوّل مرة فى حياته ، يصفه فيها أحد بالضعف ...

مشكلته طوال حياته هى أنه يرفض الضعف ...

من أجل هذا كان الوحيد ، الذى يواجه ( حسين ) فى قوة ...

والوحيد الذى لا يخشى قول مالديه ...

الوحيد الذى اعتقله شقيقة ؛ ليكسر قوته واندفاعه ...

ولكنها على حق ...

إنه ضعيف ...

شقيقه ( حسين ) نجح فى سلبه قوته ، وكسر قلبه وإرادته ...

سلطته ونفوذه ، وتلك العقدة النفسية التى تحكم حياته ، والتى يطلق هو عليها اسم ( هرم البنهاوى ) ، جعلته قاسيًا عنيفًا ، لا يعرف الرحمة ، ولايرى فى حياته كلها إلا أمرين ...

طموحه وتفوقه ...

وأرض ( البنهاوى ) ...

ولقــد حاول التصدى له أكثر مــن مــرة ، ولكن الأمر كان أشبه بشبل صغير ، يحاول منع زعيم قطيع الأفيال ، من بلوغ النهر ...

وما يفعله ( حسين ) مع كل من يعترض طريقه ، لم يتردَّد لحظة فى أن يفعله معه ...

سحقه ...

حطمه ...

كسر إرادته ...

وبكل السبل الممكنة ...

فعندما يستفز شىء ما سلطة ( حسين ) وسطوته ، فهو لا يعرف الرحمة ...

وليست لديه طرق ، لا يمكنه أن يسلكها ...

وربما لهذا استعان بذلك الحقير ( جودة ) ...

أخرجه من المعتقل ، وأعاده إلى مقهاه فى البلدة ، ليس ليصير عينًا وأذنًا له فحسب ، ولكن لكى يقود ( مفيد ) إلى طريق جديد ، يبعده عن مسار حياته تمامًا ...

طريق غياب العقل وضعف الإرادة ..

طريق المخدرات ...

« أستاذ ( مفيد ) ... انصرف أرجوك ... »

انتزعته ( مديحة ) من أفكاره بهذه العبارة الصارمة ، فتطلَّع إليها بعينين حزينتين بائستين ، وهو يغمغم فى مرارة :

ــ ألا تمنحيننى دقائق قليلة ، لكى ...



قاطعته فى صرامة :

ــ لا يا أستاذ ( مفيد ) ... إننا نقف أمام مقر عملى ، الذى أفنيت عمرى من أجله ، والذى لن أسمح لك بطردى منه هذه المرة .

تراجع كمن تلقى صفعة ، وهو يهتف بصوت مختنق :

ــ طردك !!

استعادت شراستها ، وهى تميل نحوه ، وكأنها تهم بافتراسه ، قائلة :

ــ تركنا القرية إلى ( القاهرة ) ، ولكنك ظهرت فى حياتى ، واضطررت أبى رحمه الله إلى نقلنا إلى هنا .

اتسعت عيناه ، وهو يهتف :

ــ ياه ! ... هل مات عم ( إسماعيل ) ؟!...

أجابته فى شراسه مضاعفة :

ــ نعم ... مات مقهورًا ... بسببك .

تراجع مصعوقًا ، فى حين اعتدلت هى ، مضيفة فى مقت واضح :

ــ ولم يعد لى الآن سوى زوجى وأولادى ... ولن أخسرهم بسبب إنسان ضعيف مثلك .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهى تتركه ، وتندفع لعبور الشارع ، إلى حيث مقر عملها ...

زوجها وأولادها ؟!...

كيف لم يخبره ( عمر ) بهذا ؟!

كيف ؟!

وكالميت الحى ، راح يسير بمحاذاة كورنيش الإسكندرية ...

وكان الجو لطيفا ، فى تلك الفترة من العام ...

ولكن الأمطار كانت تنهمر ...

تنهمر من عينى ( مفيد ) ...

وبكل غزارة ...

« هل سمعت ما حدث ؟!... »

اندفع ( عمر ) إلى مكتبه ، وهو يهتف بالسؤال فى انفعال ، فرفع ( مفيد ) عينيه إليه بمشاعر خاوية ، وهو يغمغم :

ـــ وماذا حدث ؟!

مال ( عمر ) ؛ ليستند على سطح مكتبه براحته ، وهو يكمل فى حماس انفعالى :

ـــ كل الكبار ، الذين كنا ترتجف لمجرَّد ذكر اسمهم .

غمغم ( مفيد ) :

ـــ ماذا عنهم ؟!

اعتدل ( عمر ) ، ولوَّح بذراعيه فى الهواء ، وهو يهتف :

ـــ السادات أطاح بهم جميعًا .



ثم ضم قبضته ، والتمعت عيناه ، مضيفًا :

ـــ وبضربة واحدة ...

واتسعت عينا ( مفيد ) ...

بكل دهشة الدنيا ...

* * *

تلك الأيام كانت ساخنة وملتهبة بالفعل ...

كل القوى فى ( مصر ) اجتمعت ضده ...

وزير الحربية ...

ووزير الداخلية ...

ووزير الإعلام ...

ومدير المخابرات ...

ورئيس مجلس الشعب ...

وحتى سكرتير مكتبه نفسه ...

وبكل حسابات الدنيا ، كان من الضرورى أن ينجح هذا التحالف المخيف فى الإطاحة بالسادات ، وإحكام قبضته على ( مصر ) ...

ولكن دهاء ( السادات ) فاق كل التوقعات ...

حتى توقعات خصومه أنفسهم ...

لقد تقدموا جميعًا باستقالتهم دفعة واحدة ، وتبعهم المئات من قيادات الاتحاد الاشتراكى ، التنظيم السياسى الوحيد بالبلاد ، فى ذلك الحين ...

استقالة جماعية ، أصابت ( مصر ) كلها برجة عنيفة ، وبحالة من الذعر والفزع ، باعتبار أن هذا يخلق فراغًا دستوريًا مباغتًا ، يمكن أن يؤدى إلى فوضى عارمة فى البلاد ...

وفــور إعلان الاستقالات ، تصوَّر الكل أنه لن تشرق شمس الغــد ، إلا ويكون ( السادات ) خلف القضبان ، والكبار يدرسون من سيجلس منهم مكانه ، على كرسى الحكم ...

ولكن ( السادات ) تحرَّك فى سرعة ، لم تخطر ببال أحد ...

أعلن قبول الاستقالات ، وبعد دقائق كان وزراء الحربية والداخلية والإعلام الجدد ، يؤدون أمامه اليمين الدستورية ، ويحملون خطابات تنصيبهم إلى وزاراتهم ، فى نفس الوقت الذى تحرَّك فيه الحرس الجمهورى ، بقيادة ( الليثى ناصف ) ، ليعتقل كل المستقيلين دفعة واحدة ، وفى توقيت واحد تقريبًا ، ويلقيهم فى السجون ...

الكل عمل طوال الليل ، حتى لم تشرق شمس اليوم التالى ، إلا وكان الرئيس ( السادات ) يسيطر على البلد ، وكل خصومه لا يملكون حتى السيطرة على زنازينهم ...

وبقدر ما كانت صدمة الشعب ، كان انبهاره برئيسه ، الذى حل محل الزعيم الراحل ...

وانتشت القلوب والعقول والأجساد ، بخبر سقوط أولئك ، الذين كانت ترتجف لذكرهم القلوب !..



ولأوَّل مــرة ، منــذ توليه الرياســة ، خــرج الناس إلى الشارع ، يهتفون باسم ( السادات ) ، الذى أزال حملاً جثم طويلاً ، على قلوبهم وصدورهم ...

« الآن يبدأ عهد جديد ... »

قاله ( حسين ) فى نشوة ، وهو يتطلع عبر نافذة مكتبه ، قبل أن يلتفت إلى ( إبراهيم مكى ) ، متسائلاً بابتسامة :

ـــ هل كنت تتوقَّع هذا بالله عليك ؟!

هزَّ ( مكى ) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب :

ـــ مطلقًا .

ثم اعتدل ، مضيفًا :

ـــ بكل حسابات الدنيا ، كان من الطبيعى أن أنحاز إليهم ، وليس إلى الرئيس ؛ فهم يملكون كل مفاتيح القوة ، فى أى بلد .

ابتسم ( حسين ) مغمغمًا :

ـــ لهذا أطلق عليهم سيادة الرئيس اسم ( مراكز القوى ) .

أومأ ( مكى ) برأسه إيجابًا ، فتحرك ( حسين ) ليجلس أمامه ، متسائلاً :

ـــ لماذا إذن اخترت جبهة سيادة الرئيس وليس جبهتهم ؟!

صمت ( مكى ) لحظة ، ثم مال نحوه ، مجيبًا :

ـــ الكراهية .

تراجع ( حسين ) فى دهشة : الكراهية ؟!... اخترت جبهتنا ، فقط لأنك تكرههم ؟!

أطلق ( مكى ) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول :

ــ أنت تعرفنى أفضل من هذا بكثير يا ( حسين ) بك ... العواطف والمشاعر لم تدخل فى حساباتى قط .

وارتسمت تلك الابتسامة الذئبية الخبيثة على شفتيه ، وهو يضيف :

ــ وأظننا نتفق كثيرًا فى هذا .

لم يرق القول الأخير لــ ( حسين ) ، إلا أنه تجاوزه ، وهو يسأل ( مكى ) فى اهتمام :

ــ لماذا وصفت السبب بمصطلح ( الكراهية ) إذن ؟!

أشار ( مكى ) بيده ، مجيبًا :

ــ أولئك الرجال كانوا يملكون مفاتيح القوة ، إلا أنهم كانوا مكروهين من الشعب بشدة ، وكان هذا يعنى أن أحدًا من الشعب لن يقف إلى جوارهم ، إذا ما حدثت المواجهة .

قال ( حسين ) فى تشكك :

ــ ولكن مع كل ما يملكونه من قــوى ، لم يكونوا بحاجة إلى الشعب ، إذا ما ضربوا ضربتهم .

رفع ( مكى ) سبَّابته ، قائلاً :



ــ إذا ... لا تنس كلمة إذا هذه ... لقد قضيت ليلتين كاملتين ، أدرس فيهما ملفاتهم جميعًا ، قبل أن أدرك حقيقة هامة .

مال ( حسين ) نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ــ وما هى ؟!

أشار ( مكى ) بيده ، مجيبًا :

ــ لقد كانت لديهم ثقة مفرطة فى قوتهم ، تجعلهم لا يتخيلون أن يجرؤ إنسان على الوقوف أمامهم ، ولا حتى الرئيس نفسه ... ثم أن أساليبهم كلها اعتمدت على تلك الثقة المفرطة ، والتى بلغت فى الواقع حد الغرور ، حتى أنهم لن يعمدوا إلى ضرب ضربتهم دفعة واحدة ... ولو فعلوا لسقط الرئيس فى قبضتهم ، قبل حتى أن يدرك ما حدث .

غمغم ( حسين ) :

ــ من حسن الحظ أنهم لم يفعلوا .

مال ( مكى ) نحوه ، قائلاً فى حزم واثق :

ــ كان من المستحيل أن يفعلوا .

بدت الدهشة فى عينى ( حسين ) ، فتابع ( مكى ) مبتسمًا :

ــ لقد افترضوا أن انتصارهم أمر محسوم ، وأرادوا أن يسبقوه بمشهد درامى ، يمهد الشعب لاستقبال ما سيحدث ... وبينما يعدون المسرح لمشهدهم الدرامى ، باغتهم ( السادات ) من الكواليس ، وأنهى المسرحية قبل أن تبدأ .

حدّق فيه ( حسين ) لحظات ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ مشهد ومسرحية وكواليس ؟!... أشعر أننى أجلس مع ( يوسف وهبى ) ، وليس مع ذنب الذئاب .

غمغم ( مكى ) مستنكرًا :

ـ ذنب الذئاب ؟!

ضحك ( حسين ) مرة أخرى :

ـ هذا مدح وليس ذمًا يا صديقى .

حاول ( مكى ) أن يبتسم مجاملاً ، فى حين تابع ( حسين ) فى اهتمام :

ـ هل تعلم لماذا أردتك أن تنضم إلينا يا ( إبراهيم ) ؟!

غمغم ( مكى ) فى حذر :

ـ صداقتنا ؟!

ضحك ( حسين ) ، مجيبًا :

ـ صداقتنا ؟!... لقد قلتها بنفسك يا ( إبراهيم ) ... لا شأن للعواطف أو المشاعر فى حساباتنا .

تساءل ( مكى ) ، وحذره يتزايد :

ـ لماذا إذن ؟!



مال ( حسين ) نحوه ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يسند مرفقيه على فخذيه ، قائلاً فى جدية :

ـ المواجهة بين سيادة الرئيس ومراكز القوى كانت حتمية ، وخاصة بعد أن عزل ( على صبرى ) ، الرجل القوى فى البلاد ، من رياسة الاتحاد الاشتراكى ، الذى غضب عليه سيادة الرئيس ، منذ أساء أعضاؤه استقباله ، فى أوّل خطبة له هناك ... وبحسبة بسيطة ، كان من المتوقع أن تصنع المواجهة خطًا فاصلاً فى تاريخ ( مصر ) ... وهذا ما كان .

غمغم ( مكى ) :

ـ سمعت أن الرئيس ينوى إلغاء الاتحاد الاشتراكى .

أومأ ( حسين ) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ القرار مدروس ، منذ تلك الجلسة المستفزة لسيادة الرئيس هناك ... فى اللجنة المركزية ، وكانت فقط مسألة وقت ، واختيار للتوقيت .

سأله ( مكى ) فى اهتمام :

ـ وكنت واثقًا من ربح الرئيس للمواجهة ؟!

مرة أخرى ، أومأ ( حسين ) برأسه إيجابًا ، وابتسم وهو يتراجع فى مقعده ، مجيبًا :

ـ عندما تعمل فترة ، إلى جوار سيادة الرئيس ، تدرك كم هو داهية ، جم الذكاء ، ولديه الجرأة ، والقدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة فى سرعة ، وفى الوقت المناسب .

حدّق فيه ( مكى ) فى دهشة ، غير مصدق أنه يجلس أمام ( حسين البنهاوى ) ، الذى كان يومًا تلميذه ، يجلس أمامه حائرًا مرتبكًا ، يسأله المشورة !!..

( حسين البنهاوى ) ، الذى أخرجه يومًا من المعتقل ؛ لأنه عاجز عن تسيير أموره ، ومواكبة ما حوله من مؤامرات وتآمرات !! ...

( حسين ) الذى يجلس أمامه الآن لم يعد تلميذه ...

لقد صار أستاذًا ...

زعيماً لقطيع الذئاب ...

وحش مفترس ، له عقلية مخيفة ، تنافس الشيطان نفسه ...

ومع كل تلك المشاعر ، غمغم ( مكى ) مستسلمًا :

ــ كل هذا لا يبرر ما فعلته معى يا ( حسين ) بك .

قال ( حسين ) فى اهتمام :

ــ اسمع ... سيادة الرئيس اليوم له شعبية جارفة ، وهو يهدم المعتقلات ويطلق حرية الصحافة ، ويحرق التسجيلات ... وعندما يسقط الاتحاد الاشتراكى ، ستصبح الساحة فى ( مصر ) خالية ، بدون تنظيم سياسى مهيمن ، أو مراكز قوى مسيطرة .

غمغم ( مكى ) ، مستعيدًا حذره :

ــ أية ساحة خالية ، هى جاذب قوى لمراكز قوى جديدة .

قال ( حسين ) فى حزم :



ــ هناك بالفعل مراكز قوى جديدة ، متأهبة للسيطرة على الساحة .

وبكل الفضول والاهتمام والحذر ، سأله ( مكى ) :

ــ من ؟!

مال ( حسين ) نحوه بشدة ، وتألقت عيناه على نحو وحشى ، وهو يجيب بابتسامة ذئب :

ــ نحن .

وتراجع ( مكى ) فى حدة ، وكيانه كله يرتجف فى عنف ...

ودون أدنى مبالغة ، راودته فكرة الانحناء أمام الملك ...

ملك الذئاب ...

الجديد ...

★ ★ ★

« ( نادرة ) ... »

همس ( طارق ) بالاسم ، فى خفوت حنون ، فالتفتت إليه ( نادرة ) بوجه محمر ، وهو تهمس بدورها :

ــ ( طارق ) .

كانت تجلس إلى جوار الساقية القديمة ، على جذع شجرة متآكل ، فجلس إلى جوارها ، وهو يقول فى أسى :

ــ أليس من العار ألا أجد سبيلاً للالتقاء بك إلا سرًّا ، وأنت ابنة عمتى .

هزّت كتفيها بدون أن تجيب ، وترقرقت دمعة فى عينيها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فتساءل فى مرارة :

ــ ألأننا مازلنا صغيرين ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت فى أسى :

ــ ليس هذا هو السبب .

تساءل فى ألم :

ــ ماذا إذن ؟!

انسالت دموعها على خديها الورديين فى صمت ، جعل قلبه يدمى ، مما أشعره بغصة فى حلقه ، جعلته يلوذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يتساءل فى لهجة عجيبة ، بدت وكأنها تحمل فى حزنها لمحة من الأمل :

ــ أبسبب خلاف عمى ( حسين ) ، مع عمى ( عمر ) ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، ودموعها تغرق وجهها ، وتمتمت :

ــ على العكس ... أبى كبير العقل وحكيم ، ولا يضع مشاعره عقبة أمام قراراته .

وازدادت غصة فى حلقها ، قبل أن تضيف :

ــ ثم إنه يحبك .

غمغم :

ــ شعور متبادل .



غلفهما الصمت لحظات ، مسحت هى خلالها دموعها ، ولكن ما أن جف وجهها ، حتى عاد يبتل بدموع جديدة ، تعجز عن السيطرة عليها ، فى حين غمغم هو :

ــ عمى ( مفيد ) علمنى أن بلوغ أى مأرب شريف ، لا يتم إلا بوسائل شريفة ، وأنه مادام الحب يربط بين قلبينا ، فالأسلوب الأمثل هو أن أتقدم لخطبتك مباشرة .

وازدرد غصته مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

ــ وهذا ما فعلته .

كانت عيناه جافتين ، إلا أن صوته كان يقطر بالدموع ، مما جعلها تتردَّد لحظة ، ثم ربّتت على كفه فى حذر ، جعله يميل أصابعه ، ليحتضن بها أصابعها ، دون أن ينبس كلاهما ببنت شفة ...

وطوال خمس دقائق كاملة ، ظلا على صمتهما ، إلى أن قال هو فى مرارة :

ــ لا يمكنك أن تتصوَّرى كم كنت أتمنى ، أن يكون الخلاف مع عمى ( حسين ) سبب الرفض .

تمتمت فى دهشة :

ــ تتمنى ؟!

أجابها بكل مرارته :

ــ نعــم ؛ لأنه لو لم يكن كذلك ، فالسبب هــو أمــر أبغض مجرَّد التفكير فيه .

ازدردت لعابها فى توتر ، وهى تخشى أن يكمل ، ولكنه أفلت أصابعها ، ونهض واقفًا ، يكمل فى مرارة ، تسلَّل إليها بشىء من الحدة :

ــ أمى .

سرت فى جسدها قشعريرة ، وهى تغمغم فى تخاذل :

ــ ماذا تقول يا ( طارق ) ؟!

أجاب ، وقد غلبت حدته مرارته :

ــ هذا هو السببِ الوحيد ، الذى تبقى أمامى يا ( نادرة ) ... السبب الذى لابد وأن أعترف به ، حتى ولو كان يغضبنى ... عمتى رفضتنى زوجًا لك ؛ لأنها تكره أمى .

ازداد تخاذلها ، وهى تتمتم فى خفوت :

ــ لا تقل هذا .

لوَّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

ــ دفن الرأس فى الرمال لا يحل أية مشكلة ، كما علمنى عمى ( مفيد ) منذ حداثتى .

تمتمت فى أسى :

ــ لماذا يدفن هو رأسه فى الرمال إذن ؟!

لم ينتبه لعبارتها ، وهو يواصل ، ومشاعره تنتقل إلى خانة الغضب :



ــ كراهية عمتى ( نعيمة ) لأمى ليست خافية على أحد ... تكرها لأن أصلها لم يكن مثل أصل ( البنهاوية ) ... تكرهها لأنها تشعر أن أمى كانت ومازالت خادمة فى السراى ، وليست زوجة أخيها .

احتقن وجهه لحظات ، قبل أن يستطرد صارخًا :

ــ وهذا ظلم بين ... أمى تزوَّجت ( بنهاوى ) ، وهذا يعنى أنها ، ومنذ زواجها به ، صارت ( بنهاوية ) مثله ... ولن أسمح أبدًا بأن يعاملها أحد بأقل من هذا .

شعرت بالشفقة والأسى من أجله ، وهى تنهض وتمسك كفه ، قائلة :

ــ ( طارق ) ... أرجوك ... إنى ...

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفعت صيحة هادرة غاضبة :

ــ ( نادرة ) .

وكاد قلباهما الصغيران يهويان بين أقدامهما ...

وبكل العنف .

* * *

# 6 ـ انكسار ..

« ( فاطمة ) ... أين أنت يا عرة النساء ؟!... »

سمعت ( فاطمة ) الصيحة ، التى تحمل صوت ( نعيمة ) الغاضب ، وهى تقف إلى جوار ( شريفة ) ، فى مطبخ السراى ، فالتفتت إليها ( شريفة ) فى قلق ، فى حين التقطت هى منشفة صغيرة لتجفيف يديها ، وهى تزفز قائلة بصوتها الخشن :

ـ أعوذ بالله من خلق الله .

ثم كشرت عن أنيابها ، وهى تندفع خارج المطبخ ، صائحة بدورها :

ـ أيها الجالسون ، يكفيكم شر القادمين ... نعم يا ست الستات وابنة الناس المحترمين ... ماذا تريدين من عرة النساء ؟!

اندفعت خلفها ( شريفة ) ، وهى تغمغم فى انفعال :

ـ يا ساتر يارب ... ماذا حدث ؟!

لم تكد ( فاطمة ) تخرج إلى صالة السراى ، حتى فوجئت بـ ( نعيمة ) أمامها ، منقلبة السحنة ، مكفهرة الوجه ، محمرة العينين ، واستقبلتها صارخة :

ـ ألن تكفى عن آلاعيبك ومخططاتك ، يا ابنة كلاف البهائم ؟!

عقدت ( فاطمة ) حاجبيها ، ووضعت قبضتها فى وسطها ، وهى مازالت تمسك منشفة المطبخ الصغيرة ، هاتفة ، فى خشونة وشراسة :



ـ أبى رحمه الله ، عندما مات كان عمدة القرية .

صرخت فيها ( نعيمة ) :

ـ عمدة القرية ؟!... عرة العمد ... هل نسيت يا خادمة السراى ، من وضع كلاف البهائم على مقعد العمدة ؟!... من رفع خادمه ؛ حتى يصير فى موقع ، لا يشعرنا بالخزى والعار .

احتقن وجه ( فاطمة ) ، وهى تصيح :

ـ الباشا ابن الباشا يا بذيئة اللسان ... نقبل كفوفنا شكرًا وعرفانًا ، ولكنك أنت من نسى ، يا غراب الشؤم ، من وضع أبى فى قبره ... أليس الباشا ابن الباشا أيضًا ؟!

بدت ( نعيمة ) أشبه بالمجنونة ، وهى تصرخ :

ـ إياك أن تذكرى اسم أخى ( حسين ) على لسانك ، أيتها العقربة المتوحشة .

مصمصت ( فاطمة ) شفتيها ، وضربت راحتها اليمنى بظهر كفها الأيسر ، وهى تقول فى خشونة غليظة متحدية :

ـ ومن أتى على ذكر ابن الأكابر .

صرخت ( نعيمة ) ، وهى تنقض عليها ، وتراجعت ( فاطمة ) فى شراسة ، وهى ترفع قبضتها ، فاندفعت ( شريفة ) تحول بينهما ، وهى تمسك ( نعيمة ) ، هاتفة فى ذعر :

ـ مذا حدث يا ( نعيمة ) ؟!... لماذا كل هذا ؟!

صرخت ( نعيمة ) ، وهى تلوح فى وجه ( فاطمة ) بسبَّابتها :

ــ تلك الحقيرة تخطط للاستيلاء على أرض ( البنهاوى ) ... تتصوَّر أن مؤامرتها الجديدة يمكن أن تنجح ، فيما فشلت فيه مؤامراتها القديمة ، عندما سرقت ورقة الضد من ( حسين ) .

انعقد حاجبا ( فاطمة ) الكثين ، وهى لا تدرى حقًّا ، ما تعنيه ( نعيمة ) بكلماتها تلك ...

إنها لا تنكر سعيها الدائم لبلوغ هذا الحلم ...

حلم السيطرة على أرض ( البنهاوى ) ...

ولكن تجربتها السابقة فى المواجهة ، جعلتها تكتفى بالحلم ...

ومع ذكر تلك المحاولة القديمة ، التى أسفرت عن موت والدها خوفًا ، وتقليص نصيبها ونصيب زوجها ، من إيراد أرض ( البنهاوى ) ، شعرت بالمزيد من المقت ، على أسرة ( البنهاوى ) كلها ، فهتفت فى شراسة :

ــ أية مؤامرة تلك ، التى غزلها خيالك المختل أيتها المرأة المأفونة ؟!

ثارت ثائرة ( نعيمة ) ، وكادت تفتك بـ ( شريفة ) ؛ لكى تبعدها عن طريق ( فاطمة ) ، وهى تصرخ فى جنون :

ــ المرأة المأفونة هى أمك ، التى ماتت حافية ، فى زريبة البهائم ، أيتها الـ ...

« ( نعيمة ) ... »



قاطعتها تلك الصيحة الملتاعة ، التى حملت صوت ( حافظ ) ، فالتفتت إليه ، وهو يقف نحيلاً ممصوصًا شاحب الوجه ، عند باب حجرته ، التى لا يغادرها إلا لمامًا ، وقد اتسعت عيناه فى ذعر ...

كانت ( نعيمة ) فى قمة الثورة ، إلا أنها لم تكد تلمح ( حافظ ) بمظهره هذا ، حتى لطمت صدرها فزعة ، وهى تهتف :

ــ ( حافظ ) ؟!... كيف بلغ بك الأمر هذا الحد ؟!

هتفت ( فاطمة ) فى شراسة :

ــ لو أنك فقط تلقين التحية على شقيقك ، كل حين وآخر ، يا أم الذوق والواجب ، لما أدهشك مرآه الآن .

استدارت إليها ( نعيمة ) فى شراسة ، صارخة :

ــ اخرسى .

بدا من الواضح أن ( فاطمة ) ستصرخ فى وجهها ، لولا أن صرخ ( حافظ ) :

ــ ( نعيمة ) ... ماذا تفعلين ؟!

صرخت ( نعيمة ) :

ــ اخرس أنت أيضًا .

وهنا هزَّتها ( شريفة ) من ذراعيها فى قوة ، وهى تصيح بها :

ــ ماذا أصابك ؟!... اقتحمت المكان ، كما لو أنك قاطرة مسرعة بلا سائق ، وتطيحين فى الجميع بلا ضابط أو رابط ، ودون أن نعرف حتى سبب ثورتك .

بدا ( حافظ ) أكثر شحوبًا ، فى هيئته وصوته ، وهو يغمغم :

ـ نعم ... أخبرينا لماذا ؟!

صاحت فى حدة :

ـ زوجتك المصون خططت لخطف ابنتى الوحيدة .

تفجرَّت الدهشة فى وجوه الجميع ، ورفعت ( فاطمة ) حاجبيها الكثين فى دهشة ، ثم خفضتهما ، وهى تمصمص شفتيها ، قائلة :

ـ مخبولة .

صرخت فيها ( نعيمة ) :

ـ أنت المخبولة ابنة المخبولة .

اكتفت ( فاطمة ) بمصمصة شفتيها مرة أخرى ، فى حين عادت ( شريفة ) تهز ( نعيمة ) فى قوة ، هاتفة :

ـ أى قول هذا ؟!... اهدأى وأخبرينى ماذا تعنين ؟!

راحت ( نعيمة ) تلهث بشدة ، بعض الوقت ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها الثائرة ، قبل أن تقول :

ـ هذه الحقيرة دفعت ابنها ؛ للعب دور العاشق الولهان على ابنتى .

ارتفع حاجبا ( فاطمة ) الكثين ، وهى تغمغم بصوتها الخشن :

ـ ( طارق ) ؟!

أما ( شريفة ) فقد انتفض جسدها ، وهى تردد مبهوتة :

ـ العاشق الولهان .

فى حين بدا ( حافظ ) حائرًا ، وهو يغمغم فى ارتباك :



ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

استعادت ( نعيمة ) شراستها ، وهى تقول :

ـ ألقى شباكه حولها ، وخدعها بكلامه المعسول ، ويلتقى بها سرًا ، و ...

قاطعتها ( شريفة ) بصيحة دهشة :

ـ ( طارق ) ؟!

وتضاعفت نظرة الحيرة ، المطلة من عينى حافظ ، فى حين لم تعلق ( فاطمة ) بحرف واحد ، على الرغم مما يختلج به قلبها ...

( طـارق ) ، ابنها الوحيـد ، حفيـد ( البنهاوى ) ، صار صبيًا يحب ويعشق !!...

نضج إلى هذا الحد ؟!...

شعرت بمزيج من الحنان والفخر ؛ لأن ( البنهاوى ) الصغير يخطو أولى خطواته ، فى عالم الرجولة ...

وحتى عندما اختار ، اختار زينة بنات القرية ، ووردتها المشرقة ..

( نادرة ) ...

فتاة طيبة القلب ، رقيقة ، جميلة ، تقطر حنانًا ورفقًا ...

عيبها الوحيد هو أنها ابنة الحيزبون ( نعيمة ) ...

« تصوَّروا أن ابن العقربة ، جرؤ على طلب يد ابنتى ... »

انتزعتها ( نعيمة ) بصيحتها هذه ، فعاد حاجباها الكثان ينعقدان ، وهى تغمغم فى غلظة وخشونة :

ــ يطلب يدها بدوننا ؟!

شهقت ( نعيمة ) مستنكرة ، ورفعت سبَّابتها فوق حاجبيها ، وهى تهتف :

ــ بدونكما ؟!... هذا ما كان ينقص !!!... ( نعيمة ) ابنة ( البنهاوى ) ، تضع يدها فى يد ( فاطمة ) ابنة الكلاف .

رفعت ( فاطمة ) إحدى حاجبيها ، وهى تقول :

ــ بل قولى إن ( عمر ) ، والد ( نادرة ) ، سيضع يده فى يد ( حافظ ) بك ... ابن ( البنهاوى ) .

صرخت ( نعيمة ) ، وهى تقفز من مكانها :

ــ الصلعاء تتباهى بشعر ابنة أختها ... مالك أنت وعائلة ( البنهاوى ) يا عقربة الغيطان ؟!...

هزَّت ( فاطمة ) كتفيها ، وهى تقول فى تحد مستفز :

ــ على الأقل ، أنا زوجة ( بنهاوى ) .

صرخت ( شريفة ) ، وقد فقدت أعصابها القدرة على الاحتمال :

ــ كفى أنت وهى ... كفى ... كفى .

كلمتها الأخيرة صرخت بها على نحو هستيرى ، جعـل ( نعيمة ) تتراجع مصدومة ، و( فاطمـــة ) تعقد حاجبيها فى شدة ...

والعجيب أن الصمت خيَّم على صالة السراى تمامًا بعدها ، ولدقيقة كاملة على الأقل ، قبل أن يتساءل ( حافظ ) فى ضعف :

ــ وماذا يغضبك يا ( نعيمة ) ؟!... الولد طرق البيوت من أبوابها ، وطلب يد البنت !!



هتفت ( نعيمة ) :

ــ بتخطيط من هذه العقربة .

وثبت الشراسة إلى ملامح ( فاطمة ) مرة أخرى ، فأسرعت ( شريفة ) تقول فى حدة :

ــ أى تخطيط يا ( نعيمة ) ؟!... أين ذهب مخك بالضبط ؟!

قبل أن تجيب ( نعيمة ) ، سمع جميعهم صوتًا صارمًا ، يقول :

ــ سأخبرك أنا .

وكانت مفاجأة ...

مدهشة ...

* * *

رفع ( صلاح ) مساعد ( حسين ) السابق عينيه ، إلى ( إبراهيم مكى ) ، فى حذر شديد ، وهو يغمغم :

ــ لماذا الزيارة يا ( إبراهيم ) بك ؟!

سأله ( مكى ) فى هدوء :

ــ ماذا تفعل الآن يا ( صلاح ) ؟!

ابتسم ( صلاح ) ابتسامة مريرة ، وهو يجيب :

ــ أجلس فى شرفة منزلى ، وأصلى لله سبحانه وتعالى شكرًا ، على أنهم قد اكتفوا بفصلى من الخدمة ، ولم يضعونى فى السجن مع مراكز القوى .

تطلع إليه ( مكى ) لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ــ أخطأت اختيار معسكرك يا ( صلاح ) .

اكتفى ( صلاح ) بالتلويح بيده ، كجواب على عبارة ( مكى ) ، الذى تابع فى اهتمام :

ــ عذرك بالطبع أن العقل والمنطق وحسابات القوة ، كانت تؤكد أن ( السادات ) هو الطرف الأضعف .

استعاد ( صلاح ) ابتسامته المريرة ، وهزَّ رأسه متفقًا فى أسى ، فتراجع ( مكى ) فى مقعده ، وقال :

ــ و( السادات ) فاجأنا ... أليس كذلك ؟!

غمغم ( صلاح ) :

ــ بلى .

ثم اعتدل يكرِّر سؤاله فى توتر :

ــ لم تخبرنى بعد لماذا طلبتنى يا ( إبراهيم ) بك ؟!

شبك ( مكى ) أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ هناك مشروع نستعد له ، أنا و( حسين البنهاوى ) .

بدت الدهشة فى ملامح ( صلاح ) وصوته ، وهو يغمغم :

ــ مشروع ؟!

قال ( مكى ) فى سرعة :

ــ نعم ... مشروع كبير ... أكبر بكثير مما تتصوَّر .

غمغم ( صلاح ) فى حذر :



ــ عظيم .

مال ( مكى ) نحوه ، قائلاً :

ــ وسنحتاج إليك معنا .

هتف ( صلاح ) فى دهشة :

ــ أنا ؟!... وكيف يحتاج عملاقان مثلكما لقزم مثلى ؟!

صمت ( مكى ) لحظات ، وهو يتطلع إلى ( صلاح ) ، الذى شعر بتوتره يتصاعد ، مع كل ثانية تمر ، حتى قال ( مكى ) :

ــ هل تميل إلى الأسلوب المباشر يا ( صلاح ) ؟!

السؤال أقلقه فى شدة ، فغمغم بكل الحذر :

ــ دومًا يا ( إبراهيم ) بك .

مال ( مكى ) نحوه أكثر ، وهو يقول فى حزم :

ــ الأعمال القذرة .

تراجع ( صلاح ) مصدومًا ، مع هذا الرد المباشر ، وردَّد فى عصبية :

ــ القذرة ؟!

تراجع ( مكى ) فى مقعده ، وهو يقول :

ــ أليس هذا ما نطلقه عليها دومًا ؟!

صمت ( صلاح ) بضع ثوان ، استوعب خلالها المفاجأة ، يسأل فى حذر أكثر :

ـ المصطلح ينطبق على الكثير من الأعمال ... أيها تقصد يا ( إبراهيم ) بك .

أجابه مباشرة :

ـ كلها .

رأى أثر الصدمة واضحًا ، فى عينى ( صلاح ) ، فتابع :

ـ أنت تعلم مثلى أنه كلما كانت المشاريع ضخمة ، كانت المتاعب والصعاب والحواجز بمثل ضخامتها ، ومن الطبيعى ألا يمكن تجاوز كل هذا بالقوانين والوسائل التقليدية .

غمغم ( صلاح ) :

ـ بالطبع .

أشار ( مكى ) بيده ، مكملاً :

ـ ولأننى و( حسين ) بك نحتل موقعين شديدى الحساسية ، فقد يعجزنا هذا عن مواجهة بعض التحديات والعقبات ، بالوسيلة المناسبة لتجاوزها .

التقط ( صلاح ) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ فهمت .

ثم استدرك فى اهتمام :

ـ هل سيعنى هذا أن أعود إلى العمل ؟!

أجابه ( مكى ) فى صرامة :

ـ كلا .



تراجع ( صلاح ) فى إحباط ، فتابع ( مكى ) فى حزم :

ـ ولكنك ستتمتع بسلطة أقوى .

تساءل ( صلاح ) فى قلق :

ـ ومن سيمنحنى إياها ؟!

قال ( مكى ) فى هدوء :

ـ أقوى رجل فى ( مصر ) ، فى الوقت الحالى .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـ ( حسين ) ... ( حسين بك البنهاوى ) .

ولم تكن مفاجأة لـ ( صلاح ) ...

على الإطلاق ...

★ ★ ★

« ( عمر ) بك ... صرت تأتى إلى السراى كثيرًا هذه الأيام ... »

قالتها ( فاطمة ) فى لهجة عجيبة ، لا تدرى إن كانت ساخرة أم متحدية ، عندما دخل ( عمر ) صالة السراى غاضبًا ، فى حين امتقع وجه ( نعيمة ) ، وهى تقول فى عصبية :

ـ ماذا تفعل هنا ؟!

صاح بها أمامهم :

ـ بل ماذا تفعلين أنت هنا ؟!.. ألم آمرك بعدم الإقدام على هذه الحماقة ؟!

ابتسمت ( فاطمة ) فى تشف ، مغمغمة :

ـ وهل تتخلى الأفعى عن سمها ؟!

احتقن وجه ( نعيمة ) ، وهى تلتفت إليها فى شراسة :

ـ لا شأن لك أيتها العقربة الـ ...

قاطعها ( عمر ) بصرخة هادرة :

ـ كفى .

ازداد احتقان وجه ( نعيمة ) ؛ لأنه يصيح فيها أمام ( فاطمة ) ، فى حين اندفعت ( شريفة ) محاولة تهدئة الموقف :

ـ خير إن شاء الله ... خير ... استهدوا بالله ، واجلسوا ، وسأعد لكم شيئًا يهدئكم .

أمسك ( عمر ) ذراع ( نعيمة ) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ سنشربه فى دارنا .

أطلقت ( فاطمة ) ضحكة ساخرة قصيرة ، ثارت لها أعصاب ( نعيمة ) ، فجذبت ذراعها من يد ( عمر ) ، هاتفة :

ـ اذهب أنت إلى الدار ... أنا فى سراى أبى .

شهقت ( شريفة ) مذعورة ، لما يمكن أن يسفر عنه هذا ، فى حين تمتمت ( فاطمة ) فى شماتة :

ـ أطيعى زوجك يا برنسيسة .

اعتصر الغضب قلب ( نعيمة ) ، وعزَّ عليها أن تنهزم أمام ( فاطمة ) ، فصرخت :

ـ اخرسى وإلا فقأت عينك .



وهنا قال ( حافظ ) فى عصبية :

ـ عين من ؟!

قوله جعل الكل ينتبه لوجوده بغتة ، فقال ( عمر ) فى عصبية :

ـ أستاذ ( حافظ ) ... اعذرنى ... ولكن شقيقتك ( نعيمة ) تحتاج إلى من يؤدبها ، ويعيدها إلى صوابها .

أطلقت ( فاطمة ) ضحكة ساخرة صغيرة أخرى ، جعلت ( نعيمة ) تصرخ :

ـ تؤدب من ، وتعيد من إلى صوابه ؟!... هل نسيت نفسك ؟!

صاح غاضبًا :

ـ ( نعيمة ) .

كان يحاول إعادتها إلى صوابها ، ولكن وجود ( فاطمة ) تراقب ما يحدث ، أشعل كل النار فى عقلها ، فاحترقت بها حكمتها ، وطاش صوابها ، على نحو جعلها تصرخ :

ـ إياك أن ترفع صوتك مرة أخرى ، على ابنة ( البنهاوى ) ... هل نسيت كيف كسر أخى ( حسين ) أنفك ، وكيف وضع رأسك فى الطين ؛ عندما تجاوزت حدودك سابقًا .

احتقن وجهه فى شدة ، وصاحت ( شريفة ) مذعورة :

ـ إنها لا تقصد يا ( عمر ) ... لعن الله الشيطان ، الذى دخل بينكما .

صرخت ( نعيمة ) كالمجنونة ، وهى تشير إلى ( فاطمة ) :

ـ هذا هو الشيطان ، يقف أمامك مبتسمًا ، و ...

قاطعتها صيحة هادرة من ( عمر ) :

ـ ( نعيمة ) .

التفتت إليه فى شراسة مجنونة ، فاستطرد فى حزم صارم قوى :

ـ أنت طالق .

شهقت ( شريفة ) فى ارتياع ، ولطمت ( فاطمة ) صدرها فى ذعر ، فى حين حدَّقت فيه ( نعيمة ) ، فى صمت وذهول . .

الآن فقط ، ومع الصدمة القاسية ، استعادت عقلها ...

الآن فقط تبخرت ثورتها ...

وبنفس الحزم الصارم ، استدار ( عمر ) ، قائلاً وهو يتجه نحو باب السراى :

ـ أنا عند زوجتى الرقيقة المحبـة المخلصة ( فاتن ) ، فى انتظار ( حسين ) بك وزبانيته .

والتفت يلقى عليها نظرة أخيرة ، مستطردًا :

ـ هذا أهون من العيش مع حمقاء مثلك .

انهار كيانها كله من الداخل ، وهو يغادر السراى أمام عينيها ، فى حين هتفت ( شريفة ) فى أسى ومرارة :

ـ ماذا فعلت أيتها التعسة ؟!

غمغمت ( نعيمة ) مصدومة :

ـ ( عمر ) طلقنى .



وارتجف صوتها فى شدة ، مع نهر الدموع ، الذى ملأ عينيها ، وهى تضيف :

ـ للمرة الثانية .

كررت ( شريفة ) باكية ملتاعة :

ـ ماذا فعلت بنفسك ؟!

كررت ( نعيمة ) ذاهلة مصدومة :

ـ ( عمر ) طلقنى .

ثم التفتت إلى ( فاطمة ) هاتفة :

ـ بسببك أنت .

قالتها ، وانقضت على ( فاطمة ) ، التى استعادت صراعاتها القديمة ، أيام حياة الفقر ، فرفعت المنشفة الصغيرة ، ورفعتها فى حركة سريعة ، وهى تتراجع إلى الخلف لتحمى وجهها ...

وبكل العنف ، ارتطمت المنشفة بوجه ( نعيمة ) ، التى تراجعت مصعوقة ، غير مصدقة أن ( فاطمة ) ، خادمة السراى القديمة ، قد جرؤت على فعـل هـذا ، وحدَّقت فى وجـه ( فاطمـة ) ذاهلة مستنكرة ، فى حين هتفت ( شريفة ) فى فزع ، خشية تطور الأمور ، وخروجها عن السيطرة :

ـ استهدوا بالله ... استهدوا بالله .

صرخت ( نعيمة ) :

ــ يا ابنة الكلاف ... يا حقيرة ... يا وضيعة ... ليس لك عيش فى السراى بعد ما فعلته ... سأتصل بشقيقى ( حسين ) ؛ ليلقيك خارجه كالكلاب .

بدت ( فاطمة ) كلبؤة شرسة ، تدافع عن عرينها ، وهى تهتف :

ــ لا أحد سيخرج قدمى من هذا السراى .

كادت ( نعيمة ) تجن ، وهى تصرخ :

ــ سنكسرها داخله إذن .

تضاعف فزع ( شريفة ) وهى تهتف :

ــ كفى يا ( نعيمة ) أرجوك .

ولكن ( نعيمة ) الجريحة كانت تحتاج لما هو أكثر من الكلمات ، فى تلك اللحظة بالذات ، وجراحها تنزف فى غزارة ، و ...

« إياكم أن يمس أحدكم زوجتى ... »

صرخ بها ( حافظ ) ؛ ليقحم نفسه بها فى المشهد دفعة واحدة ، وجسده كله ينتفض فى قوة ، فحدق فيه الجميع فى ذهول ، حتى فاطمة نفسها ، وهو يتابع فى غضب شديد ، لم يبده فى حياته قط .

ــ أنا ( بنهاوى ) مثلكم جميعًا .. بنهاوى مثل ( حسين ) ، ومثل كل واحد منكم ، ولن تجبرنى قوة فى الأرض على مغادرة سراى أبى .. إنه حقى بأكثر مما هو حقك ، أو حق أى واحد منكم .

كان ذلك الانقلاب المباغت فى شخصيته مذهلاً ، حتى أنه صدم الكل ، وجعل ( نعيمة ) تتراجع مغمغمة فى عصبية :



ــ الأمر لا يتعلَّق بك يا ( حافظ ) .

اندهشت ( فاطمة ) ، عندما صاح فى عصبية بالغة :

ــ ما يمس زوجتى يمسنى .. هى أيضًا صاحبة الحق فى التواجد فى السراى .. مادامت زوجتى ، فقد صارت ( بنهاوية ) مثلنا .

صاحت ( نعيمة ) :

ــ كلا وألف كلا ... إنها لن ...

قاطعها صارخًا فى هستيرية :

ــ كفى ... كفى ... كفى ...

راح يردد الكلمة على نحو عجيب ، جعل ( نعيمة ) تتراجع مرة أخرى فى خوف مذعور ، وشريفة تهتف وجسدها يرتجف :

ــ ( حافظ ) ... اهدأ يا شقيقى ... اهدأ ...

ولكنه واصل الصراخ ، فى هستيرية شديدة ، فاندفعت ( فاطمة ) نحوه ، واحتضنته فى حنان حقيقى ، وهى تقول فى قلق شديد ، على الرغم من خشونتها وغلظتها :

ــ لا بأس يا ( حافظ ) ... لا بأس ... ستتوقف .

فشل حنانها أيضًا فى أن يوقف صرخاته المتكررة ، وهو يمسك شعره ، وتزوغ عيناه ، ويصرخ ...

ويصرخ ...

ويصرخ ...

وإثر صرخاته ، جاء خفير السراى يهتف فى قلق

ــ ماذا هناك يا سادة ؟!

كانت ( نعيمة ) ذاهلة مصدومة ، و( فاطمة ) مازالت تحتضن ( حافظ ) فى خوف ، فهتفت ( شريفة ) بكل رعب الدنيا :

ــ طبيب يا ( عوضين ) ... احضر طبيبًا بالله عليك .

مع هتافها ، وقبل أن يتحرّك ( عوضين ) من مكانه ، احتقن وجه ( حافظ ) فجأة ، وتوقفت صرخاته ، وارتجف جسده كله ، وتضاعف اتساع عينيه ، على نحو جعل ( نعيمة ) تلتصق بالجدار فى رعب ، وفاطمة تهتف فى ارتياع :

ــ ( حافظ ) ... ماذا بك ؟!

وارتفعت صرخة ( شريفة ) ، ترج السراى كله ...

سراى ( البنهاوى ) ..

★ ★ ★



# 7 ـ الغضب ..

« ( بسيونى ) ... أين أنت يا ( بسيونى ) ...»

ارتفع صوت العمدة الحاج ( سعفان ) ، وهو ينادى شيخ الخفر ، الذى أتى إليه مهرولاً :

ــ أمرك يا جناب العمدة .

سأله العمدة ( سعفان ) فى قلق واهتمام :

ــ ماذا يحدث هنا ؟!... اسمع هتافات من الناحية القبلية .

أجابه ( بسيونى ) فى ارتباك :

ــ إنهم مجموعة من شباب القرية يا جناب العمدة .

سأله فى صرامة :

ــ وماذا يفعلون بهتافاتهم هذه ؟!

حاول ( بسيونى ) أن يعثر على جواب مناسب فى ذهنه ، ثم قال أخيرًا فى تردد :

ــ يرفضون يا جناب العمدة .

كانت أوّل مرة ، فى حياة القرية كلها ، التى تحدث فيها مظاهرة من أى نوع ، وتحت أية ظروف ، ولهذا فقد ارتفع حاجبا الحاج ( سعفان ) فى شدة ، وهو يلتقط عصاه ، قائلاً :

ــ يرفضون ماذا يا شيخ الخفر ؟!... أى عبث يحدث هنا ...

اكتفى ( بسيونى ) بهز كتفيه فى حيرة ، فواصل العمدة ( سعفان ) ، وهو يهبط فى سلم منزل العمودية فى حزم :

ــ اجمع الخفر كلهم يا ( بسيونى ) ، وتعال نرى بم يعبث هؤلاء الشبان .

لم تمض دقائق خمس ، حتى كان العمدة والخفر يعترضون مسيرة تلك المظاهرة الصغيرة ، التى ضمت دستة من الشباب فحسب ..

المفاجأة الحقيقية كانت من يقود تلك المظاهرة الصغيرة ...

« ( طارق ) بك ؟!... »

هتف بها العمدة ( سعفان ) بكل الدهشة ، وهو يحدق فى ( طارق ) ، الذى تقدَّم نحوه فى تحد ، قائلاً :

ــ ليس من حقك أن تعترض طريقنا ، أنت وخفرك يا عمدة .

سأله الحاج ( سعفان ) فى توتر :

ــ هل يعلم ( حسين ) بك بما تفعله يا ( طارق ) بك ؟!

هتف ( طارق ) فى حدة :

ــ لا شأن لعمى ( حسين ) بما أفعله .

أدرك العمدة من الجواب ، أن ( حسين البنهاوى ) ليس لديه علم بما يفعله ابن شقيقه ، مما شجعه على أن يقول ، فى تحد مماثل :

ــ سألتك إن كان يعلم .

تقدَّم ( طارق ) خطوة ، وهو يقول فى حزم عنيد :

ــ وأنا أخبرتك أنه لا شأن له يا عمدة ..



ــ هتف أحد الشبان فى غضب ..

ــ هل تحاول إرهابنا باسم ( حسين البنهاوى ) يا عمدة ؟!

ارتفع صوت العمدة فى صرامة ، وهو يجيب :

ــ بل أحاول تنبيهكم إلى ما تفعلونه ... الدولة فى حالة حرب ، وشعار ( لا صوت يعلو فوق صوت المعركة ) مازال ساريًا .

مال ( طارق ) نحوه ، وهو يقول :

ــ هذا بالضبط ما نتظاهر من أجله يا عمدة . . المعركة .

أطلت من عيون العمدة و( بسيونى ) والخفر نظرة ، تجمع ما بين الحيرة وعدم الفهم ، فتابع فى حزم :

ــ ( السادات ) أكَّد أنه لن يمض عام 1972م ، دون وضع حل حاسم للمعركة ، وها نحن ذا فى نهايات ديسمبر ، دون أن يحدث شىء .

هتف العمدة :

ــ وما شأنكم أنتم بهذا أيها الشباب ... لستم على دراية بالظروف او الحسابات العسكرية ، والرئيس قال إن الضباب السياسى ...

قبل أن يكمل عبارته ، انفجر الشباب كلهم ضاحكين فى سخرية ، على نحو جعل وجه العمدة يحتقن فى غضب ...

وفى غيظ أيضًا ...

فعدد المتظاهرين كان أقل من عدد الخفر الذين يحيطون بهم ، وباستطاعة العمدة ، بإشارة واحدة من سبَّابته ، أن يفض المظاهرة فى دقيقة واحدة أو أقل ...

لولا وجود ( طارق البنهاوى ) ...

صحيح أن ( حسين البنهاوى ) لن يوافق حتمًا على ما يفعله ابنَ شقيقه ، ولكنه من المحال أن يسمح بأن يمس مخلوق واحد أى فرد ، من عائلة ( البنهاوى ) ...

ولقد أثبت هذا فى مواقف شتى ...

اثنان ممن سبقوه فى العمودية ، تم سحقهما سحقًا ؛ لأنهما مسا ( البنهاوية ) بسوء ...

وهو ليس لديه أدنى استعداد ، لأن يكون ثالثهما ...

ولكن الموقف عسير ...

عسير بالفعل ...

فالحكومة ، التى وضعته فى مكانه ، لن ترضى بخروج مظاهرة فى قريته ، فى سابقة هى الأولى من نوعها ، وستعتبرها دليلاً على ضعف سيطرته على قريته ، وعدم استحقاقه موقعه ...

ولو حاول فض المظاهرة بالقوة ، سيضطر لمواجهة ( طارق البنهاوى ) ...

و( حسين البنهاوى ) ...

خياران أحلاهما شديد المرارة واللذوعة ...

فماذا يمكن أن يفعل ؟!...

ماذا ؟!...

« ابتعد عن طريقنا أنتِ وخفرك يا عمدة ؟!... »



تبادل الخفر نظرة متوترة قلقة ، وتساءل ( بسيونى ) كيف سيواجه العمدة الموقف ، ولكن الحاج ( سعفان ) قال فى حزم :

ــ ( حسين ) بك لن يرضيه ما تفعله يا ( طارق ) بك

قال ( طارق ) فى تحد :

ــ لن يستطيع أن يفعل شيئًا .

أدار العمدة نظره فى وجوه باقى الشباب ، وهو يقول :

ــ ربما بالنسبة لك ... ولكنه سينكل بكل من تبعك ... ستأتى الشرطة بأعداد كبيرة إلى القرية ، وستنقض على منازلهم ، وتقلبها رأسًا على عقب ، وستهين آباءهم وأمهاتهم ، ثم سيأخذونهم بكل القسوة .

كانت وجوه الشباب قد امتقعت بالفعل ، وهم يتخيلون ما يمكن أن يصيب منازلهم وعائلاتهم ، عندما أضاف العمدة فى صرامة :

ــ والله سبحانه وتعالى وحده يعلم ... هل سيعودون ، أم ستنقطع أخبارهم ، كما حدث مع من سبقهم .

قال ( طارق ) فى عصبية :

ــ ماذا تحاول يا عمدة ؟!... أن توقع الرعب فى قلوبنا ؟!

تجاهله العمدة تمامًا ، وهو يقول للشبان الذين يتبعونه فى صرامة قاسية :

ــ عودوا إلى دياركم .

تردَّد الشباب لحظات ، ولكن تلك الصورة المفزعة ، التى غرسها العمدة فى أذهانهم ، جعلتهم يتراجعون فى بطء ، فهتف بهم ( طارق ) :

ــ هل ستتراجعون ؟!

غمغم أحدهم فى تخاذل :

ــ العمدة على حق ... نحن نجهل الحسابات العسكرية .

ابتسم العمدة فى ظفر ، عندما رأى الشبان ينفضون من حول ( طارق ) ، الذى فغر فاه محبطًا وغاضبًا ، فاتجه العمدة نحوه ، ووضع يده على كتفه ، قائلاً فى حنان أبوى ، يختلف عن صرامته منذ دقيقة واحدة :

ــ تعال يا ( طارق ) بك ... أريد التحدث معك قليلاً .

كاد ( طارق ) يبكى وهو يقول فى غضب :

ــ ماذا تريد يا عمدة ؟!... ألم تنتصر فى المواجهة ؟!

ابتسم العمدة فى حنان ، وهو يقول :

ــ مواجهـــة ماذا يا ابنى ؟!... كل ما أريده أن نتنـــاول معًا كوبًا من الشاى .

غمغم ( طارق ) فى مرارة :

ــ فيما بعد يا عمدة ... فيما بعد .

وعندما تركه وانصرف ، غمغم ( بسيونى ) فى حيرة :

ــ ماذا أصاب ( طارق ) بك يا عمدة ؟!... لماذا هو غاضب هكذا ؟!

تنهَّد الحاج ( سعفان ) ، وهو يغمغم :



ــ من حقه يا ( بسيونى ) ... من حقه جدًّا .

ولم يفهم ( بسيونى ) ما يعنيه هذا ...

أبدًا ..

★ ★ ★

لم يفهم ( حسين ) سر ابتسامة الرئيس الهادئة ، الممتلئة بالرضا ، وهو يقرأ التقارير الواردة ، بشأن مظاهرات الطلاب ، احتجاجًا على عدم التزامه بوعده فى حسم المعركة ، قبل نهاية العام ...

ولقد ارتفع حاجباه فى دهشة ، عندما أنهى الرئيس قراءة التقارير ، وقال فى ارتياح :

ــ عظيم .

وفى تردد غمغم ( حسين ) :

ــ يبدو أن أخبار المظاهرات لا تقلقك ، يا سيادة الرئيس .

ابتسم الرئيس ، وهو يقول :

ــ على العكس ... إنها تسعدنى .

ارتفع حاجبا ( حسين ) فى دهشة ، فضحك الرئيس ( السادات ) ، وهو يضع التقارير جانبًا ، ويقول فى هدوء :

ــ أمور كثيرة ستدهشك ، مادمت تعمل إلى جوارى يا ( حسين ) .

غمغم :

ــ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .

لملم ( حسين ) التقارير ؛ ليضعها فى خزانة المعلومات الخاصة بالرئيس ، عندما فوجئ به يسأله فى اهتمام :

ــ منذ متى لم تزر أهلك يا ( حسين ) ؟!

اعتدل ( حسين ) ، وقد أدهشه اهتمام الرئيس بأمر شخصى كهذا ، فى مثل هذه الظروف ، وتنحنح قبل أن يجيب :

ــ مضت فترة طويلة فى الواقع يا سيادة الرئيس .

سأله الرئيس :

ــ وكيف حال شقيقك ( حافظ ) ؟!... هل تجاوز حالة الشلل المؤقت التى أصابته ؟!

ازدرد ( حسين ) لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

ــ ليس على نحو كامل يا سيادة الرئيس ... الأمر حدث بسبب انفعال عاطفى عنيف ، وسيادتك أمرت بعلاجه فى مستشفى القوات المسلحة فى ( المعادى ) ، وهو الآن قادر على الكلام فى شىء من الصعوبة ، ولكنه يعانى إعاقة واضحة فى الحركة .

غمغم الرئيس :

ــ كان الله فى عونه ... وعونك .

ثم بدا شديد الاهتمام ، وهو يسأل :

ــ والآن أخبرنى ... ماذا يقول الناس عنى فى الشارع ؟!

« وهل أخبرته كل شىء ؟!... »



ألقى ( إبراهيم مكى ) السؤال فى اهتمام ، فقلب ( حسين ) كفيه ، وهو يجيب فى حيرة :

ــ ودون أدنى مواربة ... هذه أوامره المشدَّدة .

مال ( مكى ) نحوه ، يسأل فى اهتمام أكبر :

ــ ألم يغضب من النكات ، التى تسخر منه ؟!

هزَّ ( حسين ) رأسه نفيًا ، وقال بنفس الحيرة :

ــ لقد بدا وكأنه كان يتوقع هذا .

أومأ ( مكى ) برأسه متفهمًا ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وهو يفكر فى عمق ، مما جعل ( حسين ) يسأله :

ــ هل يفهم مخ الثعالب فى جمجمتك شيئًا ؟!

أشار ( مكى ) بيده ، وهو يجيب فى لهجة شبه شاردة :

ــ إنه يريد أن يراه الناس كذلك .

هتف ( حسين ) ، بكل دهشة واستنكار الدنيا :

ــ يريد ؟!

رفع ( مكى ) سبَّابته أمام وجهه ، قائلاً :

ــ كنت على حق ... الرجل أكثر دهاءً مما يبدو بكثير .

نهض من خلف مكتبه ، يلقى نظرة خاوية عبر النافذة ، فسأله ( حسين ) فى توتر :

ــ ما الذى تعنيه بهذا بالضبط ؟!... أريد أن أفهم

صمت ( مكى ) لحظات ، وهو يدير الأمر فى ذهنه ، قبل أن يقول ، وكأنه يحادث نفسه :

ــ خطة استراتيجية .

تمتم ( حسين ) فى توتر أكثر :

ــ ماذا تعنى ؟!

أجاب فى تفكير :

ــ أى رئيس فى الدنيا ، يشعر بالقلق ، إذا ما خرجت مظاهرات ضده ، تتهمه بالتقاعس عن استرداد حق بلاده ... ولكن ( السادات ) يشعر بالارتياح !! . . والتفسير المنطقى الوحيد لهذا ، هو أن ما يحدث يتمشى مع خطة استراتيجية فى ذهنه .

نهض ( حسين ) يلحق به عند النافذة ، وهو يسأله فى فضول :

ــ خطة ماذا ؟!

التفت إليه ( مكى ) ، قائلاً :

ــ خطة خداع ... الرجل يرسم لنفسه صورة الرئيس العاجز عن اتخاذ قرار الحرب ، على الرغم من أن كلينا يعلم جيدًا ، أنه يمتلك الجرأة اللازمة لذلك ... إنه يريد إذن خداع عدوه ، وإيهامه بأن الحرب فكرة بعيدة المنال ، وليست فى الحسبان .

انعقد حاجبا ( حسين ) ، وهو يعيد دراسة الأمر فى ذهنه بدوره :



ــ هذا يفسر ذلك القرار ، بأن نضع فى مكاتبنا آيات قرآنية تحض على السلام .

أشار ( مكى ) بسبَّابته ، قائلاً :

ــ ولهذا التقطوا ألف صورة لقادة الجيش ، ونشروا فقط الصور التى توحى بالهدوء والاسترخاء .

أمسك ( حسين ) ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى انفعال :

ــ هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!

تألقت عينا ( مكى ) ، وهو يجيب :

ــ الحرب .

شملهما معًا حماس قوى ، حبس الكلمات فى حلقيهما ، وكل منهما يعود إلى مقعده ، ثم غمغم ( مكى ) ، وكأنه يستعيد قدرته على الكلام فى صعوبة :

ــ هل ستسافر حقًّا إلى قريتك ؟!

أومأ برأسه ، مجيبًا :

ــ سيادة الرئيس أعطانى إجازة خاصة لهذا .

مال ( مكى ) نحوه ، وهو يسأله فى خبث :

ــ وهل ستذهب الأميرة ( عايدة ) معك ؟!

« كلا بالطبع ... »

هتفت بها ( عايدة ) فى عصبية شديدة ، جعلته يسألها فى دهشة غاضبة :

ــ ولماذا بالطبع ؟!

قالت فى حدة :

ــ لا أشعر بالراحة هناك .

قال فى غضب :

ــ الجميع هناك يعاملونك ، بأفضل مما كنت تعاملين فى القصر .

لوَّحت بذراعها ، هاتفة فى ازدراء :

ــ أمر طبيعى .

أمسك معصمها بغتة ، وهو يهتف بها :

ــ ماذا أصابك ؟!

صاحت فى حدة :

ــ أفلت معصمى .

ولكنه لم يفلت معصمها ، وإنما ضغطه فى قوة أكثر ، وهو يقول فى غضب حاد :

ــ أعصابك منفلتة ، وتتعاملين بسوقية ، لا تليق بأميرة سابقة .

جذبت معصمها عبثًا من يده ، وهى تصرخ :

ــ أميرة حالية وليســت سابقة ... الأمــراء لا يخسرون ألقابهم ، حتى ولو انتزعها منهم فلاحون مثلكم .



صرخ فيها مرة أخرى :

ــ ماذا أصابك ؟!

اغرورقت عيناها بالدموع بغتة ، وجعلها كبرياؤها تشيح بوجهها عنه ؛ لتخفى دموعها ، وهى تقول فى ألم وخفوت :

ــ أنت تؤلمنى .

لم ير دموعها ، ولكنه سمعها فى صوتها ، فأفلت معصمها ، واحتواها بين ذراعيه ، وتركها تفرغ دموعها الصامتة على صدره لحظات ، وهو يربت عليها فى حنان ، قبل أن يهمس لها فى حب :

ــ ماذا حدث ، لتنفلت أعصابك على هذا النحو ؟!

قالت منتحبة :

ــ بل قل ماذا لم يحدث .

التقى حاجباه ، وهو يغمغم :

ــ مسألة الحمل ؟!

أجابته فى مرارة :

ــ زرت الدكتور ( صفوت ) اليوم ، وأخبرنى أنه لم يحدث حمل ، ثم طلب منا إجراء بعض الفحوص الطبية .

غمغم فى توتر :

ــ منا ؟!..

مسحت دموعها بأناملها ، قبل أن ترفع وجهها إليه ، قائلة :

ــ نعم ... أنت وأنا .

تساءل فى عصبية :

ــ ولماذا أنا ؟!

أجابته فى سرعة :

ــ لأننى ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، قبل أن تخبره بأنها أجهضت حملاً ذات مرة ، خلال علاقتها بالثرى الفرنسى ( جان ) ؛ مما يثبت أنها ، وحتى ذلك الحين على الأقل ، كانت قادرة على الحمل ، واستدركت فى سرعة :

ــ لأننى وأنت نصنع طفلنا معًا .

أقلتها فى توتر ، وابتعد عنها قليلاً ، قبل أن يقول فى عصبية :

ــ هل تعلمين ماذا يمكن أن يقال عنى ، لو علم بعضهم بأمر تلك الفحوصات ؟!

قالت ، مستعيدة عنادها :

ــ سيقال إنك تسعى لإنجاب وريثك ... وريث عائلة ( البنهاوى ) .

لوَّح بذراعه ، هاتفًا :

ــ أنت لا تدركين كيف تسير الأمور هنا .

هتفت فى حنق :

ــ كيف ؟!... هل يخشون أن ينجبوا ، فيفقدون مناصبهم وسلطاتهم ؟!



قال فى حدة :

ــ ليس هذا مجال السخرية .

هتفت :

ــ مجال ماذا إذن ؟!... إننى لا أطلب منك أن تتنازل عن منصب أو جاه أو ثروة ، كما فعلتم بى ... كل ما أطلبه هو أن تتنازل وتتكرَّم وتتعطَّف ، وتجرى بعض الفحوص ، من أجل أن تجعلنى أمًّا ... أهذا كثير ؟!

بدا شديد العصبية ، وهو يقول :

ــ اتركينى أفكر فى هذا .

صاحت ثائرة :

ــ تفكر فى ماذا ؟!... فى إنجاب ابن منى ؟!... من الأميرة ( عايدة ) ، سليلة الأسرة الملكية ؟!... هل كنت تحلم يومًا ، بأن تمتزج دماؤك الريفية بدمائى الملكية .

زمجر قائلاً :

ــ الدماء كلها واحدة ... هذا ما نتعلمه فى ساحة القتال .

قالت فى شراسة أنثوية :

ــ إذن فدماء ( البنهاوية ) ، تتساوى مع دماء أحقر فلاح فى أحقر وأصغر قرية فى ( مصر ) .

احتقن وجهه ، وهو يقول فى حدة :

ــ انتبهى لحديثك يا ( عايدة ) .

صاحت :

ــ انتبه أنت إلى تصرفاتك يا ( حسين ) .

رمقها بنظرة غاضبة ، قبل أن يلتقط حقيبته ، ويندفع نحو الباب ، قائلاً فى صرامة وحدة غاضبة :

ــ سنناقش هذا عندما أعود .

التقطت فازة ثمينة ، وألقتها نحوه بكل قوتها ، وهى تصرخ :

ــ اذهب إلى الجحيم .

ارتطمت الفازة بالباب ، الذى صفقه خلفه فى قوة ، فتحطَّمت وتناثرت حوله ، فاحتقن وجهها هى هذه المرة ، وهى تهتف :

ــ عد إلى مسقط رأسك أيها الفلاح .

ثم انهمرت الدموع مرة أخرى من عينيها ، وهى تستطرد :

ــ أريد أن أصبح أمًّا .

ولأوَّل مرة فى حياتها ، انهمرت الدموع من عينيها غزيرة ...

وملتهبة ...

جدًّا ...

★ ★ ★

امتلأت عينا ( مفيد ) بنظرة حانية مشفقة ، وهو يتطلع إلى ( طارق ) ، الذى جلس حزينًا صامتًا منكسرًا ، أسفل شجرة البرتقال الكبيرة ، فى الحديقة الخلفية للسراى ...



كم كان يذكره بنفسه ، فى نفس المرحلة العمرية ...

حتى انكسار القلب ، تكرَّر معه مرة أخرى ...

يالَلمسكين !!... ذاق قلبه العذاب ، وهو بعد فى صباه وأوَّل شبابه ...

كان يقترب منه فى صمت ، عندما انتبه إليه ( طارق ) ، فالتفت فى بطء ، وغمغم فى انكسار :

ــ عمى ( مفيد ) .

جلس ( مفيد ) إلى جواره ، وربَّت على ظهره فى حنان ، وهو يسأله :

ــ هل ستقضى شبابك كله حزينًا ؟!

هزَّ ( طارق ) رأسه فى أسى ، وهو يغمغم :

ــ وماذا يفرح من حولنا ؟!

شعر ( مفيد ) بصدره ينقبض حزنًا على الصبى ، فربَّت عليه مرة أخرى ، وهو يقول فى حنان :

ــ لا تدخل فى نفق التشاؤم المظلم فى هذا العمر يا بنى ... أنت بعد فى مقتبل الحياة ، وطريق الآمال العريضة يمتد أمامك .

كاد الصبى يبكى ، وهو يقول :

ــ أية آمال يا عمى ؟!... ( نادرة ) التى أحبها منذ حداثتى ، لم ترفض عمتى ( نعيمة ) زواجى منها بإصرار فحسب ، ولكن منذ تسلَّلت خلفها وباغتتنا عند الساقية القديمة ، تمنعها تمامًا من الخروج ، ولولا عمى ( عمر ) ، لما خرجت حتى للدراسة .

وصمت لحظة ، على نحو جعل ( مفيد ) واثقًا من أنه يزدرد غصة فى حلقه ، قبل أن يكمل فى أسى شديد :

ــ كنت وبالاً عليها ياعمى ... على من أحب .

جاء دور ( مفيد ) ، ليزدرد فى صعوبة تلك الغصة فى حلقه ، وهو يستعيد صراخ ( مديحة ) فى وجهه ، بأنه دمَّر حياتها ...

أهو قدر ؟!...

كل من أحب من عائلة ( البنهاوى ) ، صار لعنة على من يحب ...

( زينب ) أحبت ( ماهر ) ، فلقى كلاهما مصرعه فى حادث سيارة ...

( نعيمة ) أحبت ( عمر ) ، فكاد ( حسين ) يفتك به ، وشاركه عنوة فى مصنعه ...

( شريفة ) أحبت ( أمجد ) ، فلقى مصرعه برصاص خفير بسيط ...

وهو أحب ( مديحة ) ، ففسدت حياتها ، وتشردت من قريتها ...

وأحب ( سوسن ) فجرح قلبها مرتين ، وترك فيه جرحًا غائرًا ...

وأحب ( جيهان ) ، فحطَّم ( حسين ) سمعتها ، وأجبرها على ترك البلاد ...

والآن جاء ( طارق ) ، ليقف فى طابور اللعنة ...

لعنة ( البنهاوية ) ...

وبكل مرارته ، ربَّت على ظهر ( طارق ) مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ الأمر لم يحسم بعد ... ربما ترفض عمتك ( نعيمة ) زواجكما فى شدة ، ولكن عمك ( عمر ) يباركه ، ومع مرور الوقت من يدرى ... ربما .



قال ( طارق ) فى مقت :

ــ لم أعد أطيق رؤية عمتى ( نعيمة ) ، وخاصة بعدما أصاب أبى بسببها .

غمغم ( مفيد ) فى أسى :

ــ ولكنك مضطر للتعايش معها ، خاصة وأنها تقيم معنا فى السراى ، بعد طلاقها من ( عمر ) .

لوَّح ( طارق ) بيده ، قائلاً :

ــ وأحالت السراى إلى ساحة حرب مستمرة ... الشجارات بينها وبين أمى لا تنقطع ... وكل منهما تحمل الأخرى مسئولية ما أصاب أبى ، وعمتى ( نعيمة ) تهددنا كلنا بعمى ( حسين ) طوال الوقت ، وهذا يستفز أمى ، وعمتى ( شريفة ) ممزقة بينهما ، وحائرة فى محاولة إعادة الهدوء إلى السراى ، أما أبى فلم يعد يبالى بما يحدث ، ولكن نظرات المقت تطل من عينيه طوال الوقت ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت صرخة قوية من قلب السراى ...

صرخة تحمل كل الرعب ...

الرعب الحقيقى .

* * *

# 8 ـ الحـــرب ..

« كيف حدث هذا ؟!...»

بدا ( حسين ) ، بزمجرته هذه ، أشبه بأسد جائع ، يهم بالانقضاض على فريسته ، حتى أن ( فاطمة ) انكمشت فى مكانها فى رعب ، و( مفيد ) أطبق شفتيه فى عصبية شديدة ، ونعيمة نفسها ارتجفت ، وهى تقول :

ـ لم يقترب أحد منه ... لقد انزلق وحده ، وسقط ، وانكسرت ساقه .

عاد ( حسين ) يزمجر بكل القسوة ، هاتفًا ومكررًا :

ـ كيف حدث هذا ؟!... أريد الحقيقة .

غمغمت ( شريفة ) فى توتر :

ـ هذه هى الحقيقة .

كانت تهم باستكمال حديثها ، عندما قال ( طارق ) فى حزم غاضب :

ـ كلا يا عمتى ... ليست هذه هى الحقيقة .

التفت إليه ( حسين ) فى حركة حادة ، ولكن ( طارق ) واصل ، دون أن يهتز :

ـ عمتى ( نعيمة ) كانت تتشاجر مع أمى كالمعتاد ، عندما أراد أبى تهدئة الأمور ، فحدث ما حدث .

صمت ( حسين ) تمامًا ، وهو يستمع إليه فى اهتمام ، قبل أن يستدير إلى ( نعيمة ) ، قائلاً فى صرامة :

ـ كالمعتاد ؟!



قالت ( نعيمة ) فى عصبية :

ـ لقد تجاوزت حدودها ، و ...

اندفعت ( فاطمة ) تقول ، بصوتها الغليظ الخشن :

ـ لم أتجاوز شيئًا ... لقد كنت ...

هتف بها ( حسين ) :

ـ اصمتى .

تراجعت منكمشة فى خوف ، فاحتقن وجه ( طارق ) ، وخاصة مع نظرة الشماتة ، التى أطلت من عينى ( نعيمة ) ، وقال فى عصبية :

ـ لماذا تصمت يا عمى ؟!

بهت الكل لقوله ، حتى أمه نفسها ، واعتدل ( مفيد ) فى اهتمام ، وقد ذكّره هذا بمواقف سابقة له ...

وفى أعماقه تساءل : كيف سيواجه ( حسين ) اعتراض ( طارق ) ...

إنه لا يحتمل مجرَّد الاعتراض ، على أى قول له ، فكيف سيتفاعل مع الموقف ، خاصة وأنه يتم أمامهم جميعًا ؟!...

كيف ؟!..

تعلق بصره بوجه ( حسين ) ، الذى حمل لمحة غضب فى البداية ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ لأننى أريد أن أستمع إلى ما حدث ، منك أنت يا ( طارق ) .

بهت الكل للعبارة ، التى قلب بها ( حسين ) الموقف كله فى لحظة ، وببراعة ذنبية ، تثبت أن الأشهر السابقة قد أكسبته خبرة كبيرة فيها ...

حتى ( طارق ) نفسه بهت ، ونسى عصبيته ، وهو يغمغم :

ـ منى أنا ؟!

استدار ( حسين ) بجسده كله إليه ، وهو يقول :

ـ نعم يا ( طارق ) ... أنت لن تكذبنى القول ... أنت ( بنهاوى ) .

كاد ( مفيد ) يخبره أنه أيضًا ( بنهاوى ) ، إلا أنه آثر الصمت ؛ ليرى كيف سينتهى هذا الأمر ...

أما ( طارق ) ، فقد تنحنح فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ ربما هذه هى المشكلة يا عمى ... عمتى ( نعيمة ) تكره أمى ، بزعم أنها ليست ( بنهاوية ) .

اندفعت ( نعيمة ) تهتف :

ـ ولن تصبح أبدًا ... إنها خادمة ... كانت وستظل خادمة .

قال ( طارق ) فى حدة :

ـ أمى ليست خادمة يا عمتى ... إنها زوجة أخيك .

هتفت :

ـ وبئس الزوجة ... إنها ...

قاطعها ( حسين ) بصيحة هادرة :

ـ ( نعيمة ) ...

ابتلعت باقى عبارتها ، وتراجعت منكمشة ، وهى تغمغم :

ـ لابد وأن تعرف مقدارها .



صمت ( حسين ) بضع لحظات ، وهو ينقل بصره بين الجميع ، قبل أن يتوقف عند ( فاطمة ) ، قائلاً فى صرامة ، غلفها بمحاولة للياقة مفتعلة :

ـ ( فاطمة ) ... انظرى ماذا يحتاج زوجك .

كانت ( فاطمة ) تريد أن تعترض ، إلا أنها آثرت السلامة ، فأومأت برأسها إيجابًا صاغرة ، ودلفت بالفعل إلى حجرة ( حافظ ) ، فاحتقن وجه ( طارق ) ، وهو يعترض :

ـ عمى ... ليس من المفترض ...

قاطعه ( حسين ) فى صرامة :

ـ ساعد أمك ، فى العناية بوالدك يا ( طارق ) .

تطلع إليه ( طارق ) مستنكرًا فى دهشة ، فأضاف فى صرامة أكثر :

ـ اذهب .

أدرك الصبى أن عمه ( حسين ) يريد أن ينفرد بعمه ( مفيد ) وعمته ( نعيمة ) لسبب ما ، فأطاعه فى توتر ، وأغلق الباب خلفه ، فى حجرة أبيه ، وهنا التفت ( حسين ) إلى ( نعيمة ) و( شريفة ) و( مفيد ) ، قائلاً بصرامته ، التى صارت لهجته الطبيعية ، فى حديثه مع كل من يتعامل معهم :

ـ إلى حجرة الضيوف .

اتجه الثلاثة فى استسلام إلى حيث أشار ، وجلسوا فى مواجهته ، وهو يقول فى صرامة غاضبة قاسية :

ـ ماذا أصابكم ؟!... تركتكم بضعة أشهر ، فقلبتم الدنيا رأسًا على عقب .

هتفت ( نعيمة ) :

ــ تلك الحقيرة ...

قاطعها ( حسين ) هادرًا :

ــ ( طارق ) على حق ... تلك زوجة ( حافظ البنهاوى ) ... زوجته وليست خادمته .

قالت فى عصبية :

ــ أنت تعلم ماذا كانت ، ولماذا اخترناها زوجة له .

قال بكل صرامة :

ــ ولكنها صارت زوجة ( بنهاوى ) ... وأم ( بنهاوى ) أيضًا .

امتقع وجهها ، وهى تقول فى عصبية :

ــ ماذا تقول يا ( حسين ) ؟!

غمغم ( مفيد ) :

ــ يقول الصدق يا ( نعيمة ) .

هتفت فى حدة :

ــ أتريدون أن تهزمنى هذه الـ ...

قاطعها ( حسين ) فى حدة أكثر شراسة :

ــ إنها ليست حربًا .

تراجعت مصعوقة ، فى حين تابع هو فى قسوة :

ــ هذا السراى ظل محترمًا ، منذ بناه ( البنهاوى ) الكبير ، ولن أسمح بتحوله إلى ساحة حرب ، يتناقل أهل القرية أخبارها ...



غمغمت :

ــ ولكن . .

صاح دون أن يمنحها فرصة الاستطراد :

ــ كل من يقيم فى هذا السراى عليه أن يحترم اسم وسمعة عائلة ( البنهاوى ) ، أو ...

صمت لحظة ، شدَّ خلالها قامته وحمل صوته وملامحه شراسة لا حدود لها ، وهو يضيف :

ــ أو يغادره .

شهقت ( نعيمة ) مصعوقة ، فى حين هتفت ( شريفة ) :

ــ ماذا تقول يا ( حسين ) ؟!

زمجر قائلاً :

ــ أقول ما سمعته .

التقط ( مفيد ) نفسًا عميقًا ، وقال فى خفوت :

ــ ليس هكذا تحل الأمور .

هتف به ( حسين ) :

ــ كيـف إذن أيها العبقـرى ؟!... أنت تقيم معهما فى السراى ، ولم تستطع حل الأمر ، وإيقاف تلك الحرب السخيفة .

قال ( مفيد ) فى ضيق :

ــ ( نعيمة ) تمتلئ بالغضب ، لأنها تعتقد أن ( فاطمة ) هى سبب طلاقها الثانى من ( عمر ) ، وفاطمة غاضبة ، لأنها تعتقد أن ( نعيمة ) مسئولة عما أصاب ( حافظ ) .

قال ( حسين ) فى حدة :

ــ وأنت و( شريفة ) تكتفيان بالمشاهدة والمتابعة ، ومصمصة الشفاة ... أليس كذلك يا سيد الرجال ؟!

غمغمت ( شريفة ) ، فى خوف وانكسار :

ــ وماذا بيدى لأفعله ؟!...

هتف بها :

ــ افعلى كما يفعل شقيقك الأصغر .

والتفت إلى ( مفيد ) ، مضيفًا فى حدة :

ــ اكتفى بالسلبية .

أشاح ( مفيد ) بوجهه ، دون أن يجيب ، فعاد ( حسين ) يشد قامته ، وهو يقول لـ ( نعيمة ) فى صرامة :

ــ لست أدرى لماذا طلَّقك ( عمر ) للمرة الثانية ، ولكننى مازلت أذكر أنك طلبت منى ، فى المرة السابقة ، عدم التدخل فى علاقتك به .

بكت ( نعيمة ) ، وهى تعض شفتها السفلى فى مرارة ، فتابع بنفس الصرامة :

ــ ولهذا لن أتدخل هذه المرة ... ولكن هذا يعنى أن تقيمى هنا ، فى الوقت الحالى ، وليس من المنطقى أن تشعلى النار فى السراى كله ؛ لمجرد أنك غاضبة بشأن طلاقك .

تردَّد ( مفيد ) لحظة ، ثم قال :

ــ غضبها ليس بشأن طلاقها فحسب .



استدار إليه ( حسين ) بنظرة حادة متسائلة ، فى حين هتفت ( شريفة ) محذرة :

ــ ( مفيد ) .

ولكن ( حسين ) استوقفها بإشارة صارمة محذرة ، وهو يسأل ( مفيد ) فى صرامة :

ــ مم أيضًا ؟!..

أدار ( مفيد ) نظره ، بين ( شريفة ) الملتاعة ، و( نعيمة ) الشاحبة ، قبل أن يجيب :

ــ ( طارق ) ... ( طارق ) و( نادرة ) .

وهوى قلب ( نعيمة ) بين قدميها ...

وبكل العنف ...

★ ★ ★

راجع الدكتور ( صفوت ) كل النتائج المدوَّنة فى التقرير الطبى أمامه ، قبل أن يرفع عينيه إلى الأميرة ( عايدة ) ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ــ كل شىء على ما يرام ، وطبيعى تمامًا يا سمو الأميرة .

غمغمت ( عايدة ) فى ارتياح :

ــ لم يخاطبنى أحد بهذا اللقب ، منذ ثورة الفلاحين يا دكتور ( صفوت ) .

تلفَّت الطبيب حوله فى توتر ، خشية أن يكون هناك من سمع عبارتها ، على الرغم من أنها تجلس معه وحدهما ، فى حجرة الكشف بعيادته الخاصة ، ثم مال نحوها مغمغمًا :

ــ لا تنسى أننى كنت الطبيب الخاص للبرنسيسة والدتك المصون يا ... يا سمو الأميرة .

ابتسمت ، قائلة :

ــ قليلون هم من يجرءون على قول هذا .

ثم اعتدلت ، وأخرجت سيجارة من حقيبتها ، وهى تسأله :

ــ هل تسمح لى بالتدخين ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ــ المفترض إلا أسمح بهذا ، فى حجرة الكشف .

ثم خفض صوته ، وهو يميل نحوها ، مستطردًا :

ــ ولكن الأميرات يأمرن ولا يستأذن .

اتسعت ابتسامتها الواثقة ، وأشعلت سيجارتها فى أناقة ، ونفثت دخانها عالياً ، قبل أن تسأله :

ــ لا يوجد إذن ما يحول بينى وبين الحمل ...

أجاب فى حماس :

ــ مطلقًا .

انعقد حاجباها الجميلان ، وهى تسأله :

ــ لمذا لم يحدث الحمل إذن ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :



ــ عدم حدوث الحمل له أسباب عديدة ، جزء منها يتعلق بالرجل وجزء آخر بالمرأة ، وجزء ثالث يتعلق بإرادة الله سبحانه وتعالى ، حيث لا نجد سببًا واضحًا لعدم الإنجاب ، مع جودة نتائج الفحوص الطبية للرجل والمرأة .

اعتدلت فى عصبية ، متسائلة :

ــ وكيف يمكن حسم هذا ؟!

أشار إلى التقاريرالطبية أمامه ، وهو يجيب :

ــ لقد استبعدنا الاحتمال الأوّل ، مع نتائج فحوصك الطبية .

غمغمت ، وهى تنفث دخان سيجارتها متوترة :

ــ يبقى أمامنا احتمالان .

لوَّح بيده ، قائلاً :

ــ الاحتمال الثانى يمكن تأكيده أو استبعاده بوسيلة بسيطة .

غمغمت ، وهى تهز ساقيها فى عصبية :

ــ أن يجرى ( حسين ) الفحوص الطبية اللازمة .

ضرب الدكتور ( صفوت ) سطح مكتبه براحته ، وهو يجيب فى حماس :

ــ بالضبط .

نفثت دخان سيجارتها ثلاث مرات ، فى عصبية شديدة ، قبل أن تلتفت إلى الدكتور ( صفوت ) ، قائلة :

ــ أخبره إذن .

انتفض جسد الطبيب ، وهو يقول فى ارتياع :

ــ أنا ؟!

نفثت دخان سيجارتها بنفس العصبية ، وهى تقول :

ــ نعم ... أنت ... ألست طبيب العائلة ؟!..

ارتبك فى شدة ، وهو يقول :

ــ ولكننى لم ألتق بـــ ( حسين ) بك ، مرة واحدة فى حياتى .

نهضت ، قائلة :

ــ اجعلها المرة الأولى إذن .

كانت تلملم أشياءها ، استعدادًا للانصراف ، وكأنما حسمت الأمر بكلماتها ، ولكنه استوقفها فى توتر :

ــ لن أستطيع فعل هذا .

سألته فى حدة :

ــ ولماذا ؟!

لم يكن باستطاعته أن يخبرها أن السبب الفعلى هو أنه لن يجرؤ على مواجهة ( حسين البنهاوى ) ...

ولن يجرؤ على طلب هذا الأمر منه ...

ولم يكن من الممكن حتى أن يواجهه ، لذا فقد اكتفى بالتكرار :

ــ لن أستطيع فعل هذا .

أطفأت سيجارتها على سطح مكتبه ، وهى تهتف فى غضب :

ــ ماذا أصاب الرجال فى ( مصر ) ؟!



خفض عينيه ، وهو يغمغم فى خجل :

ــ لن أستطيع .

رمقته بنظرة ازدراء ، قبل أن تقول فى حدة :

ــ فليكن ... سأخبره أنا .

ثم جذبت تقاريرها الطبية من أمامه فى عنف ، مستطردة :

ــ وسأنصحه بطبيب آخر ... طبيب لديه لمحة من الرجولة .

تركها تنصرف كالعاصفة ، ثم رفع عينيه ، يتطلع إلى الباب الذى صفقته خلفها ، وهو يتمتم فى مرارة :

ــ ابحثى خارج ( مصر ) إذن .

ثم استعاذ بالله ( سبحانه وتعالى ) من الشيطان ...

ومن ( حسين ) ...

( حسين البنهاوى ) ...

★ ★ ★

« وماذا فعل ( حسين البنهاوى ) ، عندما علم هذا ؟!... »

ألقى ( عمر ) السؤال على ( مفيد ) فى قلق ، فهزَّ ( مفيد ) كتفيه ، وهو يقول :

ــ لم يقل شيئًا .

سأله ( عمر ) فى دهشة :

ــ أى شىء ؟!

هزَّ ( مفيد ) كتفيه مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ لقد أخبرته ، فحدَّق فى وجهى بدهشة ، ثم نظر إلى ( نعيمة ) لحظات ، وبعدها أخبرنا أنه سيذهب للنوم ، ولا يريد أن يوقظه أحد .

تراجع ( عمر ) فى دهشة :

ــ أى رد فعل عجيب هذا ؟!

غمغم ( مفيد ) :

ــ أراد أن يحسبها أوَّلاً .

هتف ( عمر ) مستنكرًا :

ــ يحسب ماذا ؟!... ( طارق ) ابن شقيقه ، و( نادرة ) ابنة شقيقته ... ما الذى سيحسبه ؟!

أطلق ( مفيد ) زفرة حارة ، قبل أن يجيب :

ــ المكسب والخسارة .

هتف ( عمر ) مستنكرًا :

ــ أى مكسب وأية خسارة ... إنه ارتباط عائلى بحت .

ثم تراجع ، مستطردًا فى توتر :

ــ إلا لو كان يرفض ارتباط ( البنهاوية ) بى أكثر .

زفر ( مفيد ) مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ كل شىء فى حياة ( حسين ) مكسب وخسارة ... هل يكسبه هذا المزيد من الصعود والسلطة والنفوذ ، أم سيجعله يخسر شيئًا من هذا ؟!... هذه هى الحسبة الوحيدة فى حياته .



تساءل ( عمر ) :

ــ ولكنه قضى ثلاثة أيام معكم فى السراى ... ألم يتخذ قراره خلالها ؟!..

هزَّ ( مفيد ) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لم يشر إلى الأمر حتى ، وكأنه يرفض مناقشته .

صمت ( عمر ) ، وقد ضايقه أن يخضع مستقبل ابنته لهذا ... وبذل جهدًا للسيطرة على بذرة غضب تنمو فى أعماقه ، قبل أن يسأل ، محاولاً إدارة دفة الحديث إلى واجهة أخرى :

ــ هل تعتقد أن ( السادات ) سيحارب حقًا ؟!

هزَّ ( مفيد ) رأسه ، وهو يجيب :

ــ من الصعب التنبؤ بخطوات وقرارات ( السادات ) ... إنه يحيا بعقله فى زمن يختلف عن زمننا ، ويقيس الأمور بمقياس يختلف عن مقاييسنا .

تساءل ( عمر ) :

ــ أهذا مدح أم ذم ؟!

عاد ( مفيد ) يهز كتفيه ، مجيبًا :

ــ لا هذا ولا ذاك ... إنها محاولة لتقييم الرجل فحسب .

قال ( عمر ) مستنكرًا :

ــ بألا تعلم عنه شيئًا ؟!

قبل أن يجيب ( مفيد ) ، دق ( عبد الحكيم ) باب حجرة المكتب ، وهو يقول :

ــ أهو اجتماع مغلق ، أم أنه باستطاعتى الانضمام إليكما ؟!

هتف ( عمر ) فى حرارة :

ــ على الرحب والسعة .

وابتسم ( مفيد ) ، وهو يغمغم :

ــ إنها أرضك ، وهو مصنعك .

ضحك ( عبد الحكيم ) ، وهو يتخذ مجلسه ، قائلاً :

ــ فيم كنتما تتحدثان ؟!

أجابه ( عمر ) :

ــ عن ( السادات ) واستعداده لخوض حرب مع ( إسرائيل ) ؛ لاستعادة ( سيناء ) .

مطّ ( عبد الحكيم ) شفتيه ، قائلاً :

ــ لست أظنه سيفعلها ... منذ بدايات عام ثلاثة وسبعين ، لم يعد الحديث عن الحرب حماسيًّا ، كما كان قبل هذا .

قال ( مفيد ) فى اهتمام :

ــ الرئيس يقول : إن السوفييت خذلونا .

مطّ ( عبد الحكيم ) شفتيه مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ الرئيس يقول الكثير من الكلام .

ضحك ( عمر ) :

ــ ويرتدى الكثير من الأزياء .

ابتسم ( مفيد ) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :



ــ إننا لم نعتد هذا ، فى زمن ( ناصر ) رحمه الله .

هتف ( عبد الحكيم ) :

ــ شتان بين هذا وذاك .

قال ( عمر ) ضاحكاً :

ــ بالتأكيد ... ( ناصر ) صعيدى ، و( السادات ) فلاح .

ضحك ( مفيد ) و( عبد الحكيم ) لما قاله ، ثم تساءل ( عبد الحكيم ) ، وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

ــ هل أخبرته يا ( عمر ) ، أم أخبره أنا ؟!

ابتسم ( عمر ) ابتسامة مماثلة ، وهو يجيب :

ــ كنت أنتظرك لتخبره .

نقل ( مفيد ) بصره بينهما فى دهشة ، وهو يقول :

ــ تخبرنى ماذا؟!

تبادل الرجلان نظرة عابثة ، لا تتناسب مع طبيعتهما ، ثم مال ( عبد الحكيم ) نحو ( مفيد ) ، وهو يقول :

ــ سأخبرك أنا .

وعندما أخبره ، اتسعت عينا ( مفيد ) عن آخرهما ...

فقد كان ما أخبره به مفاجأة ...

مدهشة .

★ ★ ★

# 9 ـ الضـــربـة ..

نفثت الأميرة ( عايدة ) دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى ترقد على فراشها ، فى ثوب نوم مثير ، تراقب ( حسين ) ، وهو يرتدى ثيابه ، فقال هذا الأخير فى صرامة ، دون أن يلتفت إليها :

ـ قلت أكثر من مرة : لاتدخنى فى حجرة النوم .

قالت فى عصبية :

ـ أنا حرة .

التفت إليها بنظرة قاسية ، ثم اتجه نحوها بخطوتين واسعتين ، واختطف سيجارتها ، من بين سبابتها وإبهامها ، وأطفأها فى المنفضة البللورية إلى جوار الفراش ، فاحتقن وجهها ، وهى تهتف :

ـ كيف تجرؤ !!

كرَّر فى صرامة شديدة :

ـ لا أحتمل رائحة دخان السجائر .

التقطت علبة سجائرها بحركة حادة ، والتقطت منها سيجارة أخرى ، دستها بين شفتيها ، وهمَّت بإشعالها ، ولكنه اختطفها من بين شفتيها ، وهو يقول فى حدة :

ـ يجب أن تعتادى طاعة زوجك .

قفزت من الفراش صارخة :

ـ طاعة من ؟!... الأميرة ( عايدة ) تطيع فلاحًا ؟!... هل تتصوَّر أن قبولى الزواج منك ، يعنى أن الفوارق الطبقية بيننا قد زالت ؟!..



مال نحوها ، قائلاً فى قسوة :

ـ الفوارق الطبقية بيننا موجودة ، ولكنها على عكس ما تتصوَّرينه ... أنت أميرة سابقة ، تحيا على ذكريات زمن لن يعود ، وأنا ( حسين البنهاوى ) ، أقوى رجل فى ( مصر ) ...

هتفت متحدية :

ـ ما زلت فلاحًا ، وعائلة ( البنهاوى ) تلك ليست سوى ...

قاطعها بصيحة هادرة :

ـ اصمتى .

تراجعت فى دهشة ، وبحركة عنيفة ، كما لو أنها قد تلقت منه صفعة قوية ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، عندما مال نحوها ، بعينين يطل منهما كل غضب الدنيا ، مستطردًا :

ـ لو لفظت حرفًا واحدًا ، يمس عائلة ( البنهاوى ) بسوء ، لن تغادرى هذه الحجرة حيةً ... هل تفهمين ؟!

ولأوَّل مرة فى حياتها ، شعرت بالرعب منه ...

تلك النظرة ، التى أطلت مــن عينيــه ، وهــو ينطق كلماته الأخيــرة ، لم ترها قط ، منذ تعرَّفته لأوَّل مرة ، فى نادى ( الجزيرة ) ، عقب ثورة يوليو ...

شعرت بالحنق فى نفسها ؛ لأنها وصفتها بالثورة ...

إنها كانت ومازالت تصر ، على أنها مجرَّد انقلاب ...

انقلاب أطاح بكل مستقبلها دفعة واحدة ...

ولكن هذه ليست النقطة الأساسية الآن ...

إنه ( حسين البنهاوى ) ...

وليد انقلاب الفلاحين ، الذى انتزع منها لقبها وثروتها ...

( حسين ) الذى تزوّجته ...

أو التى أخطأت بزواجها منه ...

« إنك تخيفنى ... »

هتفت بالكلمة فى عصبية ، وهى تتراجع مبتعدة عنه ، فصاح بها فى غضب :

ــ وأنت تثيرين جنونى ... الأمور كلها ملتهبة فى البلد ، وأنا أعمل ليل نهار ، والرئيس نفسه لا ينام تقريبًا ، وكل ما يشغلك هو الإنجاب ، والحفاظ على مظهر الأميرة .

صاحت فى حدة :

ــ كل أنثى فى الدنيا تحلم بأن تكون أمًّا .

صاح بها :

ــ إذا كانت صالحة لهذا .

شعرت برغبة عارمة فى إشعال سيجارة ، وهى تقول فى عصبية :

ــ التقارير الطبية كلها أكدت أننى صالحة لهذا .

مطّ شفتيه فى ازدراء ، قائلاً :

ــ ومن تحدث عن التقارير الطبية ؟!

قالت فى عصبية :



ــ ماذا تعنى ؟!

مال نحوها ، وهو يجيب فى صرامة :

ــ الأمومة ليست زهوًا تتباهى به ذوات الحسن والجمال ؛ لاستكمال صورة الأنوثة ... إنها مسئولية والتزام ، وقدرة على تربية جيل صالح .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ــ وأنت ترانى غير أهل لهذا .

اعتدل فى حركة حادة ، مجيبًا فى قسوة :

ــ بالتأكيد .

احتقن وجهها أكثر ، وهى تقول غاضبة :

ــ من تخدع بهذه العبارات الأنيقة ، والدروس السخفية .

انعقد حاجباه فى غضب ، فتابعت مندفعة فى عصبية :

ــ إنك فقط تحاول إخفاء السبب الحقيقى ، الذى يمنعك من إجراء الفحوص الطبية ؛ لمعرفة قدرتك على الإنجاب .

نظر إليها باستخفاف عصبى ، وهو يلتقط رباط عنقه :

ــ هكذا ؟!

هتفت :

ــ نعم ... هكذا ... ستة أشهر وأنت ترفض إجراء الفحوص الطبية ، بعد أن علمت أن نتائج فحوصى إيجابية ؛ لأنك فقط تخشى أن يعلم أحدهم بالأمر .

غمغم فى مقت ، وهو يعقد رباط عنقه :

ــ غبية .

صاحت به :

ــ أنت تعلم أننى على حق ، وأنك مستعد للتضحية بكل شىء فى الوجود ، حتى لا تخسر صورتك وهيبتك .

كان يهم بالرد عليها ، عندما ارتفعت طرقات الخادمة على باب الحجرة ، فقال فى صرامة عصبية :

ــ ادخلى يا ( هند ) .

دلفت الخادمة إلى الحجرة ، ونقلت بصرها بينهما فى توتر ، يوحى بأن شجارهما قد بلغ مسامعها ، وهى تقول :

ــ ( إبراهيم ) بك هنا ، ويطلب مقابلتك يا باشا .

انعقد حاجبا ( عايدة ) فى تساؤل ، فى حين غمغم ( حسين ) ، فى دهشة متوترة :

ــ ( إبراهيم مكى ) ؟!

أومأت ( هند ) برأسها ، مغمغمة :

ــ نعم يا باشا ... إنه ينتظرك فى الصالون .

ألقى نظرة على ساعة يده فى دهشة ، وتساءل فى قلق عن سر زيارة ( مكى ) له ، فى مثل هذه الساعة ، ثم قال للخادمة فى صرامة :

ــ أخبريه أننى أكمل ارتداء ثيابى ، وسآتى إليه على الفور ، وأعدى له فنجانًا من القهوة ... هيا .

انصرفت الخادمة فى استسلام ، وأغلقت الباب خلفها ، فقالت ( عايدة ) فى عصبية :



ــ اللياقة تقتضى أن يبلغنا مسبقًا بقدومه .

تجاهل ( حسين ) قولها تمامًا ، وكأنه لم يسمعه ... أو أنه بالفعل لم يسمعه ، وذهنه منشغل بالسؤال الأهم ...

لمذا أتى ( مكى ) فجأة ، فى هذه الساعة ؟!...

لماذا ؟!...

« ذلك الخبر المنشور فى الصفحة الثالثة ، من جريدة الأهرام غدًا ...»

قالها ( مكى ) ، وهو يناول الجريدة لــ ( حسين ) ، الذى غمغم وهو يطالع الإعلان :

ــ إنه إعلان عن فتح باب عمرة رمضان ، لضباط وصف ضابط القوات المسلحة .

قال ( مكى ) فى انفعال :

ــ أرأيت البراعة ؟!

رفع ( حسين ) عينيه الحائرتين إليه ، وهو يسأل :

ــ البراعة بشأن ماذا ؟!

أشار ( مكى ) بيده ، قائلاً :

ــ هــل تذكر ذلك الخبر ، الخاص بزيارة الأميــرة ( مارجريت ) لــ ( مصر ) ؟! جهازنا يرتب تفاصيل الزيارة بالفعل .

قال ( حسين ) فى حذر :

ــ هذا ترتيب طبيعى .

قال ( مكى ) فى حماس :

ـــ المهم فى التوقيت ... هناك أيضًا استعدادات لزيارة قائد القوات الجوية ( حسنى مبارك ) لدولة ( ليبيا ) ، فى الخامس من أكتوبر .

لم يستطع عقل ( حسين ) ربط تلك الأمور ببعضها البعض ، وخاصة مع ما خلفه شجاره مع ( عايدة ) فى نفسه من توتر ، فقال فى شىء من العصبية :

ـــ ماذا تريد أن تقول يا ( إبراهيم ) ؟!

مال ( مكى ) نحوه ، وبدا شديد الانفعال والحماس ، وهو يجيب فى حماس حار :

ـــ الحرب .

تراجع ( حسين ) فى دهشة ، وهو يكرر :

ـــ الحرب ؟!

اعتدل ( مكى ) ، قائلاً بكل حماسه وانفعاله :

ـــ تلك الأخبار فى حد ذاتها قد لا تعنى شيئًا ، حتى بالنسبة لمحلل سياسى محنَّك ، ولكننى ربطت هذا بسعادة ( السادات ) ، بعدم مصداقيته أمام الشباب ، بما يتناقض مع طبيعتة ، وتوصلت إلى الحقيقة .

وعاد يميل نحو ( حسين ) ، مضيفًا :

ـــ إنهم يستعدون للحرب .



شعر ( حسين ) بصدمة عنيفة فى كيانه ، عندما سمع هذا من ( إبراهيم ) ...

لم تكن الصدمة بشأن ما يقوله ( مكى ) ...

ولكن الصدمة ؛ لأنه لو صح قول ( مكى ) ، فالرئيس قد أخفى عنه ما يحدث ...

ولهذا دلالة كبيرة ...

ومخيفة ...

جدًا ...

★ ★ ★

« يا عمدة ... يا عمدة ...»

راح شيخ الخفر ( بسيونى ) يصرخ بالكلمة ، وهو يعدو عبر طرقات القرية ، فتابعه الكل فى دهشة ، وخرج العمدة الحاج ( سعفان ) أثر صراخ ( بسيونى ) ، وصاح فيه :

ـــ ماذا حدث يا ( بسيونى ) ؟!... هل انطبقت السماء على الأرض ، حتى تصرخ على هذا النحو؟!

صاح ( بسيونى ) فى انفعال :

ـــ أكثر يا عمدة ... أكثر ...

ولهث ثانيتين فى شدة ، قبل أن يستطرد صائحًا :

ـــ الحرب اندلعت يا عمدة .

اتسعت عينا العمدة فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ الحرب ؟!... مع ( إسرائيل ) ؟!

لهث ( بسيونى ) أكثر ، وهو يهتف :

ـ ألنا عدو سواها يا عمدة ؟!

« لا أستطيع تصديق هذا ... »

هتف بها ( عبد الحكيم ) ، مع هتافات النصر ، التى انطلقت من أفواه عمال المصنع ، فأجابه ( مفيد ) فى حماس :

ـ ولِمَ لا ؟!.. إنها ست سنوات عصيبة ، قضيناها فى الإعداد والتدريب .

غمغم ( عبد الحكيم ) مبهورًا ، وهو يستمع إلى المذياع فى حماس :

ـ ولكن خبرتى تقول : إن بياناتنا العسكرية ليست صادقة ... فى أيام النكسة خدعونا ببيانات عن إسقاط مئات الطائرات ، ثم فوجئنا بالهزيمة .

بدا ( مفيد ) منتشيًا ، وهو يقول :

ـ هذه المرة تختلف يا ( عبد الحكيم ) ... قلبى يخبرنى أن هذه المرة تختلف .

هزَّ ( عبد الحكيم ) كتفيه ، قائلاً فى شك :

ـ ربما .

ثم التفت إلى ( مفيد ) ، مستطردًا :

ـ لو صحَّت توقعاتك ، سأصرف نصف شهر مكافأة ، لكل عمال وموظفى المصنع .



ابتسم ( مفيد ) ، فاستدرك ( عبد الحكيم ) فى سرعة :

ـ بعد إذنك بالطبع .

ارتفع حاجبا ( مفيد ) فى دهشة ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ إذنى ؟!

ربَّت ( عبد الحكيم ) على كتفه ، وهو يقول :

ـ بالطبع ... ألست شريكًا فى المصنع .

تراجع ( مفيـد ) فى مقعـده فى بطء ، وعقله يسترجع ذكرى ذلك اليوم ، الذى أخبره فيه ( عبد الحكيم ) ، فى حضـور ( عمر ) ، أنهما قرَّرا جعله شريكًا فى مصنع الغزل والنسيج ...

كانت مفاجأة مدهشة له ، لم يتوقعها قط ...

ولقد رفض الفكرة كلها فى البداية ...

رفضها لأنه لا يملك ما يساهم به فى رأس المال ...

ورفضها لأنه كان واثقًا من أن ( حسين ) لن يقبل بهذا ...

ولكن ( عمر ) و( عبد الحكيم ) كانت لهما مبرراتهما ...

دخل المصنع تضاعف ، منذ تولى هو شئونه المالية ، حتى أنهم بصدد شراء مصنع آخر ، وتوسعة الأعمال ...

وهذا وحده يمنحه الحق فى أن يكون شريكًا ...

الأهم أنه فوجئ بأن ( حسين ) قد وافق على هذا ، بل واكتفى بربع نصيب فى المصنع ، بدلاً من الثلث ، حتى يحصل ( مفيد ) على ربع آخر ...

وقد كان ...

وحتى تلك اللحظة ، لم يفهم ( مفيد ) لماذا فعل ( حسين ) هذا ؟!...

فـ ( حسين ) ليس بالرجل الذى يمنح أبدًا ...

إلا لو كان هذا فى صالحه ...

والسؤال هو : ما الذى يراه ( حسين ) فى صالحه ، إذا ما صار هو شريكًا فى مصنع الغزل ؟!..

ما الذى يراه ؟!...

وما الذى لا يستطيع هو أن يراه ؟!..

« يبدو أن العمال سيفوزون بنصف الشهر ... »

قالها ( عبد الحكيم ) فى حماس ، فانتزع ( مفيد ) من ذكرياته ، وجعله يعتدل متسائلاً :

ــ حقًا ؟!

هتف ( عبد الحكيم ) :

ــ ألم تسمع يا رجــل ؟!... لقــد ارتفع العلم المصرى ، على الضفة الشرقية لقناة ( السويس ) ...

وشمله الحماس ، من رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يضيف :

ــ لقد عبرنا يا ( مفيد ) ... عبرنا .

وفى أعماق ( مفيد ) ، شعر بأمر لم يشعر به ، منذ زمن طويل ...



بالانتصار ...

★ ★ ★

لم تصدق ( عايدة ) عينيها ، وهى تشاهد طوابير الأسرى الإسرائيليين ، على شاشة التليفزيون المصرى ...

لقد انتصروا ...

انتصر المصريون ...

انتصروا على الإسرائيليين ، الذين تصوَّرت ، كما تقرأ عنهم ، أنهم لا ينهزمون أبدًا ...

طوال إقامتها فى ( أوروبا ) ، سمعت الكثير عن جيش الدفاع الإسرائيلى ، الذى لا يقهر . .

ولأنها تبغض الثورة وكل ما فعلته ، صدَّقت دعاية الإسرائيليين ...

ومع نكسة يونيو ، شعرت بالكثير من الشماتة ...

لقد انهزم الفلاحون ، الذين سرقوا لقبها وثروتها ...

انهزموا ، وخسروا ( سيناء ) كلها ...

وهذا ما يستحقونه ، من وجهة نظرها ...

وحتى عندما كان ( حسين ) يخبرها عن الاستعدادات ، لم تلق بالاً للأمر ؛ لثقتها فى أن كل هذا غير مجد ...

الفلاحون لن يهزموا جيش الإسرائيليين الذى لا يقهر أبدًا ...

أبدًا ...

ولكن ما تراه أمامها يثبت أنها كانت على خطأ تمامًا ...

المصريون فعلوها حقًا ...

عبروا قناة ( السويس ) ، أقوى مانع مائى ، وحطموا خط ( بارليف ) ، أقوى خط دفاعى فى التاريخ ، ورفعوا علمهم على أرض سيناء ، ونشروا قواتهم فيها بكثافة ...

إنهم ينتصرون !!...

كانت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تتابع شاشة التلفاز ، عندما وضعت الخادمة ( هند ) أمامها فنجان القهوة ، قائلة :

ـ القهوة يا مدام .

قالت دون أن تلتفت إليها :

ـ أميرة يا ( هند ) ... أنا أميرة .

قالت ( هند ) فى رياء :

ـ عفوًا يا سمو الأميرة ... اغفرى لى .

أشارت إليها ( عايدة ) بأناملها لتنصرف ، إلا أن ( هند ) ظلت واقفة ، تقول بابتسامة متزلفة :

ـ سمو الأميرة ... تعلمين كم أحبك ... أليس كذلك ؟!

سألتها ( عايدة ) فى ضجر وصرامة :

ـ ماذا تريدين يا ( هند ) ؟!



مالت ( هند ) نحوها ، وهى تقول فى نعومة مدروسة :

ـ اغفرى لى يا سمو الأميرة ، ولكنك لا تجيدين التعامل مع ( حسين ) باشا .

التفتت إليها ( عايدة ) فى حركة حادة ، هاتفة فى استنكار غاضب :

ـ كيف تجرؤين على التحدث فى أمور شخصية كهذه ؟!

لم ينجح غضبها واستنكارها فى دفع ( هند ) للتراجع ، وهى تقول :

ـ صدقينى يا سـمو الأميرة ... الرجال كالأطفال ، لا يحبون العناد ، ولا يمكن إجبارهم على فعل شىء بهذا الأسلوب .

هتفت بها فى غضب :

ـ هذا ليس شأنك .

أدهشها أن ( هند ) لم تتراجع ، وهى تواصل فى إصرار :

ـ الرجـل فى ( مصر ) لا يقبـل نصيحة من زوجته ، حتى لو كانت أميرة جميلة مثل سموك ... إنهم يحتاجون إلى سلاح آخر لردعهم .

كانت الأميرة ( عايدة ) تريد أن تصرخ فى وجهها ، إلا أن فضولها الشديد جعلها تسألها فى تعال :

ـ وأنت تعرفين هذا السلاح يا ( هند ) ؟!

أدركت ( هند ) أنها قد نجحت فى جذب انتباهها ، فأجابت فى حماس مدروس :

ـ كل نساء الأرض تعرفنه يا أميرتى .

ثم مالت على أذنها ، مستطردة :

ــ الأنوثة والدلال .

انعقد حاجبا ( عايدة ) ، وهى تقول فى عصبية :

ــ كان هذا ينفع فى السابق فقط .

اعتدلت ( هند ) وهى تقول :

ــ ألم أقل لك : إن الرجال مثل الأطفال يا سمو الأميرة .

نفثت ( عايدة ) دخان سيجارتها ، وهى تسألها فى اهتمام ، وكأنها نسيت مؤقتًا الفارق الاجتماعى والفعلى بينهما :

ــ يملّون بسرعة ؟!

هزّت ( هند ) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ ليس هذا يا أميرتى ... عفوًا ... الرجال مثل الأطفال ، لأنهم لا يتعلقون إلا باللعبة التى فى واجهة المتجر ، أما ما بين أيديهم فيزهدونه .

انعقـد حاجبا ( عايدة ) فى شـدة ، وعادت تنفث دخـان سيجارتها فى عصبية ، وهى تغمغم :

ــ صدقت ...

ثم استدركت فى عصبية :

ــ على الرغم من أنه لم يكن يحلم بمصاهرة أسرة ملكية .

قالت ( هنـد ) فى حكمة شعبية :

ــ هنا تكمن المشكلة .

التفتت إليها ( عايدة ) بحركة حادة ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهها ، وهى تقول فى عصبية :



ــ ماذا تعنين أيتها الــ ...

قاطعتها ( هند ) فى سرعة ، قبل أن تنطق سبابها :

ــ الرجال مثل أى طفل يا سمو الأميرة ... قبل أن ينالك ، يكون مستعدًا لفعل أى شىء ، ويكون للأنوثة والدلال سحرهما عليه ... ولكن بعد الزواج ...

توقفت عند هذه النقطة ؛ لترى تأثير كلماتها على ( عايدة ) ، التى أطفأت سيجارتها ، وهى تسألها فى اهتمام :

ــ ماذا يحدث بعد الزواج ؟!

ضمَّت ( هند ) قبضتها ، وهى تقول فى حماس :

ــ يشعرون أنهم ملكوك ... وشعور الامتـلاك هـذا يجعلهم لا يحتملون منك ما كانوا يحتملونه قبل الزواج .

غمغمت ( عايدة ) :

ــ هذا صحيح .

ثم أشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى عصبية :

ــ حتى الدلال يفقد تأثيره .

قالت ( هند ) فى سرعة :

ــ لأنه بعد الزواج ، لا يكفى الدلال ، ولا تكفى الأنوثة وحدهما ؛ لصنع التأثير نفسه فى الرجال .

شعرت الأميرة ( عايدة ) بالدهشة ؛ لأن امرأة شعبية مثل ( هند ) ، يمكنها أن تفهم العلاقات الذكورية الأنثوية بهذا الوضوح !!...

يبدو أن ما قرأته ، وسخرت منه يومًا ، كان حقيقيًا ...

هذا الشعب ليس جاهلاً أبدًا ...

ربما هو ليس متعلماً كما ينبغى ...

ولكنه شديد الثقافة ...

ولكنها ثقافة من نوع خاص جدًّا ...

ثقافة يكتسبها من الشارع ، ويصقلها من معترك الحياة ، ويتناقلها مع خبراتها من جيل إلى جيل ...

وفى اهتمام حقيقى ، وبينما تنفث دخان سيجارتها ، سألت ( هند ) :

ــ وما الذى يحتاجه الأمر بعد الزواج ؟

أشارت ( هند ) بسبَّابتها مجيبة :

ــ الدلال والأنوثة ، مع عامل أساسى .

ثم عادت تميل على أذن ( عايدة ) ، مضيفة :

ــ الانكسار .

وانعقد حاجبا ( عايدة ) فى شدة ...

الانكسار هو أبعد صفة عن طبيعتها ونشأتها ..

ولكن ( هند ) أعطتها وصفة سحرية ، لخوض الجولة التالية مع ( حسين البنهاوى ) ...

الجولة الحاسمة ...

★ ★ ★



# 10 ـ انفتـــــاح ..

كل شىء تغيَّر فى ( مصر ) ، عقـب انتصـارها فى حـرب أكتوبر 1973م ...

الشعب انتشى ، بعد أن وضع عن كتفه ثقل هزيمة ، جثمت عليه ثقيلة مهينة لست سنوات ...

رجال الجيش استعادوا كرامتهم وثقتهم ...

و( السادات ) صار زعيمًا شعبيًّا وعربيًّا ؛ باعتباره أوَّل قائد مصرى يهزم ( إسرائيل ) ، ويكسر أسطورة جيشها ، التى قالت عنه إنه لا يقهر ...

ولأنه نجح أخيـرًا فى حفـر مكان له ، إلى جـوار أسطورة ( ناصر ) الراحل ، بدأ ( السادات ) يخطط لبدء عهد جديد فى ( مصر ) ...

وبأبجديات مختلفة ...

تمامًا ...

أما فى سراى ( البنهاوى ) ، فقد اختلف كل شىء فى داخله ، عن كل ما يدور من حوله ...

الناس فى كل مكان فى القرية ، كانت تشعر بالفخار ...

وداخل السراى ، كان الكل يشعر بالانكسار ...

( شريفة ) كانت تشعر بذلك الانكسار ، الذى لم يفارقها قط ، منـذ مصرع ( أمجد ) ، على أسوار السراى ، خاصة وأنها العانس الوحيدة ، فى أسرة ( البنهاوى ) ...

( نعمية ) كانت كسيرة القلب ، تشعر بمرارة لا حصر لها ، وبمقت يتجاوز كل الحدود ، تجاه ( فاطمة ) ، التى كفت عن التشاجر معها ، خوفًا من تهديد ( حسين ) ، إلا أنها لم تستطع منع عيناها من نظرة شامتة ، ترميها بها كلما مرَّت أمامها ...

نظرة كانت تزيد من انكسار ( نعيمة ) ومرارها ، وتذكرها بأن لسانها قد دفعها نحو طلاقها الثانى من ( عمر ) ، زوجها ووالد ابنتها الوحيدة ...

وحبيبها ...

الرجل الوحيد الذى أحبته ، فى حياتها كلها ..

ربما لم تصارحه أبدًا بهذا ، ولكنه كان كامنًا فى أعمق أعماق قلبها ، منذ أوَّل ليلة قضتها بين ذراعيه ...

كان أوَّل رجل فى حياتها ...

وآخر رجل ...

وهى تشتاق إليه كثيرًا ...

وفى كل ثانية ...

وهذا ما يضاعف شعورها بالانكسار ..

ألف مرة ...

( حافظ ) كان يشعر بالانكساز ، كما شعر دومًا ، ولكن شعوره هذا تضاعف ، مع صعوبة حركته ، التى صارت دائمة ، بعد شفائه من صدمة المخ التى أصابته ، وجعلته أشبه بأريكة قديمة ، ملقاة فى حجرة شبه مظلمة ...



لم يكن يفعل شيئًا طوال يومه ، سوى الجلوس فى حجرته ، مغلقًا نوافذها ، مكتفيًا بالتطلع إلى جدرانها ، فى شرود ، دون أن يدرى أحد ما يدور فى عقله ...

و( طارق ) كان أكثرهم انكسارًا ، على الرغم من أنه فى أحلى فترات شبابه ، ويسير قدمًا نحو عامه الحادى والعشرين ...

صحيح أن ( نادرة ) ، ابنة عمته وحبيبته لم تتزوَّج بعد ، على عكس المعتاد مع بنات الأرياف ، فى تلك الفترة من الزمن ، إلا أن التحاقها بكلية الآداب فى ( طنطا ) ، كان المبرر الذى قالته للكل ، وبخاصة أبيها ( عمر ) ؛ لتبرير عزوفها عن الزواج ، قبل استكمال دراستها ...

( عمر ) نفسه تظاهر بأنه يصدق هذا ، ولكنه فى أعماقه كان يدرك السبب الحقيقى لعزوف ابنته من ( نعيمة ) عن الزواج ...

إنها تحفظ نفسها ، من أجل ( طارق ) ...

هو يدرك هذا ، ويدرك أن الشابين ربطهما رباط الحب ، وأن كليهما يشتاق إلى الآخر . .

ولكن العقبات فى سبيل زواجهما لم تزل قائمة ...

ربما لم تعد ( نعيمة ) تتشاجر مع ( فاطمة ) ، بعد تهديدات ( حسين ) القاسية ، إلا أنها لم تستطع هضم فكرة زواج ابنتها الوحيدة من ابن ( فاطمة ) ...

كان هذا ، بالنسبة لها ، بمثابة انتصار لـــ ( فاطمة ) ابنة ( عبد الحميد ) الكلاف عليها ...

صحيح أن ( طارق ) ابن شقيقها ( حافظ ) ، ولكن الكل يعلم تمامًا أن ( فاطمة ) هى من يحكم ( حافظ ) ...

ومن يحكم ( طارق ) أيضًا ، على نحو غير مباشر ...

وحلم ( فاطمة ) منذ الأزل ، هو أن تفوز بأرض ( البنهاوى ) ...

وبسراى ( البنهاوى ) ...

وهى لن تسمح لها بهذا ...

أبدًا ...

كلهم كانوا يمرون بمرحلة انكسار نفسى ...

حتى ( مفيد ) ...

صحيح أنه صار أكثر ثراءً ، بعد مشاركته ( عمر ) و( عبد الحكيم ) ، فى مصنعى الغزل والنسيج ، بل وصار مديرًا للمصنع الجديد ، ومديرًا ماليًا للمصنعين معًا ، وتزايد دخله على نحو لم يبلغه من قبل ...

ولكنه مازال يشعر بالانكسار فى أعماقه ...

يشعر بالانكسار ؛ لأن كل من حوله فى السراى منكسر ...

ولأن قلبه ، الذى يحاول إخماد لواذعه ، مازال يلتهب بآلام حبه الضائع ...

مازالت ( مديحة ) تراوده فى أحلامه كل ليلة تقريبًا ...

ما زال يراها كما كانت يوم أحبها ...

صبية جميلة رقيقة ، يفيض قلبها بالحب والمشاعر الجميلة ...



وفى كوابيسه ، كان يستعيد تفاصيل آخر لقاء لهما ...

« ماذا تريد منى يا أستاذ ( مفيد ) ؟!...»

وجه غاضب ، وصوت يفيض بالكراهية والمقت !! ...

كيف بلغت بها الأمور هذا الحد ؟!...

كيف لم تدرك أن كل ما أصابها لم يكن بإرادته ؟!...

« لم تستطع حمايتى ...»

تلك العبارة كانت تمزقه كلما استعادها ...

تقتله ...

تقطع قلبه إربًا ...

ما زال يذكر كيف ...

« حقًا ... أنت وجه الخير علينا يا ( مفيد ) ... »

قالها ( عبد الحكيم ) فى حرارة ، وهو يدخل حجرة مكتب ( مفيد ) ، فى المصنع الجديد ، فانتزع ( مفيد ) من ذكرياته فى عنف ، ولكنه نهض يستقبل ( عبد الحكيم ) بابتسامة كبيرة ، وهو يسأله :

ــ خيرًا ... هل ألغوا ضرائبنا أم ماذا ؟!

هتف ( عبد الحكيم ) :

ــ بل أفضل من هذا بكثير .

ضحك ( مفيد ) من وراء قلبه ، وهو يقول :

ـ كنت أتصوَّر أن إلغاء الضرائب هو أعظم شىء ، يمكن أن يحظى به مستثمر .

أشار ( عبد الحكيم ) بيده ، مجيبًا فى حرارة :

ـ وزيادة الاستثمار أفضل وأفضل .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى حماس :

ـ ( السادات ) بدأ يتحدَّث عن الانفتاح .

تراجع ( مفيد ) جالسًا على مقعده ، وهو يردد :

ـ الانفتاح ؟!... أى انفتاح ؟!..

لوَّح ( عبد الحكيم ) بذراعيه فى الهواء ، مواصلاً حماسه :

ـ انفتاح اقتصادى يا رجل ... ( السادات ) قرَّر أن ننفتح على العالم ... الاستيراد سيعود ... والتصدير سيتزايد ... الدنيا ستصبح أفضل بكثير .

غمغم ( مفيد ) فى دهشة :

ـ ولكن نظام ( مصر ) اشتراكى ، وهذا جزء أساسى من الدستور .

هزَّ ( عبد الحكيم ) كتفيه ، قائلاً :

ـ الاتحاد الاشتراكى نفسه ألغاه ( السادات ) ... الدنيا تغيَّرت من حولنا يا ( مفيد ) ، ولابد وأن نتغيَّر معها ، وإلا صرنا مجرَّد أتباع أذلاء ، يسيرون فى ذيلها ...

قال ( مفيد ) فى قلق :



ـ ولكن اقتصادنا ظل مغلقًا لسنوات طوال ، وانفتاح مفاجئ على العالم قد يؤدى إلى كارثة .

نظر إليه ( عبد الحكيم ) فى دهشة :

ـ أتعتبر تدفق أموال الاستثمار على ( مصر ) كارثة ؟!

أشار ( مفيد ) بيده ، مجيبًا فى توتر :

ـ ربما لا يكون كارثة بالنسبة لك ولى ، ولكل رجل أعمال فى ( مصر ) ، ولكنه كذلك بالنسبة للبسطاء ، وذوى الدخول المحدودة .

جلس ( عبد الحكيم ) أمامه ، وهو يقول فى حيرة :

ـ ولكن تزايد الاستثمارات سيعنى المزيد من فرص العمل ، وارتفاع فى مستويات الأجور .

قال ( مفيد ) فى حزم :

ـ ارتفاع كبير فى الأسعار بالتالى .

قلب ( عبد الحكيم ) كفه ، قائلاً :

ـ أليس هذا أمرًا طبيعيًا ؟!

أجابه ( مفيد ) :

ـ بلى ، ولكن خبرتى علمتنى أن الثراء يصنع حالة من التوحش الاقتصادى ، والشراسة المالية ، ومع ثراء مفاجئ كهذا ، ستنشأ طبقات جديدة ... طبقات مفترسة ، تجمع المال وتسعى إليه ، بكل السبل الممكنة ، بغض النظر عن قانونيتها وشرعيتها .

تمتم ( عبد الحكيم ) ، وقد خفت حماسته كثيرًا :

ـ كل المجتمعات الرأسمالية حدث فيها هذا .

وافقه ( مفيد ) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ وانسحقت فيها طبقات بسيطة ، وانطحنت طبقات أخرى ، وأثرى البعض ثراءً فاحشًا ، على حساب جوع الآخرين وعريهم .

نهض ( عبد الحكيم ) يطلق زفرة حارة ، وهو يقول :

ـ جعلت المستقبل شديد السواد يا ( مفيد ) .

هزَّ ( مفيد ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ إنه ليس كذلك ... ليس بالنسبة لنا على الأقل ... ليس بالنسبة لك ، أو لى ، أو لـــ ( عمر ) ... أو حتى ( حسين ) .

رفع ( عبد الحكيم ) سبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ ( حسين ) بك شريك بالربع ، فى المصنع القديم فحسب ، أما هنا ...

قاطعه ( مفيد ) فى اهتمام :

ـ ليس لهذا شأن بما أردت قوله ... الحقيقة أنه بالنسبة لكل مستثمر ، فالانفتاح سيكون فاتحة خير كبيرة ... رءوس الأموال ستتضاعف ، والاستثمارات ستتزايد ، وثراء الطبقة الرأسمالية سيتضاعف ، مرتين على الأقل ، ولكن . .

قاطعه ( عبد الحكيم ) ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته :

ـ وهذا كل ما يهمنا .



تراجع ( مفيد ) بنظرة دهشة مستنكرة ، فاستند ( عبد الحكيم ) براحتيه على سطح مكتبه ؛ ليميل نحوه مستطردًا :

ـ وكل ما سيهم ( حسين ) بك حتمًا .

غمغم ( مفيد ) فى توتر :

ـ ( حسين ) ؟!

أجابه ( عبد الحكيم ) فى حزم :

ـ إنه قريب من مركز صنع القرار ، فلا تقل لى : إنه لم يكن أوَّل من استعد لهذا الانفتاح ...

أدرك ( مفيد ) أنه على حق تمامًا :

ـ ( حسين ) حتمًا أوَّل من سيستفيد من قرار الانفتاح هذا ...

ولكن كيف ؟!..

كيف ؟!.. هذا هو السؤال ...

★ ★ ★

« أكبر شركة للتصدير والاستيراد فى ( مصر ) ... »

قالها ( حســين ) فى زهــو ، وهــو يلوح بملف صــغير ، فى وجــه ( إبراهيم مكى ) ، الذى تراجع فى مقعده مبتسمًا ، وهو يقول فى هدوء :

ـ كل أوراقها سليمة وقانونية مائة فى المائة ... ورسميًا ، هى ملك ( صلاح ) ... حتى الشركة اسمها ( الصلاح ) .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا فى خبثه الذئبى المعتاد :

ـ وفعليًا هى ملك لى ولك .

غمغم ( حسين ) مبتسمًا :

ـ ( صلاح ) يملك عشرة فى المائة من الأرباح .

أشار ( مكى ) بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ ودون أن يدفع قرشًا واحدًا ... أظنها أفضل صفقة عقدها فى حياته .

اتخذ ( حسين ) مجلسه ، على أريكة وثيرة ، أمام النافذة الكبيرة مباشرة ، وهو يقول :

ـ لقد توليت أمر أذون الاستيراد ، التى وقعها المسئولون دون مناقشة ، فور اتصالى بهم ، من رياسة الجمهورية .

كان ( مكى ) يدرك أن ما أقدم عليه ( حسين ) ليس جيدًا ، بالنسبة لشخص يحرص على عدم الظهور فى الصورة ، ولكنه لم يفصح عن هذا ، وهو يسأله بابتسامة :

ـ كم ؟!

أشار ( حسين ) بيده ، مجيبًا :

ـ ست أذون استيراد ، وكلها بضائع استهلاكية ، ستنفد فور طرحها فى الأسواق ؛ لأن الناس تقرأ عنها منذ زمن ، ولم ترها إلا فى محال شارع ( الشواربى ) ، كبضائع مهرَّبة غالية الثمن .

اتسعت ابتسامة ( مكى ) ، وهو يقول :



ـ أتقصد أنواع الشيكولاتة الفاخرة ، والعلكة ، وعلب البلوبيف والتونة ...

أشار ( حسين ) بيده ، وهو يكمل فى حماس :

ـ وعلب المشروبات الغازية ، والملابس الداخلية الأنثوية الحريرية ، وكل تلك التفاهات .

صمت ( مكى ) لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ ولماذا لم نبدأ بأمور أكبر وأكثر أهمية ؟!

مال ( حسين ) نحوه ، وهو يجيب :

ـ الواقع أن هذا كان اقتراح ( عايدة ) ... تلك الأشياء سيتم استيرادها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ومن يفعل أوَّلاً يربح الساحة ... ثم إن الأرباح التى ستدرها تلك الشحنات ، ستجعل باستطاعتنا تطوير عملنا ، واستيراد معدات المصانع فيما بعد .

اعتدل ( مكى ) فى اهتمام ، متسائلاً :

ـ هل بلغك أن الحكومة تنوى تغيير معدات مصانعها ؟!

ابتسم ( حسين ) ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

ـ ليس مصانع الحكومة يا رجل .

ثم مال أكثر ، مضيفًا :

ـ إنه الانفتاح .

عاد ( مكى ) يتراجع فى مقعده ، وهو يغمغم :

ــ نعم ... إنه الانفتاح .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى تفكير :

ــ كنت على حق منذ البداية يا صديقى ... الساحة تفتح ذراعيها لمراكز القوى الجديدة ...

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ــ نحن .

« وماذا عنى أنا ؟!... »

قالتها الأميرة ( عايدة ) فى دلال ، جعل ( حسين ) يلتفت إليها مبتسمًا ، وهو يتساءل :

ــ ماذا عنك ؟!

كانت متألقة فى تلك الليلة ، بزينتها البسيطة المتقنة ، وثوب نومها الهفهاف القصير ، وطلاء شفتيها الأحمر اللامع ، وتلك النظرة المطلة من عينيها الجميلتين ، وهى تقترب منه ، وتلمس صدره مجيبة :

ــ ألا ينطبق الانفتاح علىَّ أيضًا ؟!

ابتسم مجيبًا :

ــ أرباح الشركة ستعيدك إلى الطبقة الأرستقراطية ، التى تنتمين إليها ، والتى تفتقدينها طوال الوقت .

غمغمت فى دلال ، وهى تداعب صدره :

ــ الانفتاح سيضع الكثيرين فى تلك الطبقة ، حتى من لا يستحقون هذا .



تطلع إلى عينيها الجميلتين لحظات ، قبل أن يسألها مباشرة :

ــ ماذا تريدين بالضبط يا ( عايدة ) ؟!

أرادت أن تصرخ فى وجهه أنها كانت ومازالت ، وستظل تريد طفلاً ، إلا أنها اتبعت نصيحة خادمتها ( هند ) ، وهى تجيب بكل دلال :

ــ متجر للثياب الفاخرة .

غمغم فى دهشة :

ــ أنت ؟!

استخدمت كل دلالها وأنوثتها وسحرها ، وهى تجيب :

ــ نعم ... أنا ... الأميرة ( عايدة ) ، ذات الذوق الملكى الخاص ... الانفتاح كما أخبرتك ، سينتج طبقة أرستقراطية جديدة ... طبقة عاشت عمرها كله ، تحلم الحلم الملكى ... وكل نساء تلك الطبقة الجديدة ، سينبهرن بفكرة أن تختار لهن أميرة سابقة ما يرتدين فى حفلاتهن ... إنه مشروع ناجح مائة فى المائة .

تطلع إليها فى دهشة مستنكرة :

ــ أنت يا ( عايدة ) ... الأميرة ( عايدة ) ، تتحوَّل إلى صاحبة متجر ثياب ؟!

ابتعدت عنه ، وهى تجيب فى حماس :

ــ ليس أى متجر ثياب ... سيكون متجرًا للطبقة الأولى فحسب ... أضخم وأفخر متجر ، فى ( مصر ) كلها ... سأطلق عليه اسم الأميرة ... وسأختار له أفضل مكان فى المدينة كلها .

تطلع إليها فى دهشة ، وكأنما يرى ذلك الجانب منها لأوّل مرة ، قبل أن يقول فى بطء :

ــ متجر للثياب الفاخرة ، لا ينبغى أن يكون فى المدينة .

انعقد حاجباها الجميلان فى دهشة ، فتابع فى حزم :

ــ بل فى أفخم فنادق ( القاهرة ) ... ويطل على النيل مباشرة .

هتفت :

ــ أيعنى هذا أنك قد وافقت ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

ــ غدًا سيكون إذن الاستيراد بين يديك ، و ...

قاطعته فى حزم :

ــ لا أريد إذن استيراد .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إليها فى توتر ، فأضافت بنفس الحزم :

ــ أريد السفر لشرائها وانتقائها بنفسى .

وحمل صوتها كل توترها ، وهى تستطرد :

ــ من ( باريس ) .

ازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، وهو يحدجها بنظرة نارية صارمة ، قبل أن يميل نحوها فى بطء ، مجيبًا بكل صرامة :



ــ كلا .

احتقن وجهها فى شدة ، وتخلت عن كل نصائح ( هند ) ، وهى تقول فى شراسة :

ــ ماذا تعنى بكلا هذه ؟!... هل تخشى أن أذهب ولا أعود ؟!...

اعتدل ، قائلاً فى صرامة :

ــ سبق لك أن فعلتيها .

قالت فى حدة :

ــ لم نكن زوجين حينذاك .

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول :

ــ لست أظن هذا يصنع فارقًا لديك .

صاحت بكل الغضب :

ــ أيعنى هذا أننى سجينة هنا ؟!

أجابها فى صرامة ، وهو يندس فى فراشه :

ــ بحكم القانون .

صاحت غاضبة ومستنكرة :

ــ قانونك أنت ؟!

أجاب فى برود :

ــ بل قانون الدولة ، الذى يمنع الزوجة من السفر ، دون إذن زوجها .

صرخت ثائرة :

ــ متخلفون ... فلاحون ... ألم تتعلموا بعد ، أن المرأة لها نفس حقوق الرجل ، فى كل العالم المتحضر ؟!

التقط بعض أوراقه ، وهو يقول بنفس البرود :

ــ كنا ننتظرك لتعلمينا .

احتقن وجهها أكثر ، حتى شعرت أنها تكاد تنفجر ، فصرخت :

ــ ليس رجلاً من يقهر زوجته على هذا النحو .

نحّى الأوراق جانبًا ، وأطلت من عينيه نظرة نارية غاضبة ، وهو يقول :

ــ تمالكى نفسك ، قبل أن تصبح العواقب وخيمة .

صاحت غاضبة :

ــ رجولتك تمثل لك دومًا نقطة استفزازية شديدة ... لهذا ترفض إجراء الفحوص الطبية ، و ...

قاطعها فى صرامة :

ــ أهذا ما نصحتك به ( هند ) ؟!

عبارته صدمتها ، أو ربما صعقتها ، فامتقع وجهها فى شدة ، وتراجعت بحركة حادة ، فى حين اعتدل هو على فراشه ، مواصلاً :

ــ هل أخبرتك أن استفزاز رجولتى ، هو الوسيلة الأمثل ؛ لدفعى لإجراء تلك الفحوص السخيفة ؟!...



غمغمت مصعوقة :

ــ هل تتجسَّس علىَّ يا ( حسين ) ؟!

قال فى صرامة :

ــ لست بحاجة إلى هــذا ... الفارق واضح بين أسلوب الأميرة ، وسوقية الخادمة .

هتفت فى غضب شاحب :

ــ زرعت أجهزة تنصت هنا ... أليس كذلك ؟!

زمجر فى غضب :

ــ قلت لك : إنه من المستحيل أن أفعل هذا فى منزلى .

هتفت فى حدة :

ــ كيف إذن ...

قاطعها قبل أن تتم سؤالها :

ــ كيــف عرفت أنك تتلقين النصــائح من خادمتك ؟!... أليس هذا ما تريدين قوله ... الأمر ليس عسيرًا كما تتصوَّرين أيتها الأميرة ؛ فعندما يعاشر رجل امرأة لسنوات ، من السهل عليه أن يلحظ التغيير المفاجئ فى سلوكها تجاهه .

غمغمت محنقة :

ــ كنت أريد طفلاً .

عاد يرقد على الفراش ، وهو يقول :

ــ واليوم تريدين السفر إلى ( باريس ) .

كانت مباغتته لها مازالت تبلبل أفكارها ، فغمغمت فى عصبية :

ــ أريد استقلالاً اقتصاديًا .

أجابها فى صرامة :

ــ غداً أستأجر المتجر ، فى أفخر فنادق ( القاهرة ) ، وبعد أسبوعين فقط ، سيحمل لافتة ( الأميرة ) .

غمغمت ، وقد عجزت عن فهمه هذه المرة :

ــ حقًّا ؟!..

جذب الغطاء على جسده ، مضيفًا :

ــ وفى نفس الوقت ، سيسافر شريكك إلى ( باريس ) ؛ لانتقاء ما يناسب متجر أميرة .

هتفت مستنكرة :

ــ شريكى ؟!

أدار ظهره لها ، مجيبًا :

ــ أنا .

ومرة أخرى ، عجزت عن فهمه ...

تمامًا .

★ ★ ★



## 11 ـ الذئــاب ...

ترقرقت الدموع فى عينى ( شريفة ) ، وهى تجلس وحدها فى شرفة السراى ، مع مغيب الشمس ...

كانت هذه دومًا هى أهم لحظات يومها الطويل ...

مغيب الشمس ...

كل يوم ، بعد أن تنتهى من العمل فى السراى ، وبعد أن يتناول الجميع طعامهم ، ويهدأ المكان ، تأتى هى إلى الشرفة الخلفية للسراى ، لتتأمَّل مغيب الشمس ...

وفى أعماقها ، يتصاعد شعور بالأسى والمرارة ، كلما غاصت الشمس فى الأفق ...

ربما لأن هذا يذكرها بأفول شمس حياتها هى ...

الكل من حولها استقر فى حياته ، ومضى به قطار العمر ، فى نمو وازدهار ، فيما عداها هى ...

وحدها انكسر قلبها ، مع كل حب خفق به ...

وحدها ظلَّت وحيدة ، بلا زواج ...

هناك لعنة ، ظلت تطارد دومًا كل من سعى للزواج منها ...

( فؤاد ) رآها ، فخفق قلبه لأختها ( ناهد ) ...

و( أمجد ) قتل غدرًا ...

وحتى ( عبـد الحكيم ) ، أرمل شقيقتها الراحلة ( توحيـدة ) ، طلبها للزواج ثلاثة مرات ، ولكنها لم تحتمـل أن تحـل محـل شقيقتها فى فراشها ...

ثم ، وبعد عام أو أكثر ، مالت نفسها للموافقة ...

ولكنه لم يتقدم لطلبها منذ ذلك الحين ...

وهكذا بقيت وحيدة ...

وحيدة فى أعماقها ، حتى فى وجود كل من حولها ...

وحتى بعد أن انضمَّت إليها ( نعيمة ) ، عقب طلاقها الثانى من ( عمر ) ، ظلَّت تشعر بتلك الوحدة فى أعماقها ...

فالمرارة التى تشعر بها ( نعيمة ) ، جعلتها لا تتحدَّث طـوال الوقت إلا عن أمرين ، كلاهما ينتهى بها إلى نهر من الدموع ...

طليقها ( عمر ) ...

و( فاطمة ) ...

وهى لم تعد تحتمل سماع الأمرين ...

لم تعد تحتمل سماع عذابات الآخرين ، وهى الغارقة فى عذاباتها الشخصية ...

و( طارق ) لم يعد يتحدَّث إليها ...

ولا إلى أى مخلوق ، بخلاف والديه ، اللذين يلتقى بهما لمامًا ...

و( مفيد ) يأتى من المصنع مرهقًا ، بعد مغيب الشمس ، فيتناول طعامه ، ويأوى إلى فراشه ، بعد صلاة العشاء ...



هى بالفعل إذن وحيدة ...

وحيدة فى وجودهم جميعًا ...

وهذه أبشع صور الوحدة ...

وحدة النفس ...

« ماذا تفعلين هنا يا ست البنات ؟!....»

انتزعتها ( فاطمة ) من شرودها ، بهذه الكلمات الخشنة الغليظة ، التى تتعمَّد بها استفزازها ، فزفرت فى حنق ، وهى تقول فى توتر ، دون أن تلتفت إليها :

ـ ماذا تريدين يا ( فاطمة ) ؟!

أجابتها ( فاطمة ) بخشونتها المستفزة :

ـ أنسيت أن غدًا عيد ميلاد ( طارق البنهاوى ) ، صاحب هذا السراى ؟!

التفتت إليها ( شريفة ) فى حدة ، هاتفة فى استنكار غاضب :

ـ صاحب ماذا ؟!.... منـذ متى يا ابنة ( عبد الحميد ) الكلاف ؟!... هذا السراى سراى ( البنهاوى ) .

قالت فى غلظة :

ـ أوليس هو حفيد ( البنهاوى ) . ... الوحيد ؟!

ضغطت حروف كلمتها الأخيرة متعمدة ، فنهضت ( شريفة ) فى حدة :

ـ السراى له صاحب ، يدعى ( حسين البنهاوى ) ، وسأجعله يؤكد لك هذا بنفسه ، عندما يأتى غدًا .

هزَّت كتفيها العريضتين ، قائلة :

ــ سمعنا هذا كثيرًا ... الصلعاء دومًا تتباهى بشعر ابنة أختها .

احتقن وجه ( شريفة ) ، وهمَّت بقول شىء ما ، عندما مالت نحوها ( فاطمة ) ، وسألتها فى غلظة :

ــ ترى ماذا ستفعلون ، لو مات ( حسين ) بك فجأة ؟!

هتفت ( شريفة ) مذعورة :

ــ بعدًا للشر .

اعتدلت ( فاطمة ) ، وعادت تهز كتفيها العريضتين مرة أخرى ، قائلة :

ــ كل ابن آدم يموت ، إن عاجلاً أو آجلاً .

هتفت بها ( شريفة ) ، وهى تفرد أصابع كفها فى وجهها :

ــ أطال الله ( سبحانه وتعالى ) فى عمره ، وأبعد عنه شر حاسد إذا حسد .

مطَّت ( فاطمة ) شفتيها ، وغمغمت بغلظتها وخشونتها :

ــ كلهم يموتون .

ثم استدارت مستطردة :

ــ هيا يا ست البنات ... أمامنا الكثير لنعده ، من أجل من سيأتون غدًا .

حدَّقت فيها ( شريفة ) وهى تبتعد ، وقد أثير السؤال الذى أفزعها فى رأسها ...



ماذا يمكن أن يفعل ( البنهاوية ) بدون ( حسين ) ؟!...

ماذا ؟!...

انتفض جسدها للفكرة ، وتلفَّتت حولها ، وكأنها تبحث عمن يمنحها الشعور بالأمان ...

وبدون أن تدرى ، تركَّز تفكيرها فى شخص واحد ...

( طارق ) ...

( طارق البنهاوى ) ...

★ ★ ★

« أوَّل الغيث ...»

قالها ( عمر ) فى حماس ، وهو يلوح بورقة فى يده ، أمام ( مفيد ) و( عبد الحكيم ) ، فسأله الأوَّل فى اهتمام :

ــ ما هذا بالضبط ؟!...

أجابه فى حماس :

ــ بيت أزياء انجليزى كبير ( جى جى كو ) ... يريد عقد صفقة كبيرة مع مصنعنا ؛ لتوريد أقمشة برسوم مصرية ، فى ديسمبر القادم .

هتف ( عبد الحكيم ) فى فرح :

ــ فليحيا الانفتاح .

أما ( مفيد ) ، فتساءل فى حذر :

ــ وكيف علم بيت الأزياء الكبير هذا بأمر مصانعنا ؟!

ربَّت ( عمر ) على ظهره فى حماس ، وهو يواصل التلويح بالورقة ، هاتفًا :

ــ هذا لا يعنينى يا رجل ... المهم أن نتم الصفقة .

غمغم ( مفيد ) فى قلق :

ــ دون أن تعرف مع من نتعامل ؟!

التقط ( عبد الحكيم ) الورقة من يد ( عمر ) ، وألقى نظرة عليها ، قبل أن يقول :

ــ الخطاب الذى أرسلوه يحوى عنوانهم ، وأرقام هواتفهم ، ومن السهل التحرى عنهم .

ثم التفت إلى ( مفيد ) ، مستطردًا بابتسامة :

ــ شكوكك هذه كفيلة بإفساد مهرجان من الفرح يا صديقى .

تراجع ( مفيد ) فى مقعده ، وهو يقول :

ــ مازلت أتساءل : كيف علموا بأمر مصنعنا ؟!

أجابه ( عمر ) فى حماس :

ــ تلك الشركات الكبيرة لديها وسائلها ... المهم أن اختيارها قد وقع علينا ، وليس على سوانا .

غمغم ( عبد الحكيم ) :

ــ من حسن طالعنا .

هزَّ ( مفيد ) كتفيه ، دون أن يجيب ، فتبادل ( عمر ) و( عبد الحكيم ) ابتسامة ، قبل أن يقول الأوَّل :



ــ هل ستحضران عيد ميلاد ( طارق ) الليلة ؟!

أجاب ( عبد الحكيم ) ، فى سرعة وحماس :

ــ بالطبع .

وأضاف ( مفيد ) ، بابتسامة باهتة :

ــ إنه عيد مولده الحادى والعشرين ... هذا يعنى أنه لم يعد صبيًا ، من الناحية الرسمية ... لقد صار رجلاً .

غمغم ( عبد الحكيم ) مبتسمًا :

ــ صار ( بنهاويًّا ) .

تراجع ( عمر ) فى مقعده ، قائلاً :

ــ إنه كذلك ، من اليوم الأوَّل .

تطلَّع إليه ( مفيد ) فى صمت ، فى حين أسرع ( عبد الحكيم ) يسأل :

ــ ترى لماذا اختار كلية التجارة ؟!... ألأن عمه المفضَّل تخرج منها ؟!

غمغم ( مفيد ) :

ــ مجموعه اختارها .

غمز ( عبد الحكيم ) بعينه ، قائلاً :

ــ هذا لا ينفى أنه يعتبرك مثله الأعلى .

اعتدل ( عمر ) ، يتساءل فى اهتمام :

ــ ولماذا ليس ( حسين ) ؟!

اكتفى ( مفيد ) بمط شفتيه ، دون أن يجيب ، فى حين قال ( عبد الحكيم ) فى حذر :

ــ علاقته به ليست جيدة .

عاد ( عمر ) يتراجع فى مقعده ، وهو يقول :

ــ وعلى الرغم من هذا ، فـ ( فؤاد ) زوج ( ناهد ) ، يراه امتدادًا لـ ( حسين ) ، وليس لـ ( مفيد ) .

تمتم ( مفيد ) فى اهتمام :

ــ حقًا ؟!

خشى ( عبد الحكيم ) أن يتوتر الموقف ، فأطلق ضحكة عالية ، وهو يقول :

ــ المهم أنه ( بنهاوى ) .

لم يكن للكلمة معنى ، عندما نطقها ( عبد الحكيم ) ، فى المصنع الجديد ، ولكنها حملت طنًا من المعانى ، فى الليلة نفسها ، فى سراى ( البنهاوى ) ...

السراى ، ازدانت كما لم يحدث من قبل ، وكأنه يحتفل بزفاف أميرة ، وليس بعيد ميلاد ( البنهاوى ) الشاب ...

الكل حضر ... أبناء البنهاوى ، وأزواجهن ، و( حافظ ) و( فاطمة ) ... وحتى ( عمر ) نفسه ...

كانت مفاجأة اهتز لها قلب ( نعيمة ) ، أن يحضر ( عمر ) بنفسه عيد ميلاد ( طارق ) الحادى والعشرين ...



عيد ميلاد ابن ( فاطمة ) ...

( عمر ) ، الذى يكره سراى ( البنهاوى ) ، والذى يأبى مواجهة ( حسين ) ، حضر عيد ميلاد ( طارق ) ، وهو يعلم أن ( حسين ) قادم مع زوجته ( عايدة ) ...

أيحاول إغاظتها ؟!...

أم أنه يثبت لها أن أمرها لم يعد يعنيه ؟!...

شعرت بحنق شديد فى أعماقها ، وبجرح فى كرامتها ، جعلها تبدو عصبية ، وهى تسأل ( مفيد ) :

ــ لماذا تأخَّر ( حسين ) هذا العام ؟!

أشار بيده فى هدوء ، مجيبًا :

ــ ستحضر الأميرة ( عايدة ) معه هذه المرة ، وأنت تعرفين طرازها ... تقضى نصف يوم أمام المرآة ، قبل أن تخطو خطوة خارج منزلها .

قالت بنفس العصبية :

ــ سمعت أنه قد افتتح لها متجر أزياء فاخرة ، فى فندق يطل على نيل ( القاهرة ) .

غمغم :

ــ هذا صحيح .

تصاعدت عصبيتها ، وهى تقول :

ــ لابد وأن هذا قد كلفه ثروة .

كان يدرك كم تعانى من الموقف كله ، لذا فقد التفت إليها ، وقال فى حنان :

ــ ( نعيمة ) ... هناك أمران أحب أن أخبرك بهما ، حتى لا يصدمك حدوثهما الليلة .

امتقع وجهها ، وهى تتراجع قائلة :

ــ مصيبة جديدة ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو ينهض قائلاً :

ــ تعالى ... الأفضل أن أخبرك بهذا وحدنا .

ازداد امتقاع وجهها ، وهى تتبعه مغمغمة :

ــ إلى هذا الحد ؟!

اكتفى بالصمت ، حتى جمعتهما حجرة الضيوف ، فالتفت إليها ، متسائلاً فى حنان :

ــ أمازلت ترفضين زواج ( طارق ) من ( نادرة ) ؟!

تحوّل وجهها من الامتقاع إلى الاحتقان ، وهى تقول فى عصبية :

ــ وسأظل أرفض مادمت حية ... ابنتى الوحيدة ، التى ليس لى سواها ، لن تتزوّج ابن ( فاطمة ) .

قال فى ضيق :

ــ إنه ابن ( حافظ البنهاوى ) .



قالت فى حدة :

ــ أضعف أعمدة عائلة ( البنهاوى ) ، وسبب تعاستها وخزيها .

غمغم مستنكرًا :

ــ خزيها ؟!

هتفت :

ــ أهناك خزى يفوق زواجه من ابنة كلاف البهائم ؟!

قال ، محاولاً تهدئة ثائرتها :

ــ ألم تبد لك الفكرة مثالية حينذاك ؟!

ارتفع صوتها أكثر ، وهى تقول فى حدة :

ــ تلك الحقيرة لم تحمد الله ( سبحانه وتعالى ) على هذه النعمة ، بل تصوّرت أنها قد تساوت بنا ؛ لمجرّد زواجها من ( حافظ ) .

غمغم :

ــ العرف يقول هذا .

هتفت محتدة :

ــ ليس مع ابنة كلاف البهائم .

زفر فى توتر ، قبل أن يقول :

ــ ليست هناك وسيلة إذن ، لإقناعك بقبول ما سيحدث الليلة

اتسعت عيناها ، وهى تسأله فى جزع :

ـ وماذا سيحدث الليلة ؟!

سكت لحظات يتأملها ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ لاحظى أن ( عمر ) قد وافق على هذا .

ارتجف قلبها بين ضلوعها ، وهى تهتف فى صوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ وافق على ماذا؟!

مال نحوها ، مجيبًا فى حذر :

ـ ( نادرة ) ستحضر عيد ميلاد ( طارق ) الليلة .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وتراجعت كالمصعوقة ، فأسرع يضيف :

ـ لم يكن من المنطقى أن يحضر كل أحفاد البنهاوى فيما عداها .

احتقن وجهها ، وتصاعدت غصة كبيرة فى حلقها ، منعتها من النطق ، فاحتواها ( مفيد ) بين ذراعيه لتهدئتها ، وهو يغمغم :

ـ إنها ستأتى فى وجودنا جميعًا ... قريبة تحضر عيد ميلاد ابن خالها ... هذا أمر طبيعى بحت .

تصاعدت تلك الغصة فى حلقها ، مع الدموع التى ملأت عينيها ، وانهمرت من قلبها دامية ...

( نادرة ) ستحضر ...



و( عمر ) وافق ...

و( مفيد ) يبارك هذا ...

الكل يتآزر ضدها ...

لم يتبق لها إذن سوى ( حسين ) ...

لابد وأن تلجأ إليه ، وتجتذبه إلى جوارها ، و ...

فوقفت الأفكار فى ذهنها ، مع زغرودة قوية ، انطلقت من بين شفتى ( فاطمة ) ، وبلغت مسامعها كرصاصة قاتلة ...

زغرودة يستحيل أن تطلقها ، مع قدوم ( حسين ) و( عايدة ) ...

زغرودة فرح ...

وانتصار ...

وعاد وجهها يمتقع فى شدة ...

إنها تحتفى بانتصارها ...

( فاطمة ) تحتفى بوصول ابنتها ( نادرة ) ...

السبيل إلى أرض وسراى ( البنهاوى ) ...

اتسعت عيناها عن آخرهما ، فأمسك ( مفيد ) كتفيها فى قوة ، وهو يقول :

ـ تماسكى هذه المرة ... لا تفسدى المناسبة .

انسالت دموع القهر من عينيها ، وهى تقول :

ـ تلك الحقيرة ...

قاطعها فى سرعة :

ـ دعك منها الليلة ... لا تجعليها تفسد زواجك مرة أخرى .

حدَّقت فيه من وسط دموعها ، قائلة :

ـ زواجى ؟!... ماذا أصابك يا ( مفيد ) ... زواجى انتهى ، منذ ما يقرب من عام .

ابتسم ابتسامة مشفقة عطوف ، وهو يسألها :

ـ ألا ترغبين فى العودة إلى زوجك ؟!

أغرقت دموعها وجهها ، وهى تقول فى مرارة :

ـ ( عمر ) لم يعد زوجى ... ( عمر ) طليقى ... ولقد مر على طلاقنا ما يقرب من العام ، وهذا يعنى أنه لابد وأن يتقدَّم لطلب يدى مرة أخرى ، و ...

قاطعها وهو يميل نحوها ، قائلاً :

ـ هذا هو الأمر الثانى ، الذى أردت إخبارك به .

تطلّعت إليه فى توتر متسائل ، فابتسم ابتسامة باهتة ، وهويضيف :

ـ لست طليقة ( عمر ) يا ( نعيمة ) ... أنت زوجته ... مازلت زوجته .

واتسعت عيناها عن آخرهما ، ودار رأسها فى شدة ...

فالمفاجأة كانت أقوى من قدرتها على الاحتمال ...

ألف مرة ...

★ ★ ★



« هذه كل الأوراق ... »

قالها ( صلاح ) ، وهو يضع ملفاً أمام ( إبراهيم مكى ) ، الذى سأله فى صرامة :

ـ كلها ؟!

أجابه ( صلاح ) وهو يتراجع :

ـ كلها يا ( إبراهيم ) باشا .

مال ( مكى ) يفحص الأوراق فى اهتمام ، قبل أن يعتدل قائلاً :

ـ إذن فـ ( حسين البنهاوى ) جعلك شريكًا للأميرة ( عايدة ) ، فى بوتيك الأميرة ..

أومأ ( صلاح ) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بنفس أسلوب شركة الاستيراد والتصدير يا ( إبراهيم ) بك ... شريك صورى ، على الأوراق فقط ، مقابل عشرة فى المائة من الأرباح .

غمغم ( مكى ) :

ـ ودون أن تدفع قرشًا واحدًا كالمعتاد .

أومأ ( صلاح ) برأسه إيجابًا ، فتابع مكى بابتسامة ثعلبية :

ـ محظوظ أنت يا ( صلاح ) .

خفض ( صلاح ) عينيه ، وهو يغمغم :

ـ بفضلك يا ( إبراهيم ) باشا .

استغرق ( مكى ) فى تفكير عميق بضع لحظات ، فلاذ ( صلاح ) بالصمت التام ، وهو يتطلّع إليه فى خبث ، حتى اعتدل قائلاً فى صرامة :

ـ ستبقى نسخة من هذه الأوراق فى مكتبى ، وعليك أن تجد دليلاً على أن ( حسين البنهاوى ) هو الشريك الفعلى ، فى بوتيك الأميرة ( عايدة ) .

التمعت نظرة الثعلب فى عينى ( صلاح ) ، وهو يقول :

ـ وماذا عن شركة الاستيراد والتصدير ؟!

أجابه ( مكى ) فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

تراجع ( صلاح ) مستسلمًا فى الظاهر ، ولكنه ابتسم فى أعماقه فى خبث ...

الذئاب بدأت تتصارع ...

اللعبة بدأت من جديد ...

وعليه أن يحسن التعامل مع الأمر ...

وأن يستفيد منه إلى أقصى حد ...

هكذا علمه أساتذته الكبار ...

( حسين البنهاوى ) ، و( إبراهيم مكى ) ...

عندما يتصارع الذئاب الكبار ، انتظر متحفزًا ...

ففى صراعهما ليس هناك منتصر ...



بل ليس هناك وجود لكلمة انتصار ...

كل منهما سيثخن الآخر بالجراح ...

أحدهما سيلقى مصرعه ...

والآخر سيخرج مترنحًا ...

وعندئذ انقض ...

واربح ...

ابتسامته الثعلبية لم تغب عن عينى ( مكى ) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اطرح عن ذهنك ما تفكر فيه يا ( صلاح ) .

انتفض ( صلاح ) ، وهو يعتدل هاتفًا :

ـ ما أفكر فيه ؟!

مال ( مكى ) نحوه ، وهو يقول فى شراسة :

ـ تذكّر أنك تلميذى ، وتدين لى بكل ما تعلمته ، ومن النادر فى عالمنا ، أن يتفوق التلميذ على أستاذه .

انتفض انتفاضة مدروسة هذه المرة ، وهو يقول :

ـ محال أن أحاول يا ( إبراهيم ) باشا .

اعتدل ( مكى ) ، وهو يقول ، فى مزيج من صرامته وشراسته :

ـ الأفضل لك ألا تفعل ، لأن كل شىء يخصك فى درج مكتبى ، وكل ما يحتاجه تدميرك توقيع صغير .

كان ( صلاح ) يدرك أن هذه حقيقة ، إلا أنه لم يشعر بالخوف ، الذى أراده ( مكى ) أن يشعر به ...

ربما لأنه أيضًا ذئب ...

ولأنه يدرك جيدًا قواعد قطيع الذئاب ...

ولكن عليه أن يجاريه فى المسرحية ...

وحتى الفصل الأخير ...

ولهذا نهض متظاهرًا بالتوتر ، وهو يقول :

ــ اسمح لى بالانصراف يا ( إبراهيم ) بك .

أشار إليه ( مكى ) بالذهاب ، وهو يشيح بوجهه عنه ...

وفى صمت ، انصرف ( صلاح ) ، وعلى شفتيه ابتسامة غامضة ...

وفى هدوء ، استقل سيارته ، وانطلق بها حتى نيل ( جاردن سيتى ) ، وما هى إلا دقائق ، حتى سمع سؤالاً ، يلقيه صاحبه بكل الاهتمام :

ــ هل سلمته كل الأوراق كما طلب ؟!

اعتدل ( صلاح ) وهو يجيب :

ــ كما أمرت تمامًا يا باشا .

وكان هذا الباشا ، الذى يقف أمامه ( صلاح ) هو ( حسين ) ...

( حسين البنهاوى ) ...

شخصيًا .

★ ★ ★



## 12 ـ القهـــر ...

آخر من حضر ، إلى حفل عيد ميلاد ( طارق ) الحادى والعشرين ، كان على غير المعتاد ، ( حسين البنهاوى ) ، والأميرة ( عايدة ) ...

حضرا فى سيارة فاخرة ، تتبعها سيارة حراسة خاصة ، بعد العاشرة مساءً ببضع دقائق ، وهو يعد وقتًا متأخرًا ، بالنسبة لتلك المناطق الريفية ...

وكرد فعل طبيعى ، خرج الكل لاستقبالهما ، عند باب السراى ...

فى البداية ، ارتسمت ابتسامة مدروسة على الوجوه ، عندما هبط ( حسين ) من السيارة ، ولكن عندما هبطت ( عايدة ) ، ارتفعت حواجب الكل فى انبهار ، وقد خيل إليهم أن عهد الأمراء والملوك قد عاد بغتة إلى ( مصر ) ...

وإلى قريتهم بالتحديد ...

فلقد كانت ( عايدة ) فى ذروة جمالها وأناقتها تلك الليلة ، فى ثوب وردى حريرى ، مطرز بشظايا الألماس ، عقد من الماس الحر ، تألق تحت فيض الأضواء ، التى غمر بها ( حسين ) واجهة السراى ...

وبكل انبهارها ، غمغمت ( شريفة ) ، وهى تقف إلى جوار ( فاطمة ) :

ــ زوجة أخى حورية من الجنة .

ثم استدركت فى سرعة ، وهى ترمى ( فاطمة ) بنظرة جانبية :

ــ أخى ( حسين ) .

التفتت إليها ( فاطمة ) فى حركة حادة ، إلا أن لسانها اللاذع لم ينبس ببنت شفة ...

ليس لأن المناسبة لا تحتمل هذا ، ولكن لأنها لا تستطيع أن تعترض بحرف واحد ، وخاصة مع المقارنة غير العادلة ، بينها بخشونتها وغلظة ملامحها وصوتها ، وسوقية تصرفاتها ، وبين ( عايدة ) بجمالها الأخاذ ، وأناقتها المبهرة ...

ولقـد صافحت ( عايدة ) الجميع فى ترفع ، وكأنها تصافح خدمها فى القصر ، ثم ألقت نظرة مستهترة شبه ساخرة على السراى وأنواره ، قبل أن تخطو داخله فى عظمة ، باعتبارها أميرة سابقة ، وزوجة ( حسين ) ، عميد عائلة ( البنهاوى ) ، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة فيها ...

( طارق ) وحده استقبل الأميرة ( عايدة ) بلا انبهار ، وفى بساطة أدهشت الكل ، وأشعرتهم أن هذا الشاب يختلف ...

ولكن الواقع أن ( طارق ) لم ينبهر بالأميرة ( عايدة ) ، ولا بعمه ( حسين ) ، على الرغم من حرسه الشخصى ، الذى وقف يحرس باب السراى ، ويرهب الكل بمهابته وقوته ؛ لأنه كان فى الواقع يحيا انبهارًا بشخص آخر ...

( نادرة ) ...

كانت أولّ مرة يراها ، منذ عام كامل ...

وكانت هى قمة فى الجمال والرقة هذا المساء ...



فى نظره على الأقل ...

إنه لم يستطع كبح جماح انتفاضة قلبه القوية ، عندما رآها تدلف إلى السراى ، ووالدها ( عمر ) يستقبلها ...

( فاطمة ) نفسها اختلج قلبها لرؤية الفتاة ، التى خفق قلب ابنها الوحيد بحبها ، فلم تشعر إلا وهى تطلق زغرودة قوية ، أفرغت بها حماس قلبها ، وجعلت ( عمر ) يبتسم فى حنان ، وكأنه يعلن موافقته الضمنية ، على هذا الحب العذرى الشريف ...

( نادرة ) أيضًا اختلج قلبها الصغير بين ضلوعها ، وهى تصافح ( طارق ) فى صمت ...

كانت تريد أن تهنئه ببلوغ عامه الحادى والعشرين ، إلا أنها لم تستطع فتح شفتيها ، مع اختلاجـة قلبهـا ، فصافحته ، وتراجعت لتجلس إلى جوار والدها ، وقلبها ينبض فى عنف ، حتى لقد خشيت أن يسمع والدها نبضاته ...

وطوال الوقت ، وعلى الرغم من تبادل الكل الأحاديث فى صالة السراى ، الذى يجمعهم جميعًا كل عام ، فى ذكرى مولد ( طارق ) لم ينبس ( طارق ) نفسه أو ( نادرة ) بحرف واحد ...

فقط راح كل منهما يختلس النظر إلى الآخر ، وكأنهما يتبادلان حديث حب صامت ، فصلهما عن كل من يحيط بهما ...

حتى وصل ( حسين ) و( عايدة ) ...

الكل انبهروا بقدومهما ، وانشغلوا به ، فتسلَّل ( طارق ) إلى جوار ( نادرة ) ، وهمس لها بكل شوقه :

ــ أوحشتينى .

خفق قلبها بشدة ، وهى تهمس بكلمات مرتجفة :

ــ وأنت أيضًا .

كان ( عمر ) يقف على مسافة مترين منهما ، ولكنه شعر بما يحدث بينهما ، فغمغم فى حزم :

ــ تعالى إلى جوارى يا ( نادرة ) .

تخضَّب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تبتعد عن ( طارق ) ، وتسرع إلى جوار والدها ، الذى وضع يده على كتفها ، وكأنما يثبت أنه المدافع الأساسى عنها ...

واحتقن وجه ( طارق ) ، وهو يتراجع إلى داخل السراى ، متزامنًا مع دخول ( حسين ) و( عايدة ) ...

ولهذا لم يصافح ( عايدة ) فى انبهار . .

أو حتى فى اهتمام ...

ولم يرق هذا بالطبع للأميرة السابقة ، فرمقته بنظرة متعالية ، وهى تقول :

ــ أأنت من أقاموا من أجله هذا المهرجان ؟!

ابتسم ( حسين ) ، وربَّت على كتف ( طارق ) فى حرارة ، وهو يقول :

ــ إنه الحفيد ( البنهاوى ) الوحيد .



أدارت عينيها إليه ، قائلة فى لهجة ذات مغزى خاص :

ــ وما الذى يمنعك ؟!

احتفظت ملامحه بجمودها لحظات ، قبل أن يميل على أذنها ، هامسًا بابتسامة :

ــ من أن أصفعك وأهين كرامتك أمامهم جميعًا ؟!

احتقن وجهها ، وهمَّت بقول شىء ما ، إلا أنها خشيت أن يقدم على تحويل تهديده إلى حقيقة ، خاصة وأنها واثقة من أنه ليس مستعدًا لخسارة هيبته وسط عائلة ( البنهاوى ) ، حتى ولو ضحى بها شخصيًا ...

ودون أن يطرف له جفن ...

سنوات عمله حوَّلته إلى ذئب مخيف ...

مصاص دماء ، لا يذرف دمعة واحدة على ضحاياه ، مادام موتهم يؤمن له الحياة والبقاء ...

وبجهد شديد ، حافظت على ابتسامتها ، وهى تلتفت إلى الجميع ، قائلة :

ــ عيد ميلاد سعيد .

قالتها بالفرنسية ، فارتسمت الدهشة والحيرة على وجوههم ، فيما عدا ( مفيد ) ، الذى أجابها بالفرنسية :

ــ للجميع .

شعرت ( شريفة ) بالتوتر الخفى فى الموقف ، فقالت محاولة إدارة دفة حديث لطيف :

ــ سمعت أنك قد افتتحت متجرًا للثياب يا ( عايدة ) .

أجابتها ( عايدة ) فى زهو :

ــ أفخم متجر فى ( مصر ) كلها ، وفى أفخم فنادق ( القاهرة ) .

وضعت ( فاطمة ) يدها على صدرها ، وهى تقول فى استنكار حذر :

ــ الأميرة تعمل حائكة ثياب ؟!

التفتت إليها ( عايدة ) فى استنكار ، وما أن وقع بصرها عليها ، حتى أطلقت ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن تغمغم :

ــ أهذا أقصى ما يصل إليه خيالك ؟!

شعرت ( نعيمة ) بالشماتة ، فاندفعت تقول :

ــ متجر يبيع الثياب ولا يحيكها يا جا ... يا ( فاطمة ) .

احتقن وجه ( فاطمة ) ، مع سخريتهم منها ، وشماتة ( نعيمة ) الواضحة ، وقالت فى عصبية :

ــ سنبتاع كل ثيابنا منها على الأقل .

ارتفع حاجبا ( عايدة ) فى دهشة ، وهى تتطلّع إلى ثياب ( فاطمة ) ، قبل أن تطلق ضحكة ساخرة أخرى ، انعقد لها حاجبا ( حسين ) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ( عايدة ) تتعامل مع زوجات الوزراء وكبار المسئولين .

ثم استطرد فى حزم ، حتى لا يمنح أحدًا فرصة التعليق أو المواصلة :



ــ دعونا نوقد شموع الرشد ... لقد أحضرت أكبر كعكة عيد ميلاد ، تم إعدادها خصيصًا لحفيد ( البنهاوى ) .

نجح ( حسين ) فى السيطرة على الموقف كعادته ، وأرغم الجميع على اتباع السيناريو الذى يضعه هو ، حتى انتهى الجميع من إطفاء الشموع ، وتناول الكعكة الفاخرة ، ثم مال ( مفيد ) على ( حسين ) ، هامسًا :

ــ هل يمكننا أن نتحدّث وحدنا قليلاً ؟!

تطلّع إليه ( حسين ) لحظة فى صمت ، ثم نهض ، قائلاً فى حزم :

ــ تعال .

جلسا أمام بعضهما البعض وحدهما ، فى حجرة الضيوف ، وسأله ( حسين ) فى اهتمام صارم :

ــ ماذا لديك ؟!!

أجابه ( مفيد ) فى خفوت :

ــ ( طارق ) بلغ اليوم عامه الحادى والعشرين ، وصار من الناحية القانونية ، رجلاً ناضجًا ، و ...

قاطعه ( حسين ) فى حدة :

ــ انتقل إلى الهدف ، ولا تضيع وقتى فى التفاصيل .

ازدرد ( مفيد ) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يتنحنح ، قائلاً :

ــ لقد قرَّرت تقديم هدية لــ ( طارق ) ، تناسب مرحلة بلوغه سن النضج القانونى .

مال ( حسين ) نحوه فى اهتمام ، فتنحنح ( مفيد ) مرة أخرى ، قبل أن يتابع فى حذر متوتر :

ــ نصيبى فى المصنع الأوّل .

انعقد حاجبا ( حسين ) فى شدة ، وهو يتطلّع إليه بنظرة قاسية ، قبل أن يتراجع فى مقعده فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عنه ، فازدرد ( مفيد ) لعابه فى توتر ، وهو يقول :

ــ أظنه يستحق هذا ، باعتباره ...

قاطعه ( حسين ) فى صرامة :

ــ إنك تدفعنى بقرارك هذا إلى أمر واحد لا غير .

امتقع وجه ( مفيد ) ، وهو يتطلّع إليه ، وقلبه ينبض فى قوة ، فى حين عاد ( حسين ) يميل نحوه ، مضيفًا بكل قسوة وصرامة :

ــ تجريدك من كل ما تملك ... فى المصنعين .

وانتفض جسد ( مفيد ) فى عنف ...

وهوى قلبه بين قدميه ...

صريعًا ...

★ ★ ★



« ولكن لماذا ؟!...»

هتف ( عبد الحكيم ) بالسؤال ، فى انزعاج واستنكار ، وهو يحدق فى ( مفيد ) غير مصدق لما سمعه ، ثم لوَّح بذراعه فى حيرة ، وهو يستطرد :

ــ بالأمس يقيم حفلاً أسطوريًا فى السراى ، من أجل عيد ميلاد ( طارق ) ، ثم يرفض فى شراسة جعله شريكًا بالمصنع .

زفر ( مفيد ) فى عصبية ، وهو يقول :

ــ ( حسين ) يشعر أن هذا سيفقده السيطرة على العائلة .

تساءل ( عمر ) مستنكرًا :

ــ وماذا يمكن أن يفعل ( طارق ) ؟!

أجابه فى مرارة :

ــ يستقل اقتصاديًا ، ويملك أمر نفسه ، ولا تعود لـ ( حسين ) سيطرة عليه ، أو على ( حافظ ) و( فاطمة ) .

قلب ( عمر ) شفتيه ، وهو يغمغم فى غضب :

ــ السيطرة ... السيطرة ... أهذا كل ما يفكر فيه هذا الديكتاتور .

ارتبك ( عبد الحكيم ) ؛ خشية أن يغضب الحديث عن ( حسين ) ، على هذا النحو شقيقه ، ولكن ( مفيد ) غمغم فى أسى :

ــ هذه حقيقة .

ران عليهم صمت ثقيل ، بعد عبارة ( مفيد ) ، تبادل خلاله ( عبد الحكيم ) نظرة متوترة مع ( عمر ) ، قبل أن يسأل ( مفيد ) فى حذر :

ــ وماذا تنوى أن تفعل ؟!... هل ستتحداه ؟!

صمت ( مفيد ) لحظات ، قبل أن يجيب :

ــ لو أن المصنع ملكى وحدى لفعلت ، ولكن ( حسين ) لا يقبل الخسارة أبدًا ... ولو أننى تحديته على هذا النحو ، لن يكتفى بتدمير المصنع القديم فحسب ، وإنما سيسعى لتدمير ثلاثتنا ، وربما ( طارق ) أيضًا ؛ ليثبت للكل أنه الأقوى .

عاد ( عمر ) و( عبد الحكيم ) يتبادلان تلك النظرة المتوترة ، قبل أن يقول ( عمر ) فى أسف :

ــ عندما تزوَّجت أختك ( نعيمة ) ، كان ( حسين ) هذا شابًّا طموحًا ، ولكنه يملك شهامة الريف المعتادة ... واليوم أشعر أننى أتعامل مع شخص يختلف تمامًا .

غمغم ( عبد الحكيم ) ، وهو يتلفَّت فى حذر ، وكأنه يخشى أن يسمعه ( حسين ) بوسيلة أو أخرى :

ــ إنها السلطة وشهوتها .

زفر ( مفيد ) مرة أخرى ، قائلاً :

ــ شهوة السلطة لا تفوقها شهوة ؛ لأنها تمنحك كل الشهوات الأخرى .

تمتم ( عمر ) :

ــ لهذا يتقاتل الناس كالكلاب المسعورة من أجلها .

زفر ( مفيد ) مرة ثالثة ، دون أن يقول شيئًا ، وران على ثلاثتهم صمت ثقيل ، استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، قبل أن يغمغم ( عمر ) :



ــ وصلتنا برقية جديدة من ( جى جى كوم ) .

رفع ( عبد الحكيم ) و( مفيد ) عيونهما إليه فى اهتمام ، فتابع بابتسامة ظافرة :

ــ وافقوا على كل شروطنا .

هتف ( عبد الحكيم ) فى فرح :

ــ حقًّا ؟!

أما ( مفيد ) ، فقد تراجع فى قلق ، مغمغمًا :

ــ كلها ؟!... لم يعترضوا على شرط واحد ؟!

قال ( عمر ) فى حماس :

ــ على الإطلاق .

تطلَّع ( عبد الحكيم ) إلى ( مفيد ) ، الذى بدت عليه علامات التفكير والشك ، وضحك قائلاً :

ــ هادم اللذات ومفرق الجماعات ... ماذا بك يا رجل ؟!... هل تم تطعيمك ضد الفرحة أم ماذا ؟!

ابتسم ( مفيد ) ابتسامة باهتة ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ــ ليس من الطبيعى ، فى صفقات بهذا الحجم ، أن يوافق طرف على شروط الآخر ، دون مناقشة ... ما يحدث دومًا هو مساومة ، يحاول كل طرف فيها الحصول على أفضل ما يمكن .

مال ( عمر ) نحوه ، وهو يقول :

ـ ولكنهم وافقوا ، وسيحضر رئيس مجلس إدارتهم بنفسه ؛ لتوقيع العقد .

غمغم ( مفيد ) فى شك أكثر :

ـ بنفسه ؟!

تراجع ( عمر ) هاتفًا :

ـ افرح معنا مرة يا ( مفيد ) ... إنها صفقة العمر ، ولو فاز بها مصنع آخر ، لأقام حفلاً للاحتفال بالمناسبة .

غمغم ( مفيد ) ، وهو يحاول أن يبتسم :

ـ بالطبع .

ما أن أتم عبارته ، حتى سمع طرقات على باب مكتبه ، جعلته يعتدل ، وهو يقول فى رصانة :

ـ تفضل .

دلف سكرتيره إلى المكان ، وهو يقول فى توتر :

ـ هناك من يرغب فى مقابلتك يا أستاذ ( مفيد ) .

تساءل ( عمر ) فى قلق :

ـ من ؟!

قبل أن يجيبه السكرتير ، دفعه ذلك الزائر فى خشونة ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ ( فريد عبد الرحمن ) ... من مصلحة الضرائب التجارية .



وقبل أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، اندفع عدد من الرجال إلى الحجرة ، وأحاطوا بكل شىء ، فهتف ( عبد الحكيم ) فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا ( مفيد ) ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ ( حسين ) .

وانتفض جسدا ( عمر ) و( عبد الحكيم ) ...

( حسين ) يضرب ضربته الاستباقية للكل ...

وكعادته ...

بلا رحمة ...

★ ★ ★

صمت ( مكى ) طويلاً ، وهو يتطلّع إلى ( حسين ) ، قبل أن يقول فى حذر وبطء :

ـ أليس هذا قاسياً بعض الشىء ؟!

أجابه ( حسين ) فى شراسة :

ـ لابد من هذا .

صمت ( مكى ) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم :

ـ نصف مليون جنيه مبلغ مبالغ للغاية ... مبيعاتهم كلها يستحيل أن تبلغ هذا الرقم ، فما بالك بضرائبهم .

تراجع ( حسين ) فى مقعده ، وهو يقول بنفس الشراسة :

ـ التقرير الذى كتبه ( فريد ) ، يقول : إن أرباحهم خمسة أضعاف هذا الرقم .

اعتدل ( مكى ) ، قائلاً :

ـ أنت تعلم مثلى أن هذا مستحيل ! ... نحنُ أكبر شركة استيراد وتصدير فى ( مصر ) ، وأرباحنا لم تبلغ المليون جنيه بعد .

هزّ ( حسين ) كتفيه بلا مبالاة ، وهو يقول :

ـ إنه تقدير جزافى ، من حقهم الطعن عليه .

سأله ( مكى ) فى حذر :

ـ وماذا عن الحجز التحفظى ؟!

عاد يهز كتفيه ، مجيبًا :

ـ إجراء قانونى بحت .

تطلّع إليه ( مكى ) بضع لحظات فى صمت تام ...

مستحيل أن يكون هذا ( حسين ) ، الذى عرفه قديمًا !!...

الجالس أمامه هو وحش ...

وحش كاسر ، فقد قلبه منذ زمن ، ولم يعد هناك ما يمكن أن يطرف جفنه من أجله ...

وحش يفترس بلا رحمـــة ، كل مـــن يفكر مجـــرَّد تفكير ، فى الوقوف أمامه ...

أيًا كان ...



وحش عليه أن يأخذ كل الحذر منه ، حتى وهو يقف إلى جواره ...

فماذا لو تصوَّر يومًا ، مجرَّد تصور ، أنه يقف فى طريقه ؟!...

لقد أطاح بشقيقه وابن شقيقه بلا رحمة ؛ لمجرَّد أنهما حاولا ممارسة حقهما الطبيعى ...

فماذا لو أنه عاداه هو ؟!...

كان يدرس الأمر فى ذهنه ، عندما اعتدل ( حسين ) فجأة ، قائلاً :

ـ أتعلم أننى أقنعت سيادة الرئيس ، بأن يسمح للسيدة الأولى بممارسة عمل تجارى .

فاجأ الخبر ( مكى ) ، فتساءل فى دهشة :

ـ أى عمل تجارى ؟!

أشار ( حسين ) بيده ، وهو يبتسم ابتسامته الذئبية ، مجيبًا :

ـ سيارات الليموزين الفاخرة .

صمت ( مكى ) لحظات مندهشًا ، قبل أن يغمغم فى حذر :

ـ إنها المرة الأولى ، التى يحدث فيها هذا .

هزّ ( حسين ) كتفيه ، قائلاً فى سخرية .

ـ وهى المرة الأولى أيضًا ، التى نستخدم فيها لقب السيدة الأولى فى ( مصر ) ، ولم يحدث شىء .

تأمّله ( مكى ) فى قلق بضع لحظات ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ ولكن لماذا ؟!... إنك لا تفعل شيئًا بلا هدف .

ابتسم ( حسين ) ابتسامة الذئب ، وهو يقول :

ـــ ( إبراهيم مكى ) الذى عرفته ، لم يكن ليلقى مثل هذا السؤال .

صمت ( مكى ) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى بطء :

ـــ إنك تحمى نفسك .

اعتدل ( حسين ) يسأله فى اهتمام فضولى :

ـــ كيف ؟!

أجاب ( مكى ) ، بنفس البطء الحذر :

ـــ لو أن السيدة الأولى لديها عمل تجارى ، لا يمكن أن يحاسب الرئيس أحد أتباعه ، إذا ما امتلكت زوجة التابع عملاً تجاريًا .

تألقت عينا ( حسين ) ، وهو يقول :

ـــ لم تفقد مهارتك بعد يا ( إبراهيم ) .

ابتسم ( مكى ) ابتسامة خبيثة ، وهو يجيب :

ـــ وأنت اكتسبت مهارات مخيفة يا ( حسين ) .

التقت نظراتهما لثوان ، من العسير معرفة ما حوته أو تناقلته ...

لقد كانت نظرة ذئب لذئب ...

نظرة فيها تحفز ...

ووحشية ...

وحذر ...



وتحـــد ...

نظرة استغرقت ثوان معدودة ، قبل أن يتراجع ( حسين ) ، سائلاً فى لهجة خاصة :

ـــ متى كانت آخر مرة رأيت فيها ( صلاح ) يا ( إبراهيم ) ؟!

أجابه ( مكى ) على الفور :

ـــ مساء أمس .

سأله :

ـــ وما الذى أحضره لك هذه المرة ؟!

سرت قشعريرة باردة فى جسد ( مكى ) ، وإن حافظ على جمود ملامحه وثبات وأعصابه ، وهو يقول :

ـــ كشف حساب الشركة كالمعتاد .

ابتسم ( حسين ) ابتسامة الذئب ، وهو يقول :

ـــ فقط ؟!

سرت تلك القشعريرة مرة أخرى فى جسد ( مكى ) ، وهو يقول :

ـــ ماذا تعنى ؟!

صمت ( حسين ) بضع لحظات ، وهو يتطلع إليه بابتسامة مخيفة ، قبل أن يجيب فى بطء :

ـــ لا عليك ... إنه مجرَّد سؤال .

ثم نهض ، مستطردًا بنفس الابتسامة :

ــ فى المرة القادمة ، حاول أن تذكره بالقاعدة الذهبية .

سأله ( مكى ) بكل قلقه :

ــ أية قاعدة ؟!

فتح ( حسين ) باب المكتب ، وأجابه دون أن يلتفت إليه :

ــ حسن اختيار الجانب الرابح .

قالها ، وخرج يغلق الباب خلفه ، فانعقد حاجبا ( مكى ) فى شدة ، وهو يتطلع إلى الباب ، الذى أغلقه ( حسين ) خلفه ، قبل أن يغمغم فى توتر :

ــ هناك قاعدة ماسية يا ( حسين ) بك .

والتقط سمَّاعة هاتفه ، وهو يضيف :

ــ تغدَّى بخصمك ، قبل أن يتعشى بك .

وأدار قرص الهاتف ، وذهنه يعد الخطة ...

خطة ضربته القادمة لخصمه المخيف ...

الضربة التى ستحسم الصراع ...

إلى الأبد .

★ ★ ★



# 13 ــ العــــودة ..

نفثت الأميرة ( عايدة ) دخان سيجارتها فى استمتاع ، وهى تجلس على مقعدها الخاص ، فى بوتيك ( الأميرة ) ، تتطلَّع عبر الواجهة الزجاجية ، إلى ذلك المشــهد البديع ، لانعكاس أشـعة شمس الغـروب ، على سطح نيل ( القاهرة ) الساحر ، الذى يمنحها دومًا ذلك الشعور بالانتعاش والاستمتاع ...

كان البوتيك يحقق أرباحًا أكبر مما توقعت ، مع نوعية الثياب الفاخرة التى يعرضها ، واقتصار كل طراز منها على قطعة واحدة ، تضمن لصاحبتها ألا تنافسها أخرى فى أناقتها ، فى أى حفل رسمى ...

أما هى ، فعلى الرغم من زواجها من ( حسين البنهاوى ) ، أقوى رجل فى ( مصر ) ، إلا أنها لم تعد إلى العالم الأرستقراطى بحق ، إلا باعتبارها الأميرة الســابقة ( عايدة ) ، صاحبة أشهر بوتيك ثيــاب فى ( مصر ) كلها ...

وعلى الرغم من الأثواب الفاخرة لديها ، والتى أقبلت عليها نساء الطبقة الأرستقراطية الجديدة ، كما توقعت تمامًا ، إلا أنها ، وفى كل حفل دعيت إليه ، نجحت فى أن تتألق كدرة الحفــل ، بجمالها ، وأناقتها ، وتلك اللمسات المدروسة بعناية من المكياج على وجهها الرقيق ...

وحياة القصور ، التى عاشتها سابقًا ، جعلت منها أستاذة فى المداهنة والرياء ، تنساب من بين شفتيها الجميلتين كلمات معسولة ، تنطقها فى رقة ونعومة ، فتخلب لب النساء قبل الرجال ...

وكونها أميرة سابقة ، جعل الكل يضعونها فى مكانة خاصة ، مع عصر الانفتاح ، الذى كثرت فيه الأموال ، وصار الكل يحلم بالتميز ...

« اختيارك للأثواب رقيق جدًّا يا أميرة ...»

انتزعها ذلك الصوت الأنثوى غير المألوف من أحلامها ، فاعتدلت تلتفت إلى صاحبته ، التى تزور البوتيك لأوَّل مرة ...

كانت امرأة جميلة فى وضوح ، ذات ملامح متناسقة ، وعينين لهما لون جذَّاب ، وشعر مصفف فى عناية ...

الأهم أنها كانت ترتدى ثوبًا شديد الأناقة ، يعود إلى بيت أزياء بلجيكى شهير ، ورائحة عطرها الفاخر تضفى عليها جاذبية من نوع خاص ، جعلت ( عايدة ) تنهض لاستقبالها بنفسها ، وهى تقول :

ــ لا يوجد مثلها ، فى أى مكان فى ( مصر ) .

ابتسمت الجميلة ، وهى تقول :

ــ لا أبتاع ثيابى من ( مصر ) فى المعتاد .

تأمَّلتها ( عايدة ) فى اهتمام ، قبل أن تسألها فى فضول :

ــ إنها أوَّل مرة تزورينا فيها ... أين تقيمين بالضبط ؟!

ابتسمت الجميلة فى هدوء ، وهى تجيب :

ــ فى ( ليفربول ) ... لدى ضيعة كبيرة هناك .

قالت ( عايدة ) فى دهشة :

ــ ولكنك مصرية جدًّا .



ابتسمت الجميلة ، قائلة :

ــ انا كذلك ... ولكننى غادرت ( مصر ) منذ فترة ، وسافرت إلى ( انجلترا ) .

سألتها فى فضول :

ــ هل أدرت عملاً هناك ؟

صمتت الجميلة لحظات ، شردت خلالها ببصرها ، وكأنها تستعيد ذكرى قديمة ، قبل أن تعود بعينيها إلى ( عايدة ) ، وتستعيد ابتسامتها الهادئة ، مجيبة :

ــ ليس فى البداية .

حاولت ( عايدة ) أن تجيبها بابتسامة مماثلة ، وهى تقول :

ــ امتلاك ضيعة كبيرة فى ( ليفربول ) ليس بالأمر السهل .

وافقتها الجميلة بإيماءة خفيفة من رأسها ، قبل أن تقول :

ــ زوجى هو سير ( ماهر جلال ) ، كبير أطباء ( لندن كلينيك ) .

رفعت ( عايدة ) حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول مبهورة :

ــ سير؟!... ومصرى ؟!..

قالت الجميلة فى هدوء :

ــ كلانا حاصل على الجنسية البريطانية منذ فترة .

كانت ( عايدة ) تهم بإلقاء سؤال آخر ، عندما سألتها الجميلة :

ــ أنت الاميرة ( عايدة ) ، زوجة ( حسين ) بك ( البنهاوى ) ... أليس كذلك ؟!

ابتسمت ( عايدة ) ، ونفثت دخان سيجارتها فى أناقة ، قبل أن تجيب فى زهو :

ــ بلى ... من الواضح أن إقامتك فى ( ليفربول ) ، لم تقطع صلاتك المعلوماتية بـــ ( مصر ) .

حملت ابتسامة الجميلة غموضًا عجيبًا ، وهى تقول :

ــ المال يفتح كل الأبواب .

غمغمت ( عايدة ) ، وقد تسلل إلى مشاعرها قلق خفى :

ــ هذا صحيح .

أشارت الجميلة إلى السيجارة بين أصابع ( عايدة ) ، وهى تقول :

ــ من الخطأ التدخين وسط متجر للثياب ، فالأقمشة الطبيعية نباتية المنشأ فى المعتاد ، ورائحة الدخان قد تستقر بين طياتها لفترة طويلة .

ألقت ( عايدة ) نظرة على السيجارة ، ثم تراجعت خطوتين ، لتسحقها فى منفضدة بلوّرية ، وهى تقول بلمحة عصبية :

ــ من الواضح أنه لديك خبرة كبيرة ، فى التعامل مع الأقمشة .

اتسعت ابتسامة الجميلة ، وحملت لمحة أخرى من الغموض ، وهى تمد يدها إليها ، قائلة :



ــ مـــدام ( جى جى ) ... رئيس مجلس إدارة شـــركة ( جى جى كو ) للملابس .

تصافحتا وكل منهما تتطلع إلى عينى الأخرى مباشرة ...

وكانت البداية ...

★ ★ ★

« هذا صحيح ...»

قالها ( عمر ) فى صرامة باردة ، جعلت وجه ( نعيمة ) يحتقن فى الغضب ، وهى تقول :

ــ إذن فقد أعدتنى إلى عصمتك ، وتركتنى أجهل لعام أو يزيد ، وأحيا فى ذلك الجحيم ، مع ابنة الكلاف ؟!

رمقها بنظرة باردة ، وهو يجيب :

ــ أهنتنى أمام الجميع ، ولم تتركى لى سوى لطم كرامتك بالمقابل .

حدّقت فيه غير مصدقة ، ومكررة فى استنكار :

ــ مع ابنة الكلاف .

اعتدل ، قائلاً فى صرامة :

ــ كان من الضرورى أن تتعلمى التعايش معها ... وذلك السراى الذى أسفينه بالجحيم ، ضمكما سويًا ، يا عائلة ( البنهاوى ) .

صرخت :

ــ ( فاطمة ) ليست من عائلة ( البنهاوى ) .

زمجر فى شراسة :

ــ دفن الرأس فى الرمال لا يغير من الحقيقة شيئًا ... ( فاطمة ) هى زوجة ( حافظ البنهاوى ) ، وأم ( طارق البنهاوى ) ، وشئت أم أبيت ، هى الآن فرد من عائلة ( البنهاوى ) .

صرخت فى هيستريًا :

ــ مستحيل !! ... مستحيل !! ... ابنة الكلاف لن تكون أبدًا جزءًا من عائلة ( البنهاوى ) .

صرخ فيها بكل قوته :

ــ ماذا أصابك ؟!... ( ناهد ) و( شريفة ) تقبلتا الأمر ، وتعايشتا معه منذ زمن ... أنت وحدك تلتهبين من مجرَّد ذكر اسم ( فاطمة ) !!... أجنون هذا أم ماذا ؟!

تراجعت مصعوقة ، وهى تحدق فيه مصدومة ...

لم يصدمها ما قاله ، بقدر ما صدمها ما أيقظه فى عقلها ...

نعم ... لماذا هى؟!...

( شريفة ) أيضًا تبغض ( فاطمة ) ، ولكنها تتعايش معها ...

و( ناهد ) بعيدة عن العائلة ، بسبب طبيعة زوجها ( فؤاد ) ، وخاصة بعد أن خرج أو أخرج من الجيش ...

هى وحدها تحمل فى أعماقها ذلك الغضب المشتعل المستعر تجاه ( فاطمة ) ...



فلماذا ؟!..

ألأنها فى طفولتها رأت والدها رحمه الله ، يدلل ( فاطمة ) بأكثر مما يدللها ؟!

أمن الممكن أن تترك ذكريات طفولة ، كل هذا البغض ؟!...

أم لأن ( فاطمة ) تحمل كل ما تبغضه فى أية أنثى ؟!...

فظة ...

خشنة ...

غليظة ...

سوقية ...

وبكل تلك الصفات السيئة ، هى زوجة أخيها ( حافظ ) ...

أضعف أخوتها على الإطلاق ...

أو ربما كل هذا فى آن واحد ...

ربما ...

ولكنه حتمًا ليس جنونًا !!...

ليس جنونًا !!...

« أنا لست مجنونة !... »

صرخت بالعبارة فى عصبية ، فمال ( عمر ) نحوها فى تحد ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ما من مجنون يدرك أنه مجنون .

امتقع وجهها ، وهى تتراجع ، قائلة فى هلع :

ــ ماذا تنوى يا ( عمر ) ؟!

تراجع فى هدوء مستفز ، وجلس يضع ساقًا على ساق ، وهو يجيب :

ــ أنوى عرضك على طبيب نفسى .

تحوَّل امتقاع وجهها إلى شحوب ، وهى تغمغم مصعوقة :

ــ طبيب نفسى ؟!

اعتدل فى صرامة :

ــ هذا شرطى لاستمرار الحياة بيننا يا ( نعيمة ) ... أن تقبلى العرض على طبيب نفسى ... عصبيتك الزائدة لم تعد طبيعية ... لقد تجاوزت كل الحدود ، وتحتاج إلى ضابط ورابط .

غمغمت منكمشة :

ــ طبيب نفسى ؟!

مال كثيرًا نحوها ، وهل يقول فى صرامة قاسية ، أقرب إلى الشراسة :

ــ ما قولك ؟!

انكمشت أكثر ، وتصاعد رعب كبير فى أعماقها ...

طبيب نفسى ؟!...

لن يفهم الناس هذا ...

سيرددون أنها قد أصيبت بالجنون ...



الكل سيتداول هذا ...

بعضهم سيشفق ...

وبعضهم سيسخر ...

والبعض الثالث سيشعر بالشماتة ...

فكرة الشماتة قفزت بذهنها إلى عدوتها اللدود ... ( فاطمة ) ...

مجرَّد ورود الاسم فى ذهنها ، جعل كيانها كله ينتفض ، وهى تهتف فى عصبية شديدة :

ــ قولى لا يهم .

تطلَّع إليها فى دهشة مستنكرة ، فتخلت عن انكماشها ، وعاودت هجومها ، وهى تستطرد :

ــ المهم قول ( حسين ) .

تراجع فى توتر ، مع ذكر اسم ( حسين ) ، وبدا هذا واضحًا عليه ، مما دفعها إلى رفع صوتها ، وهى تتابع فى حدة :

ــ ( حسين البنهاوى ) ... لابد من معرفة رأيه ، حول عرض شقيقته على طبيب نفسى . . ترى هل يتفق هذا أم يختلف مع مسار حياته وطموحاته ؟!..

غمغم فى غضب :

ــ هذا الأسلوب لا يفيدك .

أدركت بغمغمته أنها على وشك ربح معركتها ، فواصلت فى حدة أكثر :

ـ دعنا نسأله ، وليقل هو كلمته .

قال فى حدة :

ـ ( حسين البنهاوى ) لن يحكم بيتى .

قالت متحدية :

ـ إنه يحكم ( مصر ) ، وبيتك جزء ضئيل منها .

صمت محتقن الوجه ، وهو يتطلّع إليها فى غضب ، وراح يبحث عن رد مناسب لهجومها باسم ( حسين ) ...

إنه يعلم أنها على حق ، فى جزء من قولها ...

( حسين البنهاوى ) لن يقبـل أبدًا أن تعـرض شـقيقته على طبيب نفسى ...

لن يتقبل احتمال معرفة مخلوق واحد بهذا ...

هذه حقيقة ، يعرفها جيدًا ...

ولكنها حقيقة تجرح رجولته ...

وبشدة ...

ولهذا فعليه أن يرد ...

وبعنف ...

ولكن كيف ؟!...

السؤال الفعلى هو كيف ؟!...



الطلاق ليس حلاً هذه المرة ؛ لأنه سيكون الطلاق الثالث ، الذى لا رجعة بعده ...

وهذه خطوة لن يقدم عليها ...

على الأقل من أجل ابنته الوحيدة منها ...

من أجل ( نادرة ) ...

ولكن هناك حتمًا وسيلة أخرى ...

وسيلة يرد بها الصفعة ، ويجبر بها زوجته على الخضوع له ...

وهذا يعيد السؤال إلى ذهنه ...

كيف ؟!...

كيف ؟!...

★ ★ ★

انحدرت دمعة ساخنة من عينى ( نادرة ) ، وهى تسير إلى جوار ( طارق ) ، فى طريقهما إلى محطة القطار فى ( طنطا ) ، وغمغمت فى مرارة :

ـ لست أجد سبيلاً يا ( طارق ) ... أبى يثق بك ، ويوافق تمامًا على فكرة زواجنا ، بل ويراها مناسبة ... ولكن أمى ترفض فى شـدة وإصرار ، حتى أنها أقسمت أن تقتل نفسها ، لو أن خطبتنا تمت .

قاوم الدموع فى عينيه ، وهو يقول :

ـ عمتى تعاقبنى على خلافتها مع أمى .

سالت دموعها ، وهى تغمغم :

ـ إنها لا تدرى أنها تعاقبنى أنا .

شعر بغصة فى حلقه ، جعلته يتمتم فى خشونة :

ـ لعن الله الغضب .

سارا بعدها صامتين ، جنبًا إلى جنب ، عبر شارع ( المديرية ) ، المؤدى إلى المحطة ، قبل أن ينتزع ( طارق ) نفسه من غصته ، وهو يقول :

ـ امتحاناتك ستنتهى بعد أسبوع واحد يا ( نادرة ) ، وبعدها لن يكون لديك مبرر للخروج من دارك .

تمتمت فى مرارة :

ـ ولن يمكننا أن نلتقى ثانية .

خفض بصره ، وهو يقول :

ـ الأمر الآخر أن هذا عامك الأخير ، وأنا ما زلت طالبًا فى عامى الأخير ... ستحصلين على شهادتك قبلى بعام كامل .

غمغمت ، وهى تمس كفه بأصابعها :

ـ لن يصنع هذا فارقًا .

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لن يكون هذا ، الفارق الوحيد .



عاد الصمت يغلفهما مرة أخرى ، ومحطة القطار تقترب ، وشعرت هى من صمته ، بالثقل الملقى على قلبه ، فازدردت لعابها ، وقالت ، محاولة التخفيف عنه :

ـ هل ستعمل فى المصنع بعد تخرجك ؟!

غمغم :

ـ لم أتخذ قرارى بعد .

هزّت كتفيها الصغيرين ، قائلة :

ـ وأى قرار يحتاجه هذا ؟!... أبى أخبرنى أنه أعد لك وظيفة جيدة فى قسم الحسابات ، تحت إدارة خالى ( مفيد ) .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ هذا سيتوقف على القرار .

سألته فى حيرة :

ـ أى قرار ؟!

أجاب فى حزن :

ـ قرار زواجى منك ... لو تم زواجنا ، سأقبل تلك الوظيفة ، أما لو تواصل رفض عمتى لذلك ، وعجزنا عن إقناعها بالعكس ، فسأطلب من عمى ( حسين ) إيجاد عمل لى فى ( القاهرة ) ؛ حتى ابتعد عن قريتنا ، وعن ( طنطا ) كلها .

ارتجف قلبها بين ضلوعها ، وهى تقول فى شحوب :

ـ أتعنى ألا أراك مرة ثانية ؟!

شعرت بالدموع تتسلل مرة أخرى إلى مقلتيه ، وهو يقول فى أسى :

ــ لا يمكن أن أحتمل رؤيتك زوجة لرجل آخر .

هتفت مذعورة :

ــ مستحيل !!

تعانق كفاهما ، وهما يصعدان فى السلم ، إلى رصيف المحطة ، ووقفا صامتين ينتظران القطار ...

قطار العمر ...

والقدر ...

★ ★ ★

« ما كل هذا بالضبط ؟!....»

قالها ( مفيد ) فى دهشة ، ما تلك الاستعدادت الكبيرة فى المصنع الجديد ، لاستقبال مدام ( جى جى ) ، رئيسة مجلس إدارة شركة ( جى جى كو ) البريطانية ، التى ستحضر ، حسب موعدها ، بعد أقل من ساعة واحدة ، فابتسم ( عمر ) ، وهو يقول :

ــ الصفقة مع شركتها كبيـــرة ، وتستحق ما هـــو أكثـــر من هذا ... أخشى أن يفـــرض الســـادات رســـومًا إضافية ، على التعاقد مع شركات أجنبية .

هزَّ ( مفيد ) كتفيه ، قائلاً :

ــ اطمئن ... إنه لن يفعلها .

ابتسم ( مفيد ) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :



ــ مع ( السادات ) ، يمكنك أن تتوقع أى شىء ... يكفى أنه أعاد متطرفى الإسلام إلى الحياة السياسية ؛ فقط للقضاء على فلول الشيوعية ، وأنصار الفكر الناصرى .

قال ( عمر ) فى حذر :

ــ ربما أراد أن يطفئ النار بالماء .

هتف ( مفيد ) :

ــ نار ومـــاء ؟!... على العـــكس يا صـــديقى ... إنه كمـــن يستجير من الرمداء بالنـــار ... لقـــد أطلق سراح ذئب مفترس ، ليقضى على فأر يحتضر ... أولئك الذين أعادهم إلى المجتمع ، سيكونون أشدَّ ضررًا وضراوة ألف مرة .

تمتم ( عمر ) :

ــ من يدرى ؟!

أشار ( مفيد ) بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ــ سوف ترى .

شعر أنه قد أسرف فى التشاؤم ، فسأل ( عمر ) ؛ ليخرج من حديث السياسة :

ــ قل لى : ماذا فعلت مع ( نعيمة ) ؟!... لقد تركت السراى وعادت إليك ، ولم تعد تأتى على ذكر ( فاطمة ) .

صمت ( عمر ) لحظة ، يستعيد فيها ما حدث ، قبل أن يجيب :

ــ صدمتها بما أيقظ عقلها .

ارتفع حاجبا ( مفيد ) ، وهو يقول :

ــ أى مصطلح أدبى هذا ؟!

حاول ( عمر ) أن يبتسم ، وهو يقول :

ــ لم أقصد أن يكون كذلك ، ولكنه ما أفرج عنه عقلى ، وأنا أحاول توصيف ما حدث .

وصمت لحظة ، التقط خلالها نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ــ لقد أخبرتها فى وضوح ، أنها لو لجأت إلى ( حسين ) ؛ لتربح معركتها ، سأطلقها للمرة الثالثة ، وعندئذ لن يستطيع ( حسين ) ، أو أية قوة فى الأرض ، إجبارى على إعادتها ؛ لأن هذا سيتنافى مع الشرع .

هزّ ( مفيد ) رأسه ، وهو يقول فى أسى :

ــ أشعر بشفقة حقيقية على ( نعيمة ) ، مع كل ما يقتل أعماقها من غضب .

زفر ( عمر ) ، وهو يقول :

ــ هناك من الناس من يفتقر إلى القدرة على الغفران والنسيان ، والتعايش مع الواقع .

استعاد ( مفيد ) ذكرى أليمة ، وهو يغمغم :

ــ على الرغم من أن النسيان نعمة من نعم الخالق عزّ وجلّ ، ينعم بها على من يرضى عنه من عباده .



وصمت لحظة ، ثم التفت إلى ( عمر ) ، مستطردًا :

ــ لماذا لا تستخدم مع ( نعيمة ) ، العلاج نفسه الذى استخدمته معى ؟!

سأله ( عمر ) فى حيرة :

ــ أى علاج ؟!

مال ( مفيد ) نحوه ، مجيبًا :

ــ العمل .

همّ ( عمر ) بسؤاله عما يعنيه ، عندما اندفع ( عبد الحكيم ) نحوهما ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ لقد وصلت ... مدام ( جى جى ) وصلت .

التفت كلاهما إلى ثلاث سيارات ( مرسيدس ) ، من أحدث طراز ، تدخل ساحة المصنع ، ولهث ( عبد الحكيم ) ، وهو ينضم إليهما ، قائلاً فى حماس :

ــ إنه موكب أميرة .

غمغم ( مفيد ) :

ــ بل قل استعراض أميرة .

توقفت السيارات أمامهم ، وسط انبهار عمال وحراس المصنع ، وقفز أربعة رجال ، من السيارتين الأمامية والخلفية ، وأحطاها بالسيارة الوسطى ، التى خرج سائقها ليفتح بابها الخلفى ، وهو ينحنى انحناءة كبيرة ، جعلته أشبه بالرقم ستة ...

وفى عظمة وخيلاء متعمدين ، خرجت مدام ( جى جى ) من السيارة ، ووقفت أمامها تبتسم فى ظفر ...

واتسعت عينا ( مفيد ) عن آخرهما فى ذهول ...

صحيح أن ملامحها قد تغيَّرت قليلاً مع الزمن ، ولكنه من المستحيل أن ينسى هذا الجمال أبدًا ...

جمال مدام ( جى جى ) ...

أو كما عرفها قديمًا باسم آخر ...

اسم ( جيهان ) .

★ ★ ★



# 15 ـ الصدمة ..

« ماذا تقولين يا ( نعيمة ) ؟!...»

هتف ( عمر ) بالعبارة فى استنكار ، فى وجه زوجته ( نعيمة ) ، التى ازدردت لعابها فى صعوبة ، واستجمعت شجاعتها ، وهى تجيب :

ـ كما سمعت يا ( عمر ) ... ( وليد ) ، ابن ( كمال ) ، شقيق زوج ( ناهد ) ، طلب يد ( نادرة ) .

حدَّق فى وجهها مستنكرًا ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ و( طارق ) ... ماذا عن ( طارق ) ؟!

قالت فى إصرار :

ـ ( وليد ) يعمل فى وزارة الداخلية ، ووالده يسعى لجعله ملحقًا سياسيًّا فى سفارة ( مصر ) فى ( إسبانيا ) .

عاد يسألها فى غضب :

ـ وماذا عن ( طارق ) ؟!

هتفت بها :

ـ ماذا عنه ؟!

قال فى حدة :

ـ ألم يطلب يد ( نادرة ) رسميًّا ؟!

قالت فى عصبية :

ــ ونحن رفضناه .

صاح بها :

ــ أنت رفضتيه ... أنا وافقت .

انتفض جسدها ، وهى تهتف :

ــ على جثتى .

زمجر هاتفًا :

ــ ( نعيمة ) .

صرخت فى هستيرية :

ــ ماذا يا ( عمر ) ؟!.. هل ستطلقنى ، وتقطع الصلة بيننا إلى الأبد ؟!..

صاح بها فى غضب :

ــ لن أتورع عن هذا ، لو ...

قاطعتهما فجأة صرخة ارتياع هائلة ، انطلقت من بين شفتى ( نادرة ) ، فالتفتا إليها فى ذعر ، ورأياها تقف هناك شاحبة ممتقعة ، زائغة العينين ، عاجزة عن الوقوف على قدميها ، حتى أنها تستند إلى ظهر مقعد كبير ، وقد بدت أقرب إلى شبح ، منها إلى إنسان ...

وبكل لوعة الدنيا ، هرعت إليها ( نعيمة ) ، هاتفة :

ــ ( نادرة ) ... ابنتى .

أما ( عمر ) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما فى ارتياع ، وهو يحدق فى وجه ابنته ...



وفى سرعة ، احتــوت ( نعيمة ) ابنتها بين ذراعيها ؛ لتمنعها من السقوط ، فى حين تجمَّد كيان ( عمر ) كله ، فظل واقفًا فى مكانه ، عاجزًا عن الذهاب إلى حيث ابنته ، التى أجلستها ( نعيمة ) فى رفق على المقعد ، وهى تسألها :

ــ ماذا بك يا ( نادرة ) ؟!

لم تجب ( نادرة ) سؤالها ، وإنما التفتت إلى والدها ، قائلة فى صوت نافس شحوبه وجهها :

ــ أبى ... أنا موافقة .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يسألها فى صوت مبحوح :

ــ على ماذا ؟!

صمتت لحظات ، مع الغصة المؤلمة فى حلقها ، قبل أن تجيب ، فى صوت بلغ شحوبه أقصاه :

ــ على الزواج من ( وليد ) .

اتسعت عيناه مصدومًا ، فى حين هتفت ( نعيمة ) فى انفعال :

ــ مبارك يا ابنتى ... مبارك يا ( نادرة ) ... لقد أحسنت الاختيار .

أما ( عمر ) ، فلم ينبس بحرف واحد ، وإنما اتسعت عيناه عن آخرهما ، وخاصة مع تطلعه إلى وجه ابنته ...

لقد غاصت الدماء من وجهها ، وانهمرت الدموع من عينيها غزيرة ...

ولقد بدت له دموعها كالحمم ...

أو أشد لهيبًا ...

ألف مرة ..

★ ★ ★

تطلّعت ( جيهان ) ، فى مزيج عجيب من القلق والاستهتار ، إلى ( إبراهيم مكى ) ، الذى يقف أمامها ، عند مدخل جناحها الخاص بالفندق ، قبل أن تقول فى صرامة باردة :

ـ ألا تنص قواعد الفنـدق ، على عـدم صعود الضيوف إلى أجنحة الرواد ؟!

أجابها بنفس الصرامة الباردة :

ـ هذا لا ينطبق علىَّ .

قالت فى لهجة شبه ساخرة :

ـ أنت فوق القانون إذن ؟!

أجاب فى حزم :

ـ فوق كل القوانين ...

تطلعت إليه لحظات فى صمت ، وبلا أية انفعالات ، قبل أن تقول فى هدوء :

ـ على نحو رسمى أم غير رسمى يا ( إبراهيم ) بك .

لم يكن قد قدَّم نفسه لها بعد ، مما جعله يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة ، تسللت إليها نبرة غضب :

ـ من الواضح أننا نعرف بعضنا جيدًا يا مدام ( جى جى ) .



ابتسمت فى استهزاء ، قائلة :

ـ ( جيجى ) يا ( إبراهيم ) بك ... أو ( جيهان ) ، كما كنت تعرفها قديمًا .

قال فى حزم :

ـ لا شأن لى بما أصابك قديماً .

تطلعت إليه من أعلى إلى أسفل ، قبل أن تقول :

ـ أعلم هذا يا ( مكى ) بك .

استخدمت لقبه هذه المرة ؛ لكى يدرك أنها تعرفه جيدًا ، فشد قامته ، وتأهَّب الذئب فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك لم تضيعى وقتك عبثًا فى ( مصر ) .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ لم آت لأضيع وقتى .

صمت كلاهما بعدها ، وهما يتبادلان نظرة وحشية ، قبل أن يتساءل ( مكى ) :

ـ هل سنقضى الوقت كله أمام باب جناحك .

أفسحت له الطريق ، وهى تبتسم فى خبث ، فدلف إلى جناحها الفاخر ، وهو يقول :

ـ مادمنا نكشف أوراقنا على هذا النحو ، فأنا أعلم أنك هنا من أجل ( حسين البنهاوى ) .

قالت فى برود :

ـ لن أنكر هذا ... وبالذات أمام صديقه .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى خبث :

ـ وشريكه .

رمقها بنظرة نارية ، ثم أشاح عنها بوجهه ، وهو يقول :

ـ يمكنك اعتبارى صديقه اللدود .

ارتفع حاجباها فى دهشة لحظية ، ثم عادا ينخفضان ، مع قولها شبه الساخر :

ـ أمصطلح أدبى جديد هذا ؟

تجاهل تعليقها ، وهو يختار مقعدًا وثيرًا للجلوس ، قائلاً :

ـ علاقتك بالأميرة ( عايدة ) تستهدف تدمير ( حسين البنهاوى ) ... أليس كذلك ؟!

جلست قبالته ، وهى تجيب فى مقت :

ـ لو احتاج الأمر ، سأنفق آخر بنس أمتلكه ، فى سبيل رؤيته محطمًا .

مال نحوها ، قائلاً :

ـ هذا يجعلنا اثنين .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى حذر :

ـ أفخ هذا أم ماذا ؟!



تراجع فى مقعده ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، قائلاً :

ـ أية ضمانات تريدين ؟!

تطلعت إليه صامتة بضع لحظات ، قبل أن تسأله :

ـ أخبرنى لماذا تريد التخلص من ( حسين البنهاوى ) ، على الرغم من أنكما شريكين فى شركة الاستيراد والتصدير ، التى سجلتماها باسم ذلك الكلب .

غمغم :

ـ ( صلاح ) ؟!... معلوماتك أكبر مما كنت أتصوَّر يا مدام ( جيهان ) .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ المال يفتح كل الأبواب يا ( مكى ) بك ... وبخاصة فى هذا الزمن .

مال إلى الأمام ، يقول فى شىء من الحدة :

ـ معلوماتك تفوق ما يمكن أن يجلبه المال .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ ربما أنت من يجهل ما يمكن أن يجلبه المال .

والتمعت عيناها بخبث عابث مخيف ، وهى تضيف :

ـ الكثير من المال .

تراجع يراقبها فى صمت واهتمام ، قبل أن يغمغم :

ـ من حسن حظك أننا فى جانب واحد .

استعادت ابتسامتها الساخرة ، وهى تقول :

ـــ من حسن حظك أنت .

اعتدل فى حركة حادة ، توحى بأنه سيقدم على فعل اندفاعى ، إلا أنها سألته فى سرعة :

ـــ أية ضمانة ستقدمها لى ؛ لإثبات حسن نواياك ؟!

تراجع فى بطء ، وهو يسأل فى حذر :

ـــ أية ضمانة تطلبين ؟!

عادت عيناها تلتمعان ببريق وحشى مخيف ، وهى تجيب فى صوت كالفحيح .

ـــ ( صلاح ) .

وانعقد حاجبا ( مكى ) فى شدة ...

لقد اختار بالفعل حليفًا قويًا ...

ووحشيًا ...

للغاية ...

★ ★ ★

شبك ( حسين ) أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يتطلع إلى ( نعيمة ) فى ضيق وضجر ، قبل أن يقول فى صرامة مستنكرة :

ـــ أتيت من القرية إلى ( القاهرة ) ؛ لتخبرينى هذا ؟!

قالت فى توتر :

ـــ أردت الحصول على موافقتك يا ( حسين ) .



مطّ شفتيه فى ضيق واضح ، وهو يقول :

ـــ عريس تقـدَّم لخطبـة ( نادرة ) ، فما شأنى أنا ؟!... المفترض أنك ووالدها أصحاب الشأن فى هذا .

ازدردت لعابها فى توتر ، قبل أن تقول :

ـــ إنه ليس ( طارق ) .

اعتدل فى حركة حادة ، عندما ذكرت هذا ، وسألها فى توتر :

ـــ ألم يتقدَّم لخطبتها بالفعل ؟!

قالت فى عصبية :

ـــ ولكننى رفضت .

زمجر فى غضب ، قائلاً :

ـــ ألم ننته من هذا الأمر ؟!... ألم ...

قاطعته ، هاتفة فى توتر :

ـــ العريس الجديد ديبلوماسى .

هتف غاضبًا :

ـــ هذا لا يهم .

واصلت فى توتر أكثر :

ـــ وابن ( كمال ) ، شقيق ( فؤاد ) .

تراجع فى مقعده فى بطء ، متسائلاً :

ـــ ( كمال حسنين ) .

أومأت برأسها إيجابًا ، فاستغرق فى التفكير طويلاً ، حتى أنه سألته فى صوت خافت ، محاولة كسر ذلك الصمت ، الذى ضاعف من توترها :

ــ أين زوجتك ؟!

لم يجبها ...

بل ولم يبد حتى أنه سمعها ...

كان ذهنه كله منشغلاً بحسابات شديدة التعقيد ...

( كمال حسنين ) عاد من معزله ، فى عهد ( السادات ) ، وصار عضوًا فى مجلس الشعب ...

وابنه حتمًا لم ير ( نادرة ) قط ...

فلماذا يتقدَّم لخطبتها ؟!...

لماذا ؟!..

أهى محاولة للتقرب منه ، أم أنها محاولة للنيل منه ؟!...

هل يسعى ( فؤاد ) وشقيقه لتأمين نفسيهما ، عبر مصاهرة الرجل الأقوى فى ( مصر ) ، أم أنهما يبحثان عن مسمار جحا ، فى سراى ( البنهاوى ) ؟!

راح عقله يراجع كل التفاصيل ، ويدرس كل الاحتمالات ، فى صمت استغرق دقيقتين كاملتين ، قبل أن يسأل ( نعيمة ) فجأة :

ــ أين رأى ابن ( كمال ) ( نادرة ) ؟!

أجابته فى سرعة ، وكأنها كانت تنتظر السؤال :



ــ فى صورة تم التقاطها ، فى عيد ميلاد ( طارق ) ... الصورة كانت ملوَّنة ، و( فؤاد ) أراد أن يتباهى بها أمام شقيقه ، ووقع بصر ابنه ( وليد ) على ( نادرة ) ، و ...

أشار إليها بالكف عن الحديث ، وأسبل جفنيه ، وهو يستغرق فى تفكيره الصامت لحظات أخرى ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى صرامة :

ــ لماذا يا ( نعيمة ) ؟!

ارتدت فى عصبية ، متسائلة :

ــ لماذا ماذا ؟!...

زمجر ، وكأنه يحذرها من الكذب ، قبل أن يسأل :

ــ لماذا أتيت بالفعل ؟!.. للحصول على موافقتى ، أم لضمان مؤازرتى ؟!

امتقع وجهها ، وهى تغمغم منكمشة :

ــ ماذا تعنى ؟!

زمجر مرة أخرى ، قائلاً :

ــ ( نعيمة ) ... لن تأتى إلى ( القاهرة ) ، فقط للحصول على موافقتى ... اتصال تليفونى كان سيكفى ... لقد أتيت تنشدين مؤازرتى ، عندما تصرين على اختيار ( وليد ) هذا ، ورفض ( طارق ) .

ظلَّ وجهها ممتقعًا بضع لحظات ، ثم عاد يحتقن ، وهى تقول فى حدة :

ــ ابنتى لن تتزوج ابن ( فاطمة ) .

قال فى صرامة :

ــ أخبرتك ألف مرة ، إنه ابن ( حافظ البنهاوى ) .

عاد وجهها يمتقع فى شدة ، وهى تغمغم فى ارتياع :

ـ ماذا تعنى ؟!

تراجع فى مقعده فى بطء ، وهو يقول ، مستعيدًا تفكيره العميق :

ـ ليس بعد يا ( نعيمة ) ... ليس بعد .

وتضاعف ارتياعها ...

بلا حدود ...

★ ★ ★

« ولماذا الانتظار ؟!....»

ألقت ( جيهان ) سؤالها فى خبث ، على الأميرة ( عايدة ) ، التى نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، قبل أن تجيب :

ـ ( حسين ) مازال يرفض إجراء الفحوص .

مالت نحوها ، قائلة :

ـ ولكن العمر لن ينتظر ، حتى يوافق ( حسين ) باشا على عمل الفحوص ... صحيح أنك أميرة ، تجرى فى عروقك الدماء الملكية ، ولكنك فى النهاية أنثى ، تجاوزت الأربعين .

انعقد حاجبا ( عايدة ) فى شدة ، مع ذكر ( جيهان ) لعمرها ، إلا أن هذه الأخيرة واصلت بنفس الخبث :

ـ مشكلتنا كنساء ، أن قدرتنا على الإنجاب تنخفض ، عند بلوغ الخامسة والثلاثين ، وتواصل الانخفاض بعدها على نحو مخيف ، قبل أن تأتى تلك المرحلة ، التى نخسر فيها كل شىء بلا رجعة .



تضاعف توتر الأميرة ( عايدة ) ، وبدا ذلك واضحًا فى وسيلة نفث دخان سيجارتها ، وفى صوتها العصبى ، وهى تقول :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل ؟!

مالت ( جيهان ) نحوها فى شدة ، وهى تقول ، فى صوت كالفحيح :

ـ الكثير .

قالتها ، وتراجعت فى مقعدها ، ترتشف فنجان قهوتها فى هدوء واستمتاع ، فنفثت ( عايدة ) دخان سيجارتها فى عصبية أكثر ، وهى تسألها :

ـ مثل ماذا ؟!

ابتسمت ( جيهان ) ابتسامة هادئة ، أخفت بها أنياب الأفعى فى أعماقها ، قبل ان تقول :

ـ تأكَّدى أوَّلاً أن الإنجاب هو الهدف الرئيسى للزواج ، وكل أنثى قادرة عليه ، من الخطأ أن تضيع فرصتها ، تحت أى مبرر ، أيًّا كان :

ـ غمغمت ( عايدة ) فى عصبية ، وهى تطفئ سيجارتها :

ـ ماذا تريديننى أن أفعل بالضبط ؟!

اتسعت ابتسامة الأفعى ، وجيهان تجيب :

ـ لا يفل الحديد إلا الحديد .

سألتها فى عصبية أكثر :

ـ ماذا تعنين ؟!

« طلاق ؟!... »

هتف ( حسين ) بالكلمة فى غضب هادر ، وهو يرمقها بنظرة تفيض بالحمم ، والثورة ، ولكنها تماسكت فى مواجهته ، كما نصحتها ( جيهان ) ، وقالت فى عناد :

ـــ كما سمعت تمامًا يا ( حسين ) بك ... أريد الطلاق .

صاح بها فى غضب :

ـــ هل جننت ؟!

ثارت فعليًا ، وهى تصرخ :

ـــ جننت لأننى أريد أن أكون أمًا ؟!.. أهذا فى نظرك هو الجنون .

صاح :

ـــ وماذا منعك من أن تكونى ؟!

صرخت فى هستيرية :

ـــ أنت ترفض إجراء الفحوص ، على نحـــو جعلنى أوقن مـــن أنك المسئول عن عدم حملى .

صاح فى غضب :

ـــ رجولتى كاملة ، وأنت أكثر من يدرك هذا .

صرخت :

ـــ وما شأن هذا بالقدرة على الإنجاب ؟!... هل ستتعامل كفلاح عنيد ، أم كرجل يتواكب مع العصر .

أشاح بوجهه عنها فى عصبية غاضبة ، فتابعت ثائرة :



ـــ العلم أثبت أننى صالحة للإنجاب حتى الآن ... والعلم نفسه يقول : إن هذا لن يدوم طويلاً ... وأنت ترفض مجرد إجراء فحص طبى عادى ... لا تبالى بضياع حلمى وعمرى ، لمجرَّد ألا يقال أن جناب ( حسين باشا البنهاوى ) ، قد أجرى فحصًا طبيًا .

قال فى حدة :

ـــ ليس الأمر كذلك .

صرخت :

ـــ كيف هو إذن ؟!

شعر بجرح عميق فى كبريائه ، وهو يقول :

ـــ لست تفهمين شيئًا .

احتقن وجهها فى شدة ، مع قولها الغاضب :

ـــ بل أفهم يا ( حسين ) ... أفهم أنه بعد أعوام قليلة ، لن يعود باستطاعتى الإنجاب ، حتى لو أردت ... أفهم أنه إما أن تجرى الفحوص الطبية ، التى تثبت أنك قادر على الإنجاب ، وأن عدم إنجابنا هو قدر ، لا سيطرة لنا عليه ، أو تتركنى أبحث عن الإنجاب عند آخر .

التفت إليها فى غضب وحشى ، صارخًا :

ـــ آخر ؟!

قالت فى شراسة مماثلة :

ـــ سأفعل أى شىء ، من أجل أن أصبح أمًّا ، و ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، وهى تطلق صرخة قوية ، عندما قاطعها ( حسين ) بأمر ، لم تتخيَّل يومًا أن يفعله ...

أمر أودعه كل غضبه و ثورته ...

صفعة ...

صفعة زلزلت كيانها ...

من أعمق أعماقها ...

★ ★ ★

انتظر ( طارق ) طويلاً ، عند الساقية القديمة ...

انتظر ...

وانتظر ...

وانتظر ...

ولكن ( نادرة ) لم تأت ...

وبقدر ما شعر بالقلق ، من عدم حضورها ، كان قلبه ينبض بحزن شديد عميق ، لم يدر له سببًا لحظتها ...

( نادرة ) لم تأت ، وهذا قد يعنى الكثير ، و ...

« أنت هنا ؟!... »

سمع صوت عمه ( مفيد ) ، فالتفت إليه ، قائلاً فى خفوت حزين :

ــ أنا دومًا هنا يا عمى .

جلس ( مفيد ) إلى جواره ، ولفهما الصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول :



ــ عندما كنت فى مثل سنك ، كنت التقى أحيانًا بـــ ( مديحة ) هنا .

أومأ ( طارق ) برأسه متفهمًا ، دون أن ينبس ببت شفة ، فربت عليه ( مفيد ) مشفقًا ، وهو يتابع :

ــ وعندما خسرت ( مديحة ) ، تصوَّرت أن الدنيا قد انتهت ، ولكن الحياة استمرَّت .

لم يرق هذا الحديث لـــ ( طارق ) ، فسأله :

ــ مازلت تتعامل مع ( جودة ) يا عمى ؟!

بدت الدهشة على ( مفيد ) ، وهو يغمغم :

ــ ما مناسبة السؤال ؟!

غمغم ( طارق ) ، وهو يشيح بوجهه :

ــ رأيتك أمس تلتقى به ، فى حديقة السراى ، بعد منتصف الليل .

حمل صوت ( مفيد ) توتره ، وهو يقول :

ــ رأيتنى ؟!

التفت إليه ( طارق ) متسائلاً فى عتاب :

ــ لماذا يا عمى ؟!

لم يستطع ( مفيد ) الإجابة مباشرة ، وزاغت عيناه لحظة ، قبل أن يخفضهما ، مغمغمًا :

ــ مازلت أشعر أحيانًا بالاحتياج ، لما يذهب عقلى .

قال ( طارق ) :

ــ السم لا يمكن أن يكون علاجًا .

أجابه فى سرعة :

ــ ولكنه مخدر وقتى .

قال ( طارق ) فى إصرار :

ــ مخدر تغيب معه عن الوعى ، ثم تستيقظ منه ، ليصدمك العالم بواقعه المحيط بك .

صمت ( مفيد ) تمامًا ، وقد شعر بالخجل من الموقف ، الذى تبدَّلت فيه الأدوار ، فجلس هو ، الذى تجاوز الثلاثين ، يستمع إلى نصيحة ابن شقيقه الصغير ...

الأهم أنها نصيحة صادقة ...

وحقيقية ...

ذلك السم يذهب عقله لساعات ، ثم يعود العالم يصدمه بواقعيته فى عنف ...

ولكنه اعتاده بشدة ...

أو ، لو شاء الدقة ، أدمنه ...

انطلقت زغرودة من بعيد ، انتزعت كلاهما من أفكاره ، فاعتدل ( طارق ) يهم بالنهوض ، وهو يتساءل :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

أمسك ( مفيد ) كفه ، وكأنما يدعوه لمعاودة الجلوس ، وهو يقول :

ــ هذا ما أتيتك من أجله يا ( طارق ) .



اختلج قلب الشاب بين ضلوعه ، وهو يتساءل :

ــ ماذا يا عماه ؟!

ازدرد ( مفيد ) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول :

ــ عمتك ( نعيمة ) زارتنا اليوم فى السراى ، لدعوتنا .

سأله ( طارق ) ، وقلبه ينبض فى قوة :

ــ إلى ماذا ؟!

صمت ( مفيد ) لحظات ، استجمع خلالها إرادته ، قبل أن يجيب فى صوت مبحوح :

ــ حفل زفاف ( نادرة ) .

واتسعت عينا الشاب ، وسقط قلبه من بين ضلوعه ...

فقد كانت صدمة قاسية ...

للغاية .

★ ★ ★

# 16 ـ أرض العــدو ..

انهار من الدموع ، انهمرت من عينى ( طارق ) ، فى ذلك اليوم ...

شلال فاض وانسكب من قلب جريح ، كسير ، ممزَّق ...

زفاف ( نادرة ) تم فى حفل كبير ، حضرته الأسرة كلها ...

فيما عداه ...

لم يستطع رؤيتها فى ذراع رجل آخر ...

لم يحتمل ...

ووحده ، جلس فى شرفة السراى ، يسكب دموع القهر والمرارة ...

فى تلك الليلة ، ومع أصوات الحفل ، التى تأتيه من بعيد ، تفجَّرت فى كيانه كله مشاعر جديدة ...

مشاعر قاسية ...

مؤلمة ...

ملتهبة ...

فيَّاضة ...

مشاعر كراهية ...

فى تلك اللحظة ، شعر أنه لا ينتمى إلى عائلة ( البنهاوى ) ...

وأنه يبغض كل ما ينتمى إلى ( البنهاوية ) ...



عماه ...

عمَّاته ...

وحتى أرض سراى ( البنهاوى ) ...

وبالذات عمه ( حسين ) ، وعمته ( نعيمة ) ...

عمه ( حسين ) يعلم بحبه لــ ( نادرة ) ، ولكنه تغاضى عن هذا ، واختار مصالحه الشخصية ، ليأمن شر شــقيق ( فــؤاد ) ، زوج عمتــه ( ناهد ) ...

وعمته ( نعيمة ) ، التى تبغض أمه ، كما لا تبغض الموت نفسه ...

تبغضها حتى أنهــا دعتها وأبيه ، لأوَّل مــرة ، فقط لترى الحسرة فى عينى أمه ...

الكراهية والبغض صارا الأساس ، الذى ترتفع فوقه عائلة ( البنهاوى ) وتعلو ...

الكراهية ، والبغض ، والمصالح ...

ولقد تصوَّر طويلاً أنه يستطيع أن ينأى بنفسه عن تلك المشاعر ...

ولكنها لعنة ( البنهاوية ) ، كما وصفها عمه ( مفيد ) ...

تلك اللعنــة ، التى تصيب كل من يحب ، مــن عائلة ( البنهاوى ) ...

بل وحتى كل من يحبه فرد من عائلة ( البنهاوى ) ...

( نادرة ) تساق اليوم إلى مذبح الزوجية ، لأنه أحبها ...

ولأنه ابن ( فاطمة عبد الحميد ) ، ابنة كلاف عائلة ( البنهاوى ) السابق ...

لا مجال للحب فى عائلة ( البنهاوى ) ...

لا مجـال للسلام فى أرضهم ، التى بدت له فى هـذه اللحظة ، أرض العـدو ...

إنه لم يتصورّ قط أن جسده كله ، يمكن أن يحوى كل هذا القدر من الدموع ، التى راحت تنسكب من عينيه ، حتى سمع موسيقى الزفاف من بعيد ...

عندئذ توقفت الدموع من عينيه ...

جفت الدموع ...

وجفت مشاعره ...

كيانه كله أصيب بحالة من الجمود ، كما لو أنه قد تحولّ إلى تمثال من الشمع ، مع ذلك الهدوء ، الذى ساد القرية ، عقب الزغاريد ، التى تلت موسيقى الزفاف .

الآن لم تعد ( نادرة ) له ...

لقد صارت لرجل آخر ...

لم تعد له إلى الأبد ...

وربما كان جمود مشاعره هذا وسيلة نفسية دفاعية ؛ لمقاومة رغبة قلبه فى الانهيار ...

ربما ...



غلفته حالة من الصمت والسكون والجمود ، لوقت لم يدر كم طال ، حتى شعر بيد توضع على كتفه ، وسمع صوت أمه ، تسأله فى حنان مشفق حزين :

ـ لك الله يا ولدى .

حاول أن يجيب بشىء ...

ولكن تلك الغصة فى حلقه منعته من الكلام ، واحتبست الكلمات فى كيانه ، فجلست ( فاطمة ) إلى جواره ، تربت عليه مشفقة ، وهى تتمتم فى ألم وأسى :

ـ كل شىء نصيب .

غمغم فى صعوبة :

ـ أجل .

قاوم فى استماتة تلك الغصة فى حلقه ؛ ليقول فى صوت متحشرج :

ـ أين أبى ؟!

أجابته فى خفوت :

ـ عمك ( مفيد ) أوصله إلى حجرته .

غمغم بنفس الحشرجة :

ـ وماذا عن عمى ( حسين ) ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

ــ لقد عاد إلى ( القاهرة ) ، فور انتهاء حفل الزفاف .

تمتم :

ــ مع الأميرة ( عايدة ) ؟!

هزّت رأسها قائلة :

ــ الأميرة لم تأت .

ثم مالت نحوه ، مضيفة فى لهجة متوترة نوعًا ما :

ــ ومن حسن الحظ أن عمك ( حسين ) وطاقم حراسته كانوا هنا .

التفت إليها يسألها بلا مشاعر :

ــ ولماذا ؟!

اعتدلت مجيبة ، بصوتها الخشن الغليظ :

ــ أولئك الشباب ، الذين يطلقون لحاهم ، كانوا يحومون حول الحفل طوال الوقت ، والغضب يطل من عيونهم ، ولولا طاقم حراسة عمك ( حسين ) ، لانقضوا علينا ، وأفسدوا الحفل ، كما فعلوا فى حفل زفاف ( نبوية ) ، ابنة الحاج ( سيد ) .

تمتم بلا مشاعر :

ــ أحدهم أوهمهم أن الموسيقى حرام .

قالت فى حدة ، زادت من خشونتها وغلظتها :

ــ وهل العنف والغضب حلال ؟!



هزّ كتفيه دون أن يجيب ، فزفرت قائلة من حنق :

ــ لست أدرى لماذا أعادهم ( السادات ) إلى الحياة العامة ... أمثالهم لا يستحقون سوى السجن .

لم يكن مستعدًا لمناقشة أمور سياسية ، فى هــذه الليـلة بالذات ، فلوّح بيده ، وأشاح بوجهه فى صمت ، إلا أنها واصلت بنفس الحنق :

ــ ألم يدرك أن قتلهم للشيخ ( الذهبى ) مجرد بداية ؟!

غمغم فى صعوبة :

ــ أمى ... أنا لست ...

لم يبد حتى أنها سمعته ، وهى تواصل :

ــ هل سينتظر ، حتى يقتلونه هو نفسه ؟!

لم يجد وسيلة لمنعها من الضغط على أعصابه ، سوى أن ينهض ، وهو يقول فى توتر :

ــ سأذهب للنوم .

راقبته بقلب كسير ، وهو ينصرف من الشرفة ، ثم تنهّدت مغمغمة فى أسى :

ــ لك الله يا ولدى ... كسروا قلبك الصغير ؛ لمجرّد أنك ابنى .

ثم نهضت ، تدير عينيها فيما حولها ، وكأنها تخترق الظلام ببصرها ، وهى تضيف فى غضب :

ــ ولكنهم يوما ما سيدفعون الثمن ... يومًا ما ، ستكون كل أرض ( البنهاوية ) ملكًا لك .

ومن قلبها ، انحدرت دمعة ألم ...

ملتهبة ...

★ ★ ★

« الأميرة ( عايدة ) ؟!...»

غمغم ( مكى ) بالكلمة فى دهشة حقيقية ، وهو يحدق فى الأميرة ( عايدة ) ، التى تقف أمام منزله ، والتى قالت فى شىء من الحدة :

ــ أفسح الطريق .

أفسح لها الطريق بالفعل ، وهو يسألها فى قلق :

ــ هل يعلم ( حسين ) بك أنك هنا ؟!

دلفت إلى المنزل ، ودفعت الباب بقدمها ؛ لتغلقه خلفها ، ثم جلست على الأريكة الكبيرة ، وأشعلت سيجارتها فى عصبية ، وهى تجيب :

ــ ( حسين ) فى حفل زفاف ابنة شقيقته .

جلس أمامها ، وهو يقول فى حذر :

ــ ولكنه لو علم أن . .

قاطعته فى حدة :

ــ لن يعلم ...

ونفثت دخان سيجارتها ، على نحو أوضح مدى توترها ، فحاول هو أن يسترخى فى مقعده ، وهو يسألها :



ــ ولكن كيف عرفت عنوان منزلى يا سمو الأميرة ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى فى توتر ، وهو تجيب :

ــ لدى وسائلى .

أطلت نظرة الذئب من عينيه ، وهو يميل إلى الأمام فى بطء ، قائلاً فى لهجة ذات إيقاع خاص :

ــ وهل تحمل هذه الوسائل اسم مدام ( جى جى ) ؟!

انعقد حاجباها الجميلان فى شدة ، وهى تقول :

ــ لا شأن لك بهذا .

ابتسم ابتسامة ظافرة ، وهو يتراجع فى مقعده مرة أخرى ، متسائلاً :

ــ فليكن ... بم يمكن أن أخدمك يا سمو الأميرة ؟

صمتت لحظات ، ثم أطفأت سيجارتها بحركة عنيفة ، قبل أن تنتهى ، ورفعت عينيها إليه ، قائلة :

ــ أريد العودة إلى ( باريس ) .

داعب ذقنه بسبَّابته وإبهامه ، قبل أن يقول فى حذر :

ــ ( السادات ) ألغى القيود على السفر ، و ...

قاطعته فى عصبية :

ــ ( حسين ) يحتفظ بجواز سفرى الفرنسى فى خزانته ، واستخرج لى جواز سفر مصرى .

قال فى بطء :

ــ ومع جواز السفر المصرى ، لا يمكنك مغادرة البلاد ، دون موافقة الزوج .

قالت فى حدة ، وهى تشعل سيجارة جديدة :

ــ هكذا تقــول قوانينكم العقيمــة ، التى لا تحتــرم المرأة وحريتها .

ران عليهما الصمت لحظات ، وهو يتطلع إليها فى حين تفادت هى نظراته ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، قبل أن يقول بلهجة شبه آمرة :

ــ أطفئى هذه السيجارة .

حدّقت فيه مستنكرة ، فأضاف فى لهجة آمرة صريحة :

ــ أطفئيها .

تملكها عناد الأميرات لحظة ، ثم لم تلبث أن أدركت أنها تحتاج إليه ، وأنه لكل شىء ثمن ، فأطفأت سيجارتها فى توتر عصبى ، مما جعله يبتسم فى ظفر ذنبى ، وهو يقول :

ــ هل تسعين للحصول على موافقة مزوَّرة ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ لو أننى زوجــة عادية لفعلت ، ولكن زوجــة ( حسين البنهاوى ) ، لا يمكنها أن تغادر البلاد ، دون أن يتم إخطاره بهذا .

شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ يتبقى أمامنا سرقة جواز سفرك الفرنسى من خزانته .



هتفت :

ــ بالضبط .

اتسعت ابتسامته الذئبية ، وهو يسألها :

ــ وما الثمن ؟!

غمغمت فى عصبية :

ــ الثمن ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ــ الثمن الذى ينبغى أن تدفعه الأميرة ( عايدة ) ، جميلة جميلات العصر الملكى ؛ لاستعادة جواز سفرها الفرنسى ، الذى سيؤمن لها الفرار من ( مصر ) .

اتسعت عيناها ، وضمَّت صدرها بيدها ، قائلة بكل التوتر :

ــ ( مكى ) بك ... لعلك تشير إلى ...

قاطعها فى حزم :

ــ ليس ما يدور فى ذهنك بالتأكيد .

أفلتت صدرها ، وهى تسأله :

ــ ما الثمن الذى تريده إذن ؟!

صمت لحظات ، وهو يتطلع إليها ، قبل أن يقول :

ــ هذا يتوقف على سبب رغبتك فى الفرار .

أجابته فى عصبية ، وهى تمد يدها إلى علبة سجائرها :

ــ ذلك الفلاح الحقير صفعنى .

غمغم فى دهشة :

ــ صفعك ؟!

لم يبد له السبب كافيًا لكل هذا البغض ، فاستطرد فى حذر :

ــ أبسبب عدم رغبته فى إجراء فحوص الإنجاب ؟!

انتفض جسدها ، وهى تحدق فيه بذهول ، فاتسعت ابتسامته الذئبية أكثر وأكثر ، وهو يضيف :

ــ من حق كل أنثى أن تكون أمًا ، مادامت قادرة على هذا .

قالت فى حدة :

ــ لن أسألك كيف علمت هذا ، ولكنه ليس من شأنك .

مال نحوها ، قائلاً فى اهتمام :

ــ العقبة التى تقف فى طريقك إذن هى ( حسين البنهاوى ) .

غمغمت فى مقت :

ــ لو أن الأمر بيدى ، لقتلته بنفسى .

التمعت عيناه ، وهو يقول :

ــ اتفقنا إذن .

انعقد حاجباها ، وهى تسأله فى عصبية :

ــ على ماذا ؟!

مال نحوها كثيرًا ، وبدا صوته وكأنه قادم من أعماق الجحيم ، وهو يجيب :



ــ الثمن .

واتسعت عيناها الجميلتان عن آخرهما ، فى حين تراجع هو ، والتماعة عينيه تتزايد ...

وتتزايد ...

وتتزايد ...

★ ★ ★

اندفع ( عبد الحكيم ) داخل حجرة ( مفيد ) بالمصنع ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ هل رأيت ما فعله ( السادات ) ؟!

رفع ( مفيد ) عينيه عن الأوراق ، متسائلاً فى قلق :

ــ لم أستمع إلى خطابه اليوم ... هل فجَّر مفاجأة جديدة ؟!

هتف ( عبد الحكيم ) ، وهو يلقى جسده على مقعد كبير :

ــ بل مفاجأة صادمة .

أزاح ( مفيد ) الأوراق جانبًا ، واستند بمرفقيه على سطح المكتب ، متسائلاً :

ــ إلى هذا الحد ؟!

مال ( عبد الحكيم ) نحــوه ، وبدا وكأنه يلهث ، وهــو يقول بنفس الانفعال :

ــ لقد أعلن أنه مستعد للذهاب إلى ( إسرائيل ) ، لو تلقى دعوة بهذا .

اتسعت عينا ( مفيد ) ، وهو يهتف بكل الدهشة :

ــ ( إسرائيل ) ؟!... أهذا معقول ؟!

هتف ( عبد الحكيم ) :

ــ تصوَّر ... ( إسرائيل ) التى تعلمنا كراهيتها ، منذ عام ثمانية وأربعين ، يقول ( السادات ) : إنه مستعد لزيارتها .

تراجع ( مفيد ) فى مقعده فى بطء ، وهو يحدق فى ( عبد الحكيم ) ، وكأنه لا يصدق ما سمعه من بين شفتيه ...

( إسرائيل ) ؟!...

العدو الأزلى ؟!...

كيف ؟!...

وماذا عن الدماء التى أريقت ؛ لتروى رمال ( سيناء ) ؟!...

ماذا عن سنوات الحرب ، وضحايا التفجيرات ؟!..

ماذا عن عمال مصنع ( أبى زعبل ) ، وأطفال ( بحر البقر ) ، وشهداء سبعة وستين ، وثلاثة وسبعين ؟!...

ماذا ؟!...

« الرجل جن ولا شك ... »

هتف بها ( عبد الحكيم ) ؛ لينتزع ( مفيد ) من أفكاره ، فاعتدل يقول فى توتر :

ــ ربما هو مجرد قول لا يعنيه .



قال ( عبد الحكيم ) مستنكرًا :

ــ لا يعنيه ؟!... ( السادات ) ثعلب كبير ، لا ينطق شيئًا ، إلا بعد أن يديره فى مخه جيدًا .

صمت ( مفيد ) لحظة ، ثم قال فى تردد :

ــ لقد قالها ، ولكن يبقى السؤال الأهم .

مال ( عبد الحكيم ) نحوه ، وكأنه ينتظر السؤال ، فمال ( مفيد ) عبر مكتبه بدوره ، وسعل مرتين ، احتقن خلالهما وجهه ، قبل أن يقول :

ــ هل سيستجيب الإسرائيليون ؟!

« لقد أرسلوا دعوة رسمية يا سيادة الرئيس ... »

قالها ( حسين ) فى قلق واضح ، وهو يمسك الدعوة الإسرائيلية ، أمام الرئيس ( السادات ) ، الذى بدا هادئاً ، وهو يقول :

ــ اطلب من ( عزمى ) أن يتم الإجراءات المطلوبة .

لم يحمل صوته ذرة من المفاجأة ، وكأنه كان ينتظر تلك الدعوة ، ولم تكن لديه أية شكوك فى وصولها ، فغمغم ( حسين ) فى توتر :

ــ إجراءات ماذا يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه ( السادات ) فى صرامة :

ــ السفر إلى ( إسرائيل ) .

كانت أوَّل مرة يتحدث فيها ( السادات ) إليه بتلك الصرامة ، مما جعله يغمغم فى توتر :

ــ فورًا يا سيادة الرئيس ... سأبلغ الأمن أيضًا ؛ لتأمين الـ...

قاطعه ( السادات ) ، فى صرامة أكثر :

ـ لا شأن لك بعملية التأمين .

تراجع ( حسين ) مصدومًا ، وهو يشعر بقلبه يكاد يثب من بين ضلوعه ...

ماذا حدث ؟!...

لماذا يعامله الرئيس بهذا الأسلوب الجاف ؟!

ماذا تغيَّر ؟!...

أو ماذا وصله ؟!...

لم يكن الوقت مناسبًا لطرح مثل هذه الأسئلة ، لذا فقد تراجع ( حسين ) ، وهو يغمغم فى توتر ، لم ينجح فى إخفائه :

ـ كما تأمر يا فخامة الرئيس ... كما تأمر .

ولكنه ما أن أبلغ ما لديه ، وعاد إلى مكتبه ، حتى التقط سمَّاعة هاتفه ، وطلب رقم ( مكى ) ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى قال فى توتر :

ـ ( إبراهيم ) ... أريد أن ألتقى بك الليلة .

« أظنك تبالغ فى الأمر يا ( حسين ) بك ...»

قالها ( مكى ) فى هدوء ، وهما يجلسان فى منزله ، فى تلك الليلة ، فهزَّ ( حسين ) رأسه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ لست أبالغ يا ( إبراهيم ) ... إنك لن تتصوَّر تلك الصرامة الجافة ، التى عاملنى بها الرئيس اليوم .



ابتسم ( مكى ) ابتسامة هادئة فى ظاهرها ، وكبيرة مقهقهة فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ الموقف ليس عاديًا ، والرئيس يواجه الكثير من الضغوط الداخلية والخارجية ... كل الناصريين يهاجمونه فى شراسة ، منذ أعلن استعداده السفر إلى ( إسرائيل ) ، ونصف المجتمع على الأقل وصف موقفه بالخيانة ، والكثير من الدول العربية مصدومة ، والفلسطينيون ...

قاطعه ( حسين ) فى عصبية :

ـ أدرك كل هذا يا ( مكى ) ، ولكن ...

مال ( مكى ) بحركة سريعة ، يسأله :

ـ ولكن ماذا ؟!... هل تصوَّرت أن الرجل جدار صلب ، يمكنه احتمال الضربات إلى ما لا نهاية .

انعقد حاجبا ( حسين ) ، وهو يقول :

ـ الرئيس أصلب مما يتصورون بكثير .

أشار ( مكى ) بيده ، قائلاً :

ـ ولكنه مازال بشريًا ، والضغوط عليه أكبر من أن يحتملها جبل .

صمت ( حسين ) طويلاً ، يدرس الأمر فى ذهنه ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا فى صوت ، لم يفارقه توتره :

ـ ربما .

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ ( صلاح ) أخبرنى أنك طلبت منه سحب الرصيد كله ، وتسليمه لك .

ابتسم ( مكى ) ، مغمغمًا :

ــ واضح أنك على اتصال مستمر به .

انعقد حاجبا ( حسين ) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أليس هذا ما يفترض ؟!

اتسعت ابتسامة ( مكى ) ، وهو يجيب :

ــ بلى .

ثم نهض إلى دولاب صغير ، التقط منه مظروفًا ، عاد به إلى ( حسين ) ، وهو يقول :

ــ هذا إيصال إيداع نصيبك كله ، فى ذلك البنك فى ( زيورخ ) . فتح ( حسين ) المظروف ، وألقى نظرة على الإيصال ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ــ ولكن لماذا ؟!

عاد ( مكى ) إلى مقعده ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

ــ الحذر أفضل ، مع شخص مثله .

اعتدل ( حسين ) ، يسأله فى قلق :

ــ ألديك ما يريبك بشأنه ؟!

صمت ( مكى ) ، وكأنه يدرس الإجابة فى رأسه ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلاً فى تردد :

ــ ليست لدى أدلة ملموسة ، ولكن ...



بتر عبارته على نحو أثار اهتمام ( حسين ) أكثر ، وجعله يسأل :

ــ ولكن ماذا ؟!

صمت ( مكى ) لحظات ، ثم عاد يشير بيده ، قائلاً :

ــ أمهلنى بضعة أيام ، وسأخبرك .

ازداد انعقاد حاجبى ( حسين ) ، وهو يسأله :

ــ هل تنصح باستبعاده ؟!

هزّ ( مكى ) رأسه نفيًا فى بطء :

ــ ليس بعد .

ثم اعتدل يسأل فى اهتمام ، وكأنما يريد أن يبعد ذهن ( حسين ) عما ألقاه فى عقله :

ــ هل ستصحب الرئيس إلى ( تل أبيب ) ؟!

نجح أسلوبه فى تحويل دفة عقل ( حسين ) ، وهو يهز كتفيه ، مجيبًا :

ــ أعتقد هذا ... أنا خزانة معلوماته .

ذكره لفظ ( خزانة ) ، جعل ( مكى ) يبتسم على الرغم منه ، وهو يقول :

ــ أظنها ستكون زيارة تاريخية .

أشار ( حسين ) بيده ، مغمغمًا :

ــ إنها كذلك بالتأكيد .

ثم نهض ، مستطردًا :

ــ وهذا يستدعى أن أتواجد فى مكتبى طوال الوقت ؛ فربما يحتاج سيادة الرئيس إلى شىء ما .

غمغم ( مكى ) :

ــ هذا أفضل بالتأكيد .

كان هذا آخر ما قاله ، قبل أن ينصرف ( حسين ) ، ولكن ما أن أغلق هذا الأخير الباب خلفه ، حتى التقط ( مكى ) سمّاعة هاتفه ، وطلب رقمًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثته ، حتى أضاف نبرة خشنة إلى صوته ، وهو يقول :

ــ هل يمكننى التحدث إلى سمو الأميرة ؟!... أنا ( عبده ) ... حارس أمن الفندق .

مضت لحظات ، قبل أن يسمع صوت ( عايدة ) ، تسأل فى حيرة :

ــ ( عبده ) من ؟!

أجابها فى صرامة :

ــ إنه أنا ... خادمتك ( هند ) أجابت الهاتف ، ولن أسمح بأن تصبح ثغرة كبيرة فى العملية .

غمغمت فى عصبية :

ــ معذرة ... لقد ...

قاطعها فى حزم :

ــ لا بأس ... أردت فقط أن أخبرك أننى حدّدت ساعة الصفر .



تبادلا حديثًا قصيرًا بعدها ، ثم أنهى هو المحادثة ، وتراجع فى مقعده ، والتمعت عيناه فى شدة ...

لقد استخدم كل عبقريته وخبرته ، لترتيب هذه الضربة ...

ضربة عنيفة قاسية مزدوجة ...

ضربة معدة بمهارة فائقة ...

ووحشية ...

للغاية .

★ ★ ★

# 17 ـ الجولة الأولى ..

زيارة ( السادات ) لـ ( إسرائيل ) ، كانت حدثًا هزَّ العالم كله ...

لأوَّل مرة فى التاريخ ، يزور رئيس عربى ( إسرائيل ) ، زيارة رسمية معلنة ...

وسواء من أيَّدوا هذه الزيارة أو عارضوها ، أدركوا أنها لحظة تاريخية ، ستضع حتمًا حدًّا فاصلاً ، بين ما قبلها وما بعدها ...

( إسرائيل ) والعالم كله تقريبًا ، باستثناء الدول العربية ، أيَّدوا الزيارة ، وأكَّدوا أنها أعظم خطوة يخطوها رئيس عربى ، فى طريق السلام ...

( فلسطين ) والدول العربية رفضتها ، وهاجمتها ، واتهمت ( السادات ) بالخيانة والعمالة ، وبيع القضية الفلسطينية ...

وفى الكنيست الإسرائيلى ، وقف ( السادات ) يلقى كلمته ...

يلقيها وسط ( إسرائيل ) ، وتحت علم ( مصر ) ...

وبغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف معها ، فقد كانت كلمة قوية ... واضحة ...

وصريحة ...

« الإسرائيليون انبهروا بكلمة الرئيس ...»

قالها ( لطفى ) ، مدير مكتب ( حسين ) ، والذى رافقه فى زيارة الرئيس ، فابتسم ( حسين ) ابتسامة رصينة ، وهو يقول :



ـ يكفى أن العلم المصرى قد ارتفع فى قلب ( إسرائيل ) ، وأن آلاف الإسرائيليين قد اصطفوا لتحية الرئيس .

تردَّد ( لطفى ) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ولكن قد يؤدى هذا إلى ارتفاع العلم الإسرائيلى يومًا فى ( مصر ) يا ( حسين ) بك .

انعقد حاجبا ( حسين ) فى ضيق ، وهو يحاول طرد تلك الصورة من ذهنه ، مغمغمًا :

ـ لكل شىء بداية .

زفر ( لطفى ) ، وهو يغمغم :

ـ ستكون بداية مؤسفة .

ازداد انعقاد حاجبى ( حسين ) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كفى ... الزيارة انتهت بكل الأحوال ، وسنعود بعد ساعات إلى ( القاهرة ) ، و ...

قاطعته دقات على باب حجرة الفندق ، فأشار إلى ( لطفى ) ، الذى أسرع يفتح الباب ؛ ليجد أحد خدم الفندق ، يقول فى احترام :

ـ مكالمة من باريس لأدون ( بنهاوى ) ، ونستأذن فى تحويلها إلى هاتف الحجرة .

التفت ( لطفى ) إلى ( حسين ) ، الذى غمغم فى توتر :

ـ من ( باريس ) ؟!.. وكيف هنا ؟!.. من يعلم ؟!..

استغرق لحظات فى التفكير ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً بالعبرية :

ــ لا بأس .

ابتسم خادم الفندق الإسرائيلى ، وهو يومئ برأسه ، وتراجع ليبلغ المسئول ، فى حين أشار ( حسين ) إلى ( لطفى ) ، قائلاً فى صرامة متوترة :

ــ سأتلقى المكالمة وحدى .

أسرع ( لطفى ) يغادر الحجرة ، ويغلق الباب خلفه ، فى حين انتظر ( حسين ) معقود الحاجبين ، حتى ارتفع رنين هاتف حجرته ، فالتقط سماعته ، قائلاً بالفرنسية :

ــ مرحبًا ... أنا ( حسين البنهاوى ) ، و ...

انتفض جسده كله ، عندما سمع صوت الأميرة ( عايدة ) ، تجيبه بالعربية ، فى لهجة ساخرة شامتة :

ــ اطمئن يا حبيبى ... لن أخطئ معرفة صوتك .

هتف بكل الدهشة :

ــ ( عايدة ) ؟!... مِن أين تتحدثين ؟!

أجابته بنفس اللهجة :

ــ من مقهى فى ( الشانزليزيه ) ... استمتع بالهواء النقى ، مع صديقى العزيز ( جان ) .

صرخ بكل غضبه :



ــ أنت كاذبة .

سمعها تطلق ضحكة عابثة ساخرة ، قبل أن تجيب :

ــ يالك من متعجرف مغرور !! ... دومًا تتصوَّر نفسك أكثر أهل الأرض براعة ودهاءً ... ولكننى أيها الفلاح ، أرتب هذا منذ فترة .

كاد يعتصر سمّاعة الهاتف بأصابعه ، وهو يصيح بها :

ــ ( عايدة ) ... لا وقت لهذا العبث .

أطلقت ضحكة عابثة أخرى ، قبل أن تقول :

ــ أرأيت كيف يتفوَّق ذكاء الأميرات على خبث الفلاحين ... غرورك جعلك تحتفظ بجواز سفرى الفرنسى فى خزانة المنزل ؛ لأنك لم تتصوَّر إمكانية اقتحامها ، أو أن يجرؤ شخص ما على فعلها .

احتقن وجهه فى شدة ، وانتقل احتقانه إلى صوته ، وهو يقول :

ــ هل سرقت خزانتى ؟!

أجابته فى شماتة متحدية :

ــ أخذت جواز سفرى ، وبعض الأوراق الهامة ، كتأمين لمستقبلى ، وضمان لعدم إقدامك على خطوة حمقاء لإعادتى ، كما فعلت فى المرة السابقة .

كرَّر فى صوت مختنق :

ــ سرقت خزانتى يا ( عايدة ) ؟!

واصلت ، وكأنها لم تسمعه :

ــ بعض هذه الأوراق تحمل تجاوزات خطيرة ، لو بلغت ( السادات ) ، فسينتهى مستقبلك ، وستعود مجرد فلاح كما بدأت .

شعر بكيانه كله ينهار ، حتى أنه لم ينبس ببنت شفة ، فى حين واصلت هى ، وقد حمل صوتها مقتًا وشراسة :

ــ تلك الأوراق ستبقى معى يا ( حسين ) بك ، ولن أرسلها إلى ( السادات ) ، لو أنك نفذت شرطى الوحيد .

همهم بكلمة غير مفهومة ، فأضافت فى صرامة شرسة :

ــ أن تطلقنى .

اعتصر القهر قلبه ، وأعجزه عن النطق ، وشعر بخدر يسرى فى أطرافه ، وهى تستطرد ، وقد استعادت لهجتها الساخرة العابثة :

ــ وهذا من أجل سمعتك وكرامتك ؛ فمنذ الليلة ، سأكون بين ذراعى ( جان ) .

ووثبت الشراسة مع المقت إلى صوتها مرة أخرى ، مع إضافتها :

ــ وسأنجب منه ابنًا .

قالتها ، وأنهت الاتصال فى عنف ، فانتفض جسده كله ، واحتقن وجهه فى شدة ، وشعر بكيانه كله ينهار ...

ينهار تمامًا ...

« إنه محترف ... »

قالها ( مكى ) ، وهــو يفحص الخزانة المفتوحة ، فى حجــرة نوم ( حسين ) ، الذى بدا مستسلمًا عصبيًا ، وهو يسأله :



ــ أأنت واثق ؟!

أشار ( مكى ) بسبَّابته ، قائلاً :

ــ كل الثقة ... هذا عمل محترف ولاشك ... لقد استخدم سمَّاعة طبية ، لتحديد الأرقام السرية ... لقد ترك بوقها هذا الأثر هنا ... ثم أتلف قفل الخزانة بآلة حادة رفيعة .

غمغم ( حسين ) فى انكسار :

ــ وكل هذا بمعرفة ( عايدة ) ومباركتها .

صمت ( مكى ) ، وهو يتطلع إليه ، متظاهرًا بالتعاطف ، وإن كان الذئب فى أعماقه يطلق ضحكة ساخرة عالية ظافرة ، قبل أن ينقل التعاطف الزائف إلى صوته ، وهو يسأله :

ــ هل طلقتها كما طلبت ؟!

أومأ ( حسين ) برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم :

ــ لم تترك لى الخيار .

صمت لحظة ، ثم استدرك فى غضب :

ــ رجولتى لم تسمح لى بالإبقاء على زوجة ، تحيا بين ذراعى رجل آخر .

ابتسم ( مكى ) ابتسامة صغيرة ، على الرغم منه ، قبل أن يخفيها فى سرعة ، وهو يقول :

ــ من الواضح أنها قد دبَّرت كل هذا منذ فترة ... لقد باعت البوتيك لمدام ( جى جى ) منذ شهرين ، وسحبت كل رصيدها من البنوك ، و ...

هتف ( حسين ) مستنكرًا :

ــ لــ( جيهان ) ؟!... تلك اللعينة .

وضع ( مكى ) يده على كتفه ، قائلاً :

ــ أنصحك ألا تحاول المساس بها .

انتفض فى غضب ، هاتفًا :

ــ ولماذا ؟!

مال نحوه قائلاً ، فى لهجة بذل قصارى جهده ، حتى لا تفضحه شماتته :

ــ لقد أنفقت الكثير من الأموال ، فى الفترة السابقة ، على مشروعات خيرية ، ترعاها السيدة الأولى ... ومع حضورها كل المناسبات ، صارت صديقة شخصية للسيدة الأولى .

ثم مال أكثر ، مضيفًا فى لهجة كالفحيح :

ــ صديقة من الخطر المساس بها .

احتقن وجه ( حسين ) ، وهو يغمغم :

ــ يا للأفعى !!

ثم انتفض جسده مرة أخرى ، وهو يقول فى انفعال :

ــ ولكن مهلاً ... كيف باعت ( عايدة ) البوتيك لــ ( جيهان ) ؟!... المفترض أننى أمتلك نصفه .

تظاهر ( مكى ) بالتفكير ، وهو يقول :



ــ باسم ( صلاح ) .

قال ( حسين ) فى عصبية :

ــ لدى أوراق تثبت أنه ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، مع احتقان وجهه ، وهو يقول فى صوت مختنق :

ــ الأوراق كانت فى الخزانة .

التمعت عينا ( مكى ) ، وهو يسأله :

ــ كلها ؟!

غمغم ( حسين ) فى غضب :

ــ كلها .

وللمرة الثالثة ، انتفض جسده فى غضب ، وهو يضيف :

ــ ( صلاح ) الحقير هذا ... أراهن أنه ساعد ( عايدة ) فى سرقة الخزانة ، ليستعيد الأوراق .

تمتم ( مكى ) فى خبث :

ــ هذا أكيد .

هتف ( حسين ) فى ثورة :

ــ لابد وأن يدفع الثمن .

أمسك ( مكى ) معصمه ، وهو يقول فى صراة :

ــ ليس فى حالة غضب ... الغضب يفسد القدرة على التفكير السليم .

قال ( حسين ) فى عصبية :

ــ لا يمكن أن يفلت بفعلته هذه .

أجابه فى حزم :

ــ بالتأكيد ... ولكن دعنا نفعلها فى احترافية .

سأله ( حسين ) فى توتر :

ــ ألديك خطة ؟!

التمعت عينا ( مكى ) فى شدة ، وهو يجيب :

ــ بالتأكيد ...

وعندما شرح له خطته ، أدرك ( حسين ) أنه أمام شيطان ...

شيطان حقيقى ...

★ ★ ★

« التموين يا ( مفيد ) بك ... »

قالها ( جودة ) وهو يبتسم ابتسامة شيطانية ، جعلت ( مفيد ) يعقد حاجبيه ، وهو يلتقط السجائر المحشوة بالمخدرات من يده ، قائلاً فى عصبية :

ــ طلبت منك أكثر من مرة ، ألا تأتى فى وضح النهار يا ( جودة ) .

احتفظ ( جودة ) بابتسامته ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

ــ الدنيا تغيَّرت يا ( مفيد ) بك ... الكل يضبط دماغه هذه الأيام ... الانفتاح جعل هذا متعة مشروعة .



سعل ( مفيد ) ، وهو يقول فى توتر :

ــ لو أنها مشروعة ، لتم بيعها علانية .

هتف ( جودة ) فى حماس :

ــ سيحدث ... أنا واثق من أنه سيحدث يا ( مفيد ) بك .

مطَّ ( مفيد ) شفتيه ، مغمغمًا :

ــ أنت واهم .

هتف ( جودة ) بنفس الحماس :

ــ سترى .

« ماذا تفعل هنا أيها الشيطان ؟!... »

انطلق الهتاف الغاضب ، فأسرع ( مفيد ) يدس السجائر فى جيبه ، فى حين انكمش ( جودة ) وتراجع ، وهو يحدق بعينين متسعتين فى رعب إلى ( طارق ) ، الذى اندفع نحوه ثائرًا ، وصائحًا :

ــ ألم آمرك بعدم القدوم هنا مرة أخرى .

تراجع ( جودة ) ، وهو يرفع ذراعيه ليحمى وجهه ، هاتفًا فى رعب :

ــ ( مفيد ) بك أراد ...

قبل أن يتم عبارته ، لكمه ( طارق ) فى معدته ، على نحو جعله يخفض ذراعيه ، فهوى ( طارق ) على فكه بلكمة أخرى ، أسقطته أرضًا ، وجعلت ( مفيد ) يهتف به :

ـ لا يا ( طارق ) .

ولكن ( طارق ) انقض على ( جودة ) ، وراح يكيل له اللكمات فى ثورة تفوق الموقف ، وهو يصرخ فى غضب :

ـ أيها الحقير ... أيها القذر ... أيها الحيوان ...

كان ( جودة ) يصرخ على نحو متصل ، جعل ( شريفة ) و( فاطمة ) تهرعان لرؤية ما يحدث ، فى حين حاول ( مفيد ) جذب ( طارق ) بعيدًا ، وهو يهتف :

ـ كفى يا ( طارق ) ... كفى .

انفلت ( جودة ) من تحت ( طارق ) ، مستغلاً جذب ( مفيد ) له ، وانطلق يعدو مبتعدًا بكل قوته ، و( طارق ) يصرخ خلفه :

ـ لو رأيتك هنا مـــرة أخـــرى سأقتلك ... هلى تفهم ... سأقتلك .

أطلق ( عوضين ) خفير السراى رصاصة فى الهواء ، جعلت ( جودة ) يزيد من قوة عدوه كالمجنون ، فى نفس الوقت الذى اندفعت فيه ( فاطمة ) تحتضن ابنها ، وهى تهتف فى لوعة :

ـ رويدك يا ابنى ... رويدك يا ( طارق ) .

ووضعت ( شريفة ) يدها على صدرها ، متسائلة وهى تلهث فى انفعال :

ـ ماذا حدث ؟!

صرخ ( طارق ) :

ـ ذلك الحقير يواصل بيع المخدرات لعمى ، على الرغم من أننى حذرته أكثر من مرة .



غمغم ( مفيد ) فى توتر :

ـ أكان هذا يستحق كل ما فعلته ؟!

صاح به ( طارق ) :

ـ هل أحضرها لك أم لا ؟!

صمت ( مفيد ) ، وهو يختلس نظرات خجلى متوترة ، إلى ( فاطمة ) و( شريفة ) ، حتى غمغمت ( فاطمة ) ، بصوتها الخشن الغليظ :

ـ تحدَّث إلى عمك فى احترام يا ( طارق ) .

احتقن وجه ( طارق ) فى شدة ، وبدا من الواضح أنه يقاوم انفعالاً جارفًا فى أعماقه ، قبل أن يخفض عينيه ، مغمغمًا ، فى صوت لم يفارقه التوتر بعد :

ـ أمرك يا أمى .

شعرت ( شريفة ) بالدهشة ، من تأثير ( فاطمة ) على ابنها ، وغمغمت فى خفوت :

ـ سأعد لكما كوبين من الينسون ؛ لتهدئة أعصابكما .

وضع ( مفيد ) يده على كتف ( طارق ) ، وسعل مرتين ، قبل أن يقول متحشرجًا :

ـ أحضريهما فى حجرة الضيوف ... أريد التحدث مع ( طارق ) وحدنا حديث رجل لرجل .

انهمرت دمعة عصبية من عينى ( طارق ) ، وهما يجلسان فى حجرة الضيوف ، وقال فى توتر شديد :

ـ تلك السموم ستدمرك يا عمى ... كنت أحاول فقط حمايتك من ذلك الثعبان .

تطلّع إليه ( مفيد ) لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ أكان هذا هو السبب الحقيقى لثورتك يا ( طارق ) ؟!

أشاح ( طارق ) بوجهه ، مغمغمًا :

ـ ألا يستحق ؟!

صمت ( مفيد ) لحظات أخرى ، ثم قال فى هدوء :

ـ تصوَّرت أننا سنتحدَّث بالفعل ، حديث رجل لرجل .

ظل ( طارق ) صامتًا ، مشيحًا بوجهه بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى صوت مختنق :

ـ ما الذى تريد قوله يا عمى ؟!

تنهد ( مفيد ) ، قبل أن يغمغم :

ـ ( محمد وليد كمال ) .

قاوم ( طارق ) دموعه فى صعوبة ، مع إضافة ( مفيد ) الحزينة :

ـ ابن ( نادرة ) ، الذى ولد أمس .

ذكر اسم ( نادرة ) أفقد الشاب قدرته على المقاومة ، فسالت دموعه الحارة على وجهه ، وارتفع صوت نحيبه ، فنهض ( مفيد ) يحتويه بين ذراعيه ، ويربت عليه فى حنان مشفق ، مغمغمًا :

ـ لا تفسد حياتك كما أفسدها عمك يا ( طارق ) ... لا تجعل قلبك يتجمَّد عند فترة زمنية يرفض تجاوزها ...



غمغم الشاب ، من وسط دموعه :

ـ وهل استطعت أنت نسيان ( مديحة ) ؟!

ازدرد ( مفيد ) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ وهل نجحت كل دموع الدنيا فى إعادتها ؟!

انتحب الشاب لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم :

ـ الذكرى تؤلمنى يا عمى .

قال ( مفيد ) مشفقًا :

ـ حاول النسيان إذن .

قال فى حرقة :

ـ مستحيل !!

أطلق ( مفيد ) زفرة حارة ، قبل أن يقول :

ـ جيلكم يختلف عن جيلى ، ولديكم الآن الكثير من الأمور ، التى يمكن أن تشغل عقولكم ، وتساعدكم على النسيان .

مسح ( طارق ) دموعه ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا عمى !... مستحيل !

ثم ابتعد عن ( مفيد ) ، وهو يستطرد فى مقت :

ـ لأن السبب يحيا معى طوال الوقت .

نظر إليه ( مفيد ) فى دهشة حائرة ، فأردف فى حنق :

ـ أمى .

هتف ( مفيد ) فى استنكار :

ـ أمك ؟!... هل تحمل أمك مسئولية الـ ...

قاطعه ( طارق ) فى عصبية :

ـ لا تخطئ فهمى يا عمى ... أنا أحب أبى وأمى ، وأحترمهما ، وهما بالنسبة لى كل دنياى ، ولكن السبب الوحيد لرفض عمتى ( نعيمة ) زواجى من ابنتها ، وإصرارها على هذا بكل عناد الدنيا ، هى أنها تكره أمى ولا تحترمها .

لم يستطع ( مفيد ) قول شىء ، مع إدراكه أن ما يقوله ابن شقيقه حقيقة ، فاكتفى بإشارة من يده ، جعلت ( طارق ) يواصل فى مقت واضح :

ـ ولكننى أثق فى الله سبحانه وتعالى ، وفى أنه سيعيد إلى أمى وأبى اعتبارهما ذات يوم ، وسيجبر الكل على احترامهما كما ينبغى .

ربَّت ( مفيد ) على كتفه ، مغمغمًا :

ـ ونعم بالله يا ( طارق ) ... ونعم بالله .

استرجع ( مفيد ) حواره هذا مع ( طارق ) ، وهو يجلس فى شرفة حجرته ، فى الطابق الثانى من السراى ، يدخن واحدة من سجائر المخدرات ، التى أحضرها له ( جودة ) ...

كلمات ( طارق ) جعلته يشعر أن الشاب صار يمقت نسبه ولقبه ؛ بسبب الاضطهاد الذى تتعرَّض له أمه ...

وكم يؤلمه هذا ...



صحيح أنه لا يتفق أبدًا مع شقيقه ( حسين ) ، ولا يرضى بما فعله والده الراحل ، عندما كتب كل ثروته باسم أكبر أولاده الذكور وحده ...

ولكنه مازال ( بنهاويًّا ) ...

ومازال ينشد العلو للعائلة ...

ولكنه يختلف على معنى العلو ، مع شقيقه ( حسين ) ...

( حسين ) يرى أن قوة الأسرة فى السطوة والمال والنفوذ ...

وهو يرى أن القوة الحقيقية تكمن فى العدل والرحمة والتواضع ...

زفر فى حرارة ، وهو يستعيد كل مواجهاته السابقة مع ( حسين ) ...

كلها كانت من أجل عائلة ( البنهاوى ) ...

كلها ...

ولكن ( حسين ) كان ينتصر دومًا ، حتى أنه بدأ يشك فى أنه مخطئ ، فى فهمه المثالى للقوة ...

وربما كان فعلاً مخطئًا ...

القوة حسمت كل شىء فى العائلة ...

وفى ( مصر ) كلها ...

هزَّ رأسه فى قوة ، وكأنما يطرد منها كل تلك الأفكار والذكريات ، ولكن هذا جعله يسعل فى قوة ، جعلته يلهث فى شدة ، ويتراجع فى مقعده ، وكأنه كان يعدو منذ ساعات ...

وعلى الرغم من لهاثه وألمه ، عاد ذهنه يقفز إلى ( طارق ) ...

الحفيد الوحيد ، الذى يحمل اسم ( البنهاوى ) ...

من الضرورى أن يمحو من قلبه تلك الكراهية ، تجاه العائلة ...

إنه الامتداد الوحيد لاسم ( البنهاوى ) ، حتى هذه اللحظة ...

ولابد وأن يشعر أنه كذلك ...

وأن يفخر بأنه ( بنهاوى ) ...

لابد ...

ما فعلته ( نعيمة ) ، لابد وأن يسعى هو لإصلاحه ...

هى احتقرت ( فاطمة ) ، وعليه هو أن يحترمها ...

وعلى نحو علنى ...

هذا وحده قد يزيل بعض الكراهية من قلب ( طارق ) ...

هذا وحده يمكن أن يعيده ( بنهاويًا ) ...

سعل بشدة أكثر ، عند هذه النقطة ، فالتقط منديله ، يخفى به فمه ، ويبصق فيه ما تصوَّر أنه غصة فى حلقة ...

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما رأى ذلك ، الذى تلوَّث به منديله ...

الدم ...

الدم ( البنهاوى ) .

★ ★ ★



## 18 ـ الطعنة ..

« الأستاذ ( صلاح مروان ) ؟!...»

نهض ( صلاح ) من خلف مكتبه ، يستقبل ذلك الذى ألقى السؤال ، وأدار عينيه فيمن يحيطون به ، مغمغمًا فى حذر :

ـ هو أنا .

سأله الرجل فى صرامة لم يعتدها :

ـ أنت صاحب ومدير شركة الاستيراد والتصدير .

استجمع ( صلاح ) إرادته ، وقال فى حدة :

ـ ماذا تريد يا هذا ؟!... ومن أنت ؟!

أشار الرجل إلى من حوله ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ العقيد ( مدحت السبع ) ، من إدارة مكافحة المخدرات .

تراجع ( صلاح ) مصدومًا ، وهو يهتف :

ـ مخدرات ؟!... وما شأن شركتى بهذه السموم .

ابتسم العقيد ، وهو يقول :

ـ شحنة الملابس ، التى تم استيرادها من ( تركيا ) ، كانت تخفى مائة كيلو جرام من مخدر الحشيش .

سقط ( صلاح ) على مقعده ، وهو يهتف فى شحوب :

ــ مستحيل !!

شدَّ العقيد قامته ، وهو يقول بكل الصرامة :

ــ أستاذ ( صلاح ) ... أنا ألقى القبض عليك ، بتهمة إدخال مواد مخدرة محظورة إلى البلاد ، و ...

صاح ( صلاح ) ، وجنديان يجذبانه ؛ لوضع الأغلال فى معصميه :

ــ لا شأن لى بهذا ... أقسم لك .

بدا العقيد أكثر صرامة ، وهو يقول :

ــ البلاغ الذى تلقيناه قال : إنها ليست أوَّل مرة تفعل فيها هذا ، وأنك ...

صرخ ( صلاح ) ، وهم يكبلون معصميه بالفعل :

ــ أى بلاغ ؟!... إنها مكيدة واضحة أيها العقيد .

أشاح العقيد بوجهه ، وهو يقول :

ــ أعط النيابة كل ما يثبت هذا .

هتف ( صلاح ) ، وهو يقاوم من يجذبانه :

ــ أنا لست المسئول الفعلى عن هذه الشركة ... أنا مجرَّد واجهة .

التفت إليه العقيد فى اهتمام شديد :

ــ ألديك ما يثبت هذا ؟!

هتف فى توتر :



ــ بالطبع ... فى خزانتى ستجد نسخة من الأوراق ، التى تثبت أن هذه الشركة ملك ( إبراهيم مكى ) و( حسين البنهاوى ) ، وأنا مجرَّد ...

قاطعه العقيد مصدومًا :

ــ ( حسين بك البنهاوى ) ؟!

هتف ( صلاح ) :

ــ نعم ... افتح الخزانة ، وستجد ما يثبت هذا .

رمقه العقيد بنظرة نارية ، قبل أن يقول فى شراسة :

ــ اسمع يا رجل ... محاولة الزج بأسماء كبيرة فى القضية ؛ للإفلات من العقوبة ، أسلوب سخيف ، لا يؤتى ثماره فى معظم الأحيان ، بل وقد ينقلب وبالاً عليك .

قال ( صلاح ) فى عصبية :

ــ افتح الخزانة وسترى .

قالها ، وهو يشير إلى خزانة معدنية كبيرة ، أدار العقيد بصره إليها لحظات فى شك ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ دعوه يفتحها .

جذب رجلان ( صلاح ) إلى الخزانة ، التى أدار قرصها فى توتر شديد ، وهو يقول :

ــ عندما تقرأ الأوراق بنفسك ، ستجد أن ...

بتر عبارته فى ذهـول مصدوم ، وهـو يحدق فى الخزانة الخاوية ، فى حين اعتدل العقيد فى حزم ، وهو يقول :

ــ الخزانة فارغة يا أستاذ ( صلاح ) .

صمت ( صلاح ) لحظات ، ثم أدار وجهه شديد الشحوب إلى العقيد ، مغمغمًا :

ــ ( إبراهيم مكى ) ...

« ولكن الثمن كبير جدًا ....»

قالها ( حسين ) فى توتر ، جعل ( مكى ) يبتسم ، وهو يقول :

ــ من حسن حظنا أننا قد استعدنا كل مالنا ، منذ شهر واحد .

اعتدل ( حسين ) ، وهو يقول متوترًا :

ــ وخسرنا شركة تدر الكثير .

ابتسم ( مكى ) فى خبث ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

ــ لقد خسرناها بالفعل ، منذ بدأ ( صلاح ) يخوننا .

انعقد حاجبا ( حسين ) ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه ، قبل أن يغمغم :

ــ الأرباح كانت كبيرة .

اتسعت ابتسامة ( مكى ) الذئبية ، وهو يقول :

ــ كما أنشأناها ننشىء غيرها .

هزّ ( حسين ) كتفيـه دون تعليق ، وهو يبحث فى ذهنـه عن بديل لـ ( صلاح ) ، فى أية شركة جديدة ، ثم لم يلبث أن تساءل فى قلق :



ــ ماذا لو أن ( صلاح ) أثار ضجة بشأننا ؟!

أجابه ( مكى ) فى هدوء :

ــ لم يعد يملك أى إثبات بشأن هذا .

قال ( حسين ) فى توتر :

ــ لا أتحدث عن إثباتات قانونية ، بل عن إساءة للسمعة .

هزّ ( مكى ) رأسه نفيًا فى بطء ، وألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يقول فى حزم واثق :

ــ لم يعد باستطاعته هذا .

عاد حاجبا ( حسين ) ينعقدان ، وهو يقول :

ــ من أية ناحية ؟!

لوّح ( مكى ) بيده ، قائلاً بنفس الحزم الواثق :

ــ من ناحية قانونية وعلنية تمامًا .

ثقته الزائدة جعلت ( حسين ) يميل نحوه ، متسائلاً :

ــ ماذا لديك يا ( مكى ) ؟!

لم يكد يتم سؤاله ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فأشار إليه ( مكى ) بسبّابته أن ينتظر ، والتقط سماعة الهاتف ، واستمع فى صمت ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم أعاد السماعة إلى موضعها ، فتساءل ( حسين ) فى دهشة :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!

بدت له ابتسامة ( مكى ) أشبه بابتسامة ذئب وحشى ، انتهى على التو من التهام فريسته ، وهو يجيب :

ـ ( صلاح مروان ) أقدم على تصرف أحمق ، وحاول الفرار ، وقاوم رجال الشرطة ، و ...

قاطعه ( حسين ) منزعجًا :

ـ هل تقصد أنهم . .

قبل أن يتم سؤاله ، قال ( مكى ) فى حزم :

ـ قتلوه أثناء فراره .

اتسعت عينا ( حسين ) ، وتراجع مصعوقًا ، غير مصدق ما وصلت إليه الأمور ، فابتسم ( مكى ) ابتسامة أكثر ذئبية ...

ها هى ذى نقطة ضعف جديدة ، تثبت له أنه أقوى كثيرًا من ( حسين ) ...

الضمير ...

على الرغم من كل ما يفعله ( حسين ) ، مع كل من يعترض طريق طموحه ، إلا أنه مازال هناك جزء حى من أعماق ضميره ...

جزء لم يحتمل فكرة القتل ...

أيًا كانت مبرراتها ...

ربما لأن شهامة الريف مازالت تختبئ ، فى ركن ما من أعماقه ...

« عندى خبر لن يروق لك ، ولكن من الضرورى أن تعلمه ... »



رفع إليه ( حسين ) عينين محمرتين ، وهو يتساءل فى مرارة :

ـ أكثر من مصرع ( صلاح ) .

صمت ( مكى ) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ إنه يخص الأميرة ( عايدة ) .

اتسعت عينا ( حسين ) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع ( مكى ) بلا رحمة :

ـ إنها حامل .

تضاعف اتساع عينى ( حسين ) ، وشعر وكأن مطرقة هائلة قد هوت على قلبه ، فانتفض من موضعه ...

الهلع على ملامحه أثلج قلب ( مكى ) ، فتراجع فى مقعده ، وهو يضيف فى لهجة قاسية :

ـ من ( جان ) .

انهار قلب ( حسين ) تمامًا ، مع تلك المعلومة الأخيرة ، وأشاح بوجهه ليخفى انفعالاته عن ( مكى ) ، الذى تعمَّد الطرق على أعصابه الملتهبة ، وهو يواصل :

ـ لقد تزوَّجا منذ شهر ، و ...

رفع ( حسين ) كفه ، قائلاً فى صوت مختنق :

ـ كفى ...

التمعت عينا الذئب فى وجه ( مكى ) ، وهو يتراجع فى مقعده فى ظفر ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

ـ لماذا لا تجرى تلك الفحوص ، التى كانت سببًا فى انفصالكما .

لم يجب ( حسين ) ، وهو يقاوم رغبة عارمة فى البكاء ، فأضاف ( مكى ) ، وهو يتراجع مرة أخرى فى مقعده :

ـ لتعرف على الأقل .

« هل تتصوَّر أنه سيفعلها ؟!... »

ألقت ( جيهان ) السؤال على ( مكى ) فى اهتمام ، فابتسم ابتسامته الذئبية ، وهو يقول :

ـ لن يمكنه مقاومة الفكرة ، وخاصة بعد حمل الأميرة ( عايدة ) .

تطلَّعت إلى ( مكى ) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تقول بابتسامة هادئة :

ـ هل تعلم ما هى أكبر نقطة ضعف ، لدى ( حسين البنهاوى ) ؟!

غمغم فى حذر :

ـ ريفيته ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، ثم مالت إلى الأمام ، مجيبة :

ـ أنه وثق فى ذئب مثلك .

تراجع ( مكى ) فى دهشة ، قبل أن يقول فى صرامة :



ـ هذا الذئب نفَّذ الجزء الخاص به ، وتخلَّص من ( صلاح ) ، الذى سبَّب لك تلك الفضيحة فى الماضى .

هزَّت كتفيها فى لا مبالاة ، قائلة :

ـ ( صلاح ) كان مخلب الذئب فحسب ، ولكن انتقامى من الذئب الأصلى لم يدخل حيز التنفيذ النهائى بعد .

تطلَّع إليها لحظات فى ضيق غاضب ، ثم قال فى صرامة :

ـ حذار يا مدام ( جيهان ) ... الذئب الذى تسعين خلفه ، يمكن أن يتحوَّل فى لحظة واحدة ... من فريسة إلى صياد .

أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تتخذ مجلسًا متغطرسًا ، قائلة :

ـ ألم أقل لك ... أكبر نقطة ضعف فى ( حسين البنهاوى ) ، هى أنه أطلق سراح ذئب مفترس ، ووضع ثقته فيه ، متصورًا أنه سيساعده فى الانقضاض على خصومه ، دون أن يضع فى اعتباره أنه يمكن أن ينقض عليه شخصيًا ، إذا ما تعارضت المصالح .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا ينطبق على علاقتنا أيضًا .

أطلت نظرة ماكرة من عينيها ، وهى تغمغم :

ـ لم تتعارض مصالحنا بعد .

ثم اعتدلت فى حركة مفاجئة ، مستطردة :

ـ وبشأن الشركة الجديدة ، سيكون كل شىء على ما يرام .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ــ ولن تضم ( حسين البنهاوى ) .

غمغمت :

ــ بالتأكيد .

شملهما الصمت لحظة أخرى ، قبل أن تقول ( جيهان ) :

ــ بعد توقيع اتفاقية ( كامب ديفيد ) ، أعتقد أنه سيكون هناك تمثيل ديبلوماسى لــ ( إسرائيل ) فى ( مصر ) .

تراجع متمتمًا :

ــ أمر طبيعى ... ولكن منذ متى تهمك الأمور السياسية .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ــ لا تهمنى على الإطلاق .

شعر بالدهشة لعبارتها ، وتساءل فى أعماقه عما يدور فى ذهنها ، ويعجز هو عن سبر أغواره ، قبل أن تضيف هى :

ــ كل ما يهمنى الآن ، هو ( حسين البنهاوى ) .

التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ــ الصيد تلقى طعنات كثيرة ، فى الآونة الأخيرة ، ولم يتبق سوى الانقضاض عليه .

التمعت عيناها على نحو عجيب ، وهى تقول :

ــ انتظر ... وسترى .



وتراجع ( مكى ) مع التماعة عينيها ...

فمع ما تملكه ( جيهان ) من جمال ، ومال ودهاء ، ورغبة فى الانتقام ، تولد داخله شعور ، لم يشعر به فى حياته من قبل ...

الخوف ...

★ ★ ★

انعقد حاجبا ( نعيمة ) فى شدة ، وهى تميل على أذن ( شريفة ) ، متسائلة فى حنق :

ــ ماذا يفعل أخوك هذه الأيام ؟!

اعتدلت ( شريفة ) تسألها :

ــ ( حسين ) ؟!

أجابتها فى حدة :

ــ بل ( مفيــد ) ... أرأيت كيــف يعامل تلك الملعونة هــذه الأيام !!

تنهدت ( شريفة ) فى ضيق ، قبل أن تقول :

ــ إنه يفعل هذا من أجل ( طارق ) .

مصمصت شفتيها ، قائلة :

ــ عقرب ابن عقربة .

قالت ( شريفة ) فى ضيق :

ــ ( طارق ) ابن أخى ( حافظ ) ، وهو زينة شباب القرية .

ثم تسلَّل الحنق إلى صوتها ، وهى تضيف :

ــ الشىء الذى لا أفهمه ، أنك مازلت تبغضين ( فاطمة ) ، حتى بعد أن نفذت ما خططت له ، وزوَّجت ( نادرة ) لــ ( وليد ) هذا .

اعتدلت ( نعيمة ) ، هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ وهــل أذنبت لأننى أخــذت لابنتى الأفضــل ... ها هى ذى تحيا فى ( لندن ) ، وزوجها مستشار دبلوماسى ماشاء الله .

قالت ( شريفة ) فى غلظة :

ــ ( نعيمة ) ... السبب فى زواج ( نادرة ) من ( وليد ) لم يكن منصبه ، وإنما كان الكيد لــ ( فاطمة ) وابنها .

هتفت ( نعيمة ) فى عناد :

ــ وصالح ابنتى أيضًا .

رفعت ( شريفة ) سبَّابتها إلى شفتيها ، محذرة :

ــ اخفضى صوتك .

رفعت ( نعيمة ) صوتها أكثر فى عناد ، وهى تقول :

ــ هل تخشين أن تسمعنا العقربة ؟!

ظهرت ( فاطمة ) عند باب حجرتها ، وهى تقول بخشونتها وغلظتها وغضبها :

ــ كلا يا ست الستات ... أنها تخشى أن يسمعك الضيف .



رمقتها ( نعيمة ) بنظرة مقت ، قبل أن تنحنى مرة أخرى على أذن ( شريفة ) ، متسائلة :

ــ ألدينا ضيف ؟!

همست ( شريفة ) بدورها :

ــ إنه ذلك الشاب ، الذى حضر مرة مع ( حسين ) .

تمتمت ( نعمية ) :

ــ ( لطيف ) .

هزَّت ( شريفة ) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ ( لطفى ) ... اسمه ( لطفى ) .

ازداد انعقاد حاجبى ( نعيمة ) ، وهى تتساءل :

ــ وما سبب هذه الزيارة ؟!

« ( شريفة ) هانم ... »

تراجع ( مفيد ) فى شىء من الدهشة ، عندما نطق ( لطفى ) كلمته ، وتطلع إلى ( لطفى ) لحظة فى صمت ، قبل أن يسأله :

ــ أستاذ ( لطفى ) ... كم يبلغ عمرك تقريبًا .

ازدرد ( لطفى ) لعابه ، قبل أن يجيب :

ــ لقد تجاوزت الثانية والثلاثين ، منذ شهر وبضعة أيام .

سأله ( مفيد ) فى هدوء :

ـ وهل تعرف عمر ( شريفة ) ؟!

اعتدل الشاب ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا لا يصنع فارقًا ، بالنسبة لى على الأقل .

التقط ( مفيد ) نفسًا عميقًا ، وسعل مرتين ، قبل أن يخرج منديله ، ويمسح شفتيه ، ثم يقول :

ـ ولماذا ( شريفة ) بالذات ؟!

بدا الحرج على وجه ( لطفى ) ، وهو يغمغم :

ـ لقد وقع بصرى عليها ، و ...

قبل أن يكمل كلماته المترددة ، سأله ( مفيد ) فجأة :

ـ وهل يعلم ( حسين ) أنك هنا ؟!

ارتبك ( لطفى ) فى شدة ، وهو يجيب :

ـ الواقع أننى لم أشأ مفاتحة ( حسين ) بك فى الأمر ، قبل أن أطمئن إلى موافقة ( شريفة ) هانم أولاً .

« أنا موافقة ...»

قالتها ( شريفة ) فى حزم ، جعل أختها ( نعيمة ) تهتف مستنكرة :

ـ هكذا ؟!... دون أن تعرفى شيئًا عنه ؟!

قالت ( فاطمة ) فى خشونة :

ـ من السهل قول هذا ، لأنك ...



صاحت فيها ( نعيمة ) فى غضب :

ـ وما شأنك أنت أيتها الـ ...

قاطعها ( مفيد ) هذه المرة ، وهو يهتف فى حدة :

ـ كفى .

التفتت إليه ( نعيمة ) فى شراسة ، إلا أنه دخل فى نوبة سعال عنيفة ، جعلت ( فاطمة ) تسرع إحضار كوب ماء له ، شربه دفعة واحدة ، قبل أن يستعيد صرامته ، قائلاً :

ـ هذا الأمر يخص ( شريفة ) وحدها .

قالت ( شريفة ) فى حزم :

ـ وأنا وافقت يا ( مفيد ) ... والكرة الآن فى ملعب ( حسين ) .

تطلع إليها ( مفيد ) لحظات مشفقًا ، قبل أن يغمغم :

ـ هل تخشين أن يرفض ؟!

تمتمت ( فاطمة ) فى حسرة :

ـ كالمعتاد .

التفتت إليها ( نعيمة ) فى شراسة ، فابتسمت وهزت كتفيها ، فى حين أجابته ( شريفة ) فى مرارة :

ـ ( حسين ) لن يعنيه ما أنا فيه ... سيحسب الأمور ويزنه بموازينه هو ... موازين المكسب والخسارة ... لو أنه وجد أن زواجى من ( لطفى ) سيرفع من قدره سيوافق ، وإلا فإنه سيرفض بشدة

اندفعت ( فاطمة ) تقول فى حنق :

ـ ولكن هذا حرام .

صرخت فيها ( نعيمة ) :

ـ اصمتى أنت .

صاح ( مفيد ) فى حدة :

ـ قلت كفى .

فى هذه المرة كان سعاله أكثر عنفًا ، حتى أنه أخرج منديله ؛ ليخفى به فمه ، ثم ألقى نظرة عليه ، قبل أن يدسه بسرعة فى جيبه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ عودى إلى منزلك يا ( نعيمة ) .

هتفت به ( نعيمة ) مستنكرة :

ـ هل تطردنى من سراى أبى ؟!

هتف فى ضعف :

ـ ( نعيمة ) ... أرجوك ... لم أعد أحتمل ... أريد مناقشة هذا الأمر مع ( شريفة ) وحدنا .

أطلقت ( فاطمة ) ضحكة شامتة ، جعلت ( نعيمة ) تلتفت إليها فى غل ، فقال ( مفيد ) متوترًا :

ـ ( فاطمة ) ... ادخلى حجرتك ... أرجوك .



صرخت ( نعيمة ) فى ثورة :

ـ هل ترجوها ؟!... اصفعها على وجهها ، وستعدو إلى داخل حجرتها ، مثل أى ...

قاطعها سعاله الشديد ، الذى امتقع معه وجهه ، فهتفت ( شريفة ) ، وهى تسرع لتحضر له كوبًا آخر من الماء :

ـ كفى يا ( نعيمة ) ... إنك تقتلينه .

هزَّت ( نعيمة ) كتفيها فى غضب ، فى حين تراجعت ( فاطمة ) إلى حجرتها ، وهى تغمغم بخشونتها المعهودة :

ـ كل ما تقوله أوامر يا ( مفيد ) بك .

هتفت ( نعيمة ) خلفها فى مقت :

ـ ياللأفعى !

صاحت بها ( شريفة ) :

ـ كفى يا ( نعيمة ) ... أنا نفسى لم أعد أحتمل .

لملمت ( نعيمة ) حاجياتها فى عصبية ، وهى تقول فى حدة :

ـ سأعود إلى بيتى ... التواجد معكم صار محبطًا .

انتظر ( مفيد ) حتى غادرت ( نعيمة ) السراى ، ثم قال :

ـ لو أنك توافقين ، أعدك أن أقاتل بكل قوتى ؛ لإقناع ( حسين ) بالموافقة هذه المرة .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ وهل تعتقد أنه يمكن لأية قوة فى الوجود إقناع ( حسين ) ، بأمر يتعارض مع مصالحه ؟!

صمت لحظات ، قبل أن يجيب فى خفوت يائس :

ـ كلا .

« ولماذا كلا ؟!... »

هتف ( فؤاد ) بالسؤال فى غضب ، جعل ( ناهد ) تقول فى حدة :

ـ لأنها محاولة فاشلة أخرى يا ( فؤاد ) .

قال فى إصرار :

ـ أخى ( كمال ) صار مقربًا من الرئيس ( السادات ) ، ولم يعد ( حسين ) هو القوة الوحيدة فى العائلة ، ولو طالبت اليوم بميراثك الشرعى ، فلن ...

قاطعته فى عصبية :

ـ أى ميراث شرعى ؟!

حدّق فيها فى دهشة ، مجيبًا :

ـ نصيبك فى الأرض والسراى .

قالت بنفس العصبية :

ـ هذا ليس ميراثًا .

هتف مستنكرًا :



ـ أى قول هذا ؟!

علا صوتها ، وهى تقول فى حدة :

ـ الميراث هوما يتركه المتوفى بعد وفاته ، ولكن والدى كتب الأرض والسراى لـ ( حسين ) فى حياته ، وهذا يخرج الأمر من خانة الميراث .

انعقد حاجباه فى شدة ، فأضافت فى حدة أكثر :

ـ وهذا ليس رأيى الشخصى ، بل هو رأى دار الإفتاء نفسها .

بدا مصدومًا مما قالته ، فترك جسده يسقط على مقعد قريب ، وهو يغمغم :

ـ ليس ميراثًا .

قالت فى عصبية :

ـ نعم ... ليس ميراثًا ... أرح نفسك .

صمت لحظات محتقن الوجه ، ثم غمغم فى سخط :

ـ كل شىء باسم ( حسين ) ... هذا ظلم .

غمغمت فى عصبية :

ـ قدر ( البنهاوية ) .

اعتدل بحركة حادة ، قائلاً :

ـ هل تعلمين أن أحدًا ، فى سلسلة نسبكم كلها ، لم يحمل يومًا اسم ( البنهاوى ) ؟!

ضايقها قوله ، فقالت متحدية :

ــ نعم أعلم ... لأنه لم تكن هناك بطاقات هوية شخصية فى ذلك الحين ، وكانوا يعتمدون على شيخ القرية وشيوخ الحارات ، ولقب ( البنهاوى ) كان ما يلقبون به أبى هنا ، لأنه جاء من ( بنها ) .

لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ــ الغطرسة ( البنهاوية ) إذن ليس لها ما يبررها .

عضت نواجذها فى غضب ، ثم قالت :

ــ ما أعلمه أيضًا هو أن جدك كان ساعيًا فى الحكومة ، ولولا الثورة ...

صاح يقاطعها فى غضب :

ــ كفى .

اندفع ابنهما ( خيرى ) إلى المكان فى هذه اللحظة ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ من الضرورى أن تشاهدوا ما يعرضه التلفاز .

وأسرع يشعل التلفاز الرئيسى ، مستطردًا :

ــ من كان يصدّق أن يحدث هذا ؟!

حدّق كلاهما فى شاشة التلفاز ، وانقبض قلباهما معًا ...

فقد كان ما يعرضه التلفاز أمر يصعب هضمه ... تمامًا .

★ ★ ★



# 19 ــ انهيـــار ..

« للأسف يا ( حسين ) باشا ...»

قالها الدكتور ( صفوت ) فى توتر شديد ، جعل قلب ( حسين ) ينقبض ، وهو يقول فى عصبية :

ــ للأسف ماذا ؟!

ازدرد الدكتور ( صفوت ) لعابه فى صعوبة ، وربّت على نتائج الفحوص الطبية أمامه ، وهو يقول فى صعوبة :

ــ النتائج التى أمامى ، تقول إن إمكانية الإنجاب لديك مستبعدة تمامًا .

قال ( حسين ) فى عصبية شديدة :

ــ تقصد أنها صعبة .

ازدرد الرجل لعابه مرة أخرى ، وشحب وجهه وصوته ، وهو يتمتم :

ــ بل منعدمة .

حدّق ( حسين ) فى وجهه مصدومًا ، وهو يغمغم مكررًا :

ــ منعدمة ؟!

ربّت الدكتور ( صفوت ) على النتائج مرة أخرى ، وهو يجيب فى شحوب :

ــ هكذا تقول النتائج يا ( حسين ) باشا ... سائلك لا يحوى أية حيوانات منوية على الإطلاق ... حالة نادرة ، نطلق عليها اسم ( أزوسبيرميا ) ( Azospermia ) ، و ...

قاطعه ( حسين ) فى مرارة عصبية :

ــ كفى .

وجذب إليه نتائج الفحوص ، وهو ينهض ، قائلاً :

ــ لو سافرت إلى الخارج ، هل يمكن أن ...

لم يكمل سؤاله ، ولكن الدكتور ( صفوت ) هزّ رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

ــ كلا للأسف .

غادر عيادة الدكتور ( صفوت ) ، والألم يمزق قلبه ، ومرارة العلقم تملأ فمه ...

ولثوان ، بعد مغادرته العيادة ، ظل الدكتور صفوت يحدّق فى الباب ، الذى أغلقه ( حسين ) خلفه ، قبل أن يلتقط سمّاعة الهاتف بيد مرتجفة ، ويطلب رقمًا ، وما أن سمع صوت محدّثه ، حتى غمغم فى عصبية :

ــ لقد نفّذت كل ما أمرت به ياباشا ... والآن بخصوص تلك الصور ... سعادتك تعلم أننى رجل متزوّج ، وصورى مع ( جانيت ) يمكن أن ...

أغلق الطرف الآخر الخط ، دون أن يجيب ، فامتقع وجه الدكتور ( صفوت ) فى شدة ، وهو يعيد سمّاعة الهاتف إلى موضعها فى بطء ، مغمغمًا فى صوت مرتجف :

ــ لقد نفّذت كل ما أمرت به ...



« أخيرًا يا ( حسين ) يا( بنهاوى ) ... »

أخيرًا واجهت مالا يمكنك السيطرة عليه أو احتوائه ...

قدرك ...

القدر ، الذى حكم عليك بأن ينقطع نسلك فى الدنيا ، مهما بلغت قوتك وسطوتك ، أو بلغ نفوذك ...

أخيرًا يا ( حسين ) وجدت ما يهزمك ...

ولأوّل مـرة ، منـذ زمـن طويل جدًا ، انحدرت من عينيه الدموع ...

دموع القهر والمرارة ...

دموع العجز ...

كبير ( البنهاوية ) عاجز عن الإنجاب ...

ليس لديه بذور يزرعها ، فى سلسال ( البنهاوية ) ...

ويا له من قهر !! ...

المشكلة الأكبر هى فى ( البنهاوية ) أنفسهم ...

أموالهم وممتلكاتهم كلها ملكه هو ...

هو وحده ...

كان قد بلغ منزله ، عندما التقط سماعة هاتفه ، وطلب رقم مكتبه ، ولم يكد يسمع صوت ( لطفى ) ، حتى قال فى مرارة :

ــ أريدك يا ( لطفى ) .

سأله ( لطفى ) فى توتر :

ــ الآن يا ( حسين ) باشا ؟!

أجابه بنفس المرارة :

ــ الآن يا ( لطفى ) .

أنهى ( لطفى ) المحادثة ، وهو يشعر بتوتر شديد ، يملأ كيانه كله ...

لماذا الآن ؟!..

إنه لم يفعلها من قبل قط !! ...

أهذا بشأن طلبه يد ( شريفة ) ، أم ماذا ؟!

ظلت تلك التوترات ترتجف فى أعماقه ، حتى صار أمام ( حسين ) ...

وكم شعر بالدهشة لحظتها ...

إنه يقف أمام الرجل ، الذى عمل كمدير لمكتبه طويلاً ، ولكنه يشعر أنه أمام رجل مختلف تمامًا ...

رجل محبط ...

منكسر ...

بائس ...

رجل تكلم معه بصوت خافت ، وربما لأوّل مرة فى حياته ، وهو يناوله ورقة ، قائلاً :



ــ قدم لسيادة الرئيس هذا الطلب غدًا ، وأخبره أن حالتى الصحية تستلزم الراحة لبضعة أيام و ...

قاطعه فى توتر :

ــ غدًا يا ( حسين ) باشا ؟!

سأله ( حسين ) فى ضيق :

ــ ماذا هناك يا ( لطفى ) ؟!

أجابه فى توتر شديد :

ــ غدًا المأدبة ، التى أقامها سيادة الرئيس ، للوفد الدبلوماسى الإسرائيلى ، وعدم حضور سيادتك ، قد تتم إساءة تفسيره .

اندهش ( حسين ) ؛ لأنه نسى مثل هذا الأمر الجلل ، وأدرك أن مدير مكتبه على حق ...

لو أنه غاب عن المأدبة ، فسيسرع خصومه لتصوير الموقف ، بأنه رفض لسياسة الرئيس ...

وهذا سيضر مستقبله ...

وبشدة ...

نعم ... مدير مكتبه على حق ...

أيًا كانت عذاباته ، لابد وأن يحضر تلك المأدبة ...

لابد ...

« أين كنت ، كل تلك السنوات يا ( جيهان ) هانم ؟!... »

ألقت حرم الرئيس السؤال بابتسامة كبيرة ، على جيهان ، التى بادلتها الابتسام ، وهى تقول :

ــ ظروف قهرية ، أجبرتنى على مغادرة البلاد يا ( هانم ) .

قالت حرم الرئيس مجاملة :

ــ أية ظــروف تلك ، التى يمكن أن تجبــر فاتنة مثلك ، على مغادرة البلاد .

رمقت ( جيهان ) ( حسين ) ، الذى يحاول تجاهلها ، منذ بداية الوليمة ، قبل أن تجيب :

ــ جمالى هو الذى فعل بى هذا يا هانم .

ارتفع حاجبا حرم الرئيس فى دهشة :

ــ جمالك ؟!... إلى ماذا تشيرين بالضــبط يا ( جى جى ) هانم ؟!

رمقت ( جيهان ) ( حسين ) بنظرة مقت أخرى ، ثم قالت :

ــ الواقع يا هانم أن قصتى أشبه بروايات السينما ، حتى أننى أخشى أن أقصها على أحد فيكذبنى .

قالت حرم الرئيس فى إلحاح :

ــ ولكنك أثرت فضولى بشدة ، ومن الضرورى أن أعرف .

ابتسم الذئب فى أعماق ( جيهان ) ، وهى تميل نحو حرم الرئيس ، قائلة :



ــ اسمعينى جيدًا يا هانم ... أقسم لك أوَّلاً أن كل ما سأرويه لك حقيقة .

غمغمت حرم الرئيس فى اهتمام :

ــ أنا واثقة من هذا .

« مصادفة عظيمة أدون ( حسين ) ... »

انعقد حاجبا ( حسين ) فى شدة ، عندما سمع ذلك الصوت المألوف من خلفه ، فالتفت إلى صاحبه ، الذى تابع بابتسامة خبيثة كبيرة :

ــ أن نلتقى ثانية ، بعد كل هذه السنوات ، لهو أمر يسعدنى .

حدَّق ( حسين ) بكل دهشــته ، فى ( ميخائيل بن ناثان ) ، رجل ( الموساد ) ، التى كانت له معه جولة فى ( باريس ) سابقًا ، وقال فى توتر :

ــ ماذا تفعل هنا ؟!

أشار الإسرائيلى بيديه ، مجيبًا :

ــ أنا ضمن الوفد الدبلوماسى الإسرائيلى أدون ( حسين ) .

شعر ( حسين ) بتوتر شديد يسرى فى كيانه ، وخاصة مع صوت ( ميخائيل ) المرتفع ، والذى جذب إليهما العديد من الأنظار فى فضول ، وجعل الرئيس نفسه يلتفت إليهما فى اهتمام ، فقال فى شىء من الحدة :

ــ من حسن الحظ أننى لا أعمل فى السلك الدبلوماسى ، حتى لا أضطر للتعامل معك .

أطلق ( ميخائيل ) ضحكة عالية ، جذبت المزيد من الأنظار إليهما ، قبل أن يرفع صوته أكثر ، قائلاً :

ـ يا للخسارة !!... كنت أتمنى أن نعيد تعاوننا ، كما فى السابق .

امتقع وجه ( حسين ) ، مع تلك التساؤلات والشكوك ، التى اندلعت فى عيون الكثيرين ، ومع انعقاد حاجبى الرئيس فى شدة ، وهو يرمقه بنظرة عجيبة ، جعلته يقول فى حدة :

ـ إننا لم نتعاون قط فى السابق يا ( ميخائيل ) .

أطلق ( ميخائيل ) ضحكة عالية ساخرة ، ثم ابتعد عنه ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

ـ كما تشاء أدون ( حسين ) ... كما تشاء .

امتقع وجه ( حسين ) أكثر ، وخاصة مع تلك النظرة القاسية ، التى رماه بها الرئيس ، حتى أنه لم ينتبه إلى تلك الإيماءة الخفيفة ، التى تبادلها ( ميخائيل بن ناثان ) مع ( جيهان ) ، والتى رسمت كل البؤس على وجهها ، على الرغم من الابتسامة الظافرة فى أعماقها ، وحرم الرئيس تسألها فى غضب :

ـ ومن ذلك الحقير ، الذى لفق قضية مهينة كهذه إلى فتاة جميلة ؛ لمجرد أنه لم يظفر بها ؟!

اصطنعت ( جيهان ) كل الضعف والمرارة ، وهى تقول :

ـ هل ستصدقينى لو أخبرتك يا هانم ؟!

أجابتها حرم الرئيس فى حزم :

ـ بالتأكيد .



« ( حسين ) ... »

ارتجفت أعصاب ( حسين ) ، عندما نطق الرئيس ( السادات ) اسمه ، بهذه الصرامة القاسية ، وهو يقف أمامه فى مكتبه فى الصباح ، فغمغم فى توتر ملحوظ :

ـ رهن إشارتك يا فخامة الرئيس . .

كان يشعر فى كيانه كله ، بتوتر بلا حدود ، وخاصة مع الطريقة التى استقبله بها ( لطفى ) ، فور وصوله إلى مقر عمله ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ معذرة يا ( حسين ) باشا ، ولكن فخامة الرئيس أمر أن تذهب إليه فور حضورك ، وقبل أن تدخل مكتبك .

كلمات ( لطفى ) وتوتره ، جعلاه يدرك أنه إزاء أمر جلل ...

ما فعله ذلك الحقير ( ميخائيل ) أمس ، بذر بذرة الشك فى نفس الرئيس ...

« من أين تعرف ( ميخائيل بن ناثان ) ؟!... »

ألقى ( السادات ) السؤال ، فى غضب صارم قاس ، جعل صوت ( حسين ) يضطرب ، على الرغم منه ، وهو يغمغم :

ـ كانت عملية قديمة يا سيادة الرئيس ، و ...

قاطعه ( السادات ) بنفس الصرامة :

ـ لماذا لم يشر ملف خدمتك إلى لقائك به .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ــ يمكننى تفسير كل شىء ، يا فخامة الرئيس :

ــ تراجع ( السادات ) فى مقعده ، وهو ينظر إليه فى شك غاضب ، جعله عاجز عن الكلام ، حتى اعتدل ( السادات ) فجأة ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ ما معلوماتك عن ( جيهان المصرى ) ؟!

شعر ( حسين ) بضربة فى صدره ، مع اللهجة التى ألقى بها الرئيس سؤاله ، فتراجع خطوة فى حركة لم يقصدها ، وهو يقول :

ــ مصرية حاصلة على الجنسية البريطانية ، وزوجة سير ( ماهر جلال ) كبير أطباء ( لندن كلينك ) ، و ...

أكمل ( السادات ) فى حدة :

ــ وشابة سابقة ، لفق لها أحدهم تهمة قاسية ، أجبرتها على مغادرة البلاد ؛ لمجرد أنها لم تستجب له .

انتفض ( حسين ) فى قوة ، وهو يهتف :

ــ ليس هذا ما حدث يا فخامة الرئيس ... أقسم لك أن ...

استوقفه ( السادات ) بإشارة غاضبة من يده ، هاتفًا :

ــ لا تقسم .

ثم خفض عينيه إلى الأوراق التى أمامه ، مستطردًا فى لهجة آمرة صارمة :

ــ لا تعد إلى مكتبك يا ( حسين ) .



امتقع وجهه فى شدة ، وهو يقول :

ــ فخامة الرئيس ... إننى ...

قاطعه الرئيس مرة أخرى ، فى صرامة أكبر :

ــ أنت فى إجازة مفتوحة يا ( حسين البنهاوى ) .

بلغ امتقاع وجه ( حسين ) حدًا ، جعله أشبه بجثة تقف على قدمين ، وعجز تمامًا عن النطق ، وهو يحدق فى الرئيس ذاهلاً ، فى حين ضغط الرئيس زر استدعاء على مكتبه ، وهو يقول فى صرامة قاسية ، ودون أن يرفع عينيه إليه :

ــ اذهب يا ( حسين ) .

انتزع ( حسين ) قدميه من الأرض فى صعوبة ، وبدا وهو يغادر جناح الرئيس ، وكأنه سينهار تمامًا ، حتى أن ( لطفى ) أسرع يمسك يده ، وهو يقول مخلصًا :

ــ ( حسين ) باشا ... أنا رهن إشارتك ... مرنى ، تجدنى أطوع لك من بنانك .

التفت ( حسين ) يتطلع إليه ، وكأنه لا يراه ، فتابع الشاب فى قلق :

ــ سأرسل سائقًا يوصلك إلى منزلك .

لم يقل ( حسين ) شيئًا ، ولكن ( لطفى ) أسرع يستدعى أحد سائقى القصر الجمهورى ؛ ليوصله إلى منزله ...

وفى الطريق إلى منزله ، شعر ( حسين ) بكيانه كله ينهار داخله ، وبقلبه يكاد يتوقف ، من شدة الألم والقهر ...

كل شىء بناه فى حياته ، انهار فى لحظة واحدة ...

كل شىء ...

السلطة ...

السطوة ...

النفوذ ...

القوة ...

جملة واحدة ، نطقها رجل ( الموساد ) السابق ، دمَّرت كل ما قاتل طيلة عمره لبنائه وحمايته ...

كيــف سيواجه العالم ، بعــد أن فقد كل ما استند إليه طيلة عمره ؟!..

بل كيف سيواجه عائلة ( البنهاوى ) ؟!...

كيف ؟!...

استعاد ذهنه فى لحظات ، كل الصراعات التى خاضها ، منذ أرسل أول برقية تأييد للضباط الأحرار ، وحتى هذه اللحظة ...

ولم يكن فى حاجة إلى الكثير من الحسابات ؛ ليدرك أنه ترك خلفه عشرات الخصوم ، الذين ما أن يدركوا أنه قد خسر سلطته ونفوذه ، حتى ينقضوا عليه بلا رحمة ...

سيفتكون به فتكًا ، دون أدنى شك ...



ودون أدنى رحمة أو شفقة ...

وبكل الشماتة والظفر ...

وهو لن يحتمله هذا ...

لن يحتمله أبدًا ...

وعائلة ( البنهاوى ) أيضًا لن تحتمله ...

عائلة ( البنهاوى ) ...

( البنهاوية ) ...

بعد أن كان لعقود مصدر قوتها ، سيصير اليوم نقطة ضعفها ...

كيف سيمكنه أن يواجه هذا ؟!...

كيف ؟!...

اعتدل فجأة ، وهو يقول للسائق :

ـ لن أذهب إلى المنزل يا أسطى ( ناجى ) ... لدى مشوار هام أولًا .

قال السائق فى احترام :

ـ كما تأمر يا باشا ... إلى أين إن شاء الله ؟!

« إلى ( القاهرة ) يا ( مفيــد ) بك ... لابد وأن تزور ( حســين ) باشا اليوم ... حالته النفسية سيئة للغاية ... »

هتف ( لطفى ) بالكلمات عبر الهاتف فى توتر ، فسأله ( مفيد ) فى قلق شديد :

ــ لماذا يا أستاذ ( لطفى ) ؟!.. أبسبب طلبك الزواج من ( شريفة ) ؟!..

أجابه ( لطفى ) بكل توتره :

ــ لم أفاتحه فى هـــذا بعـــد يا ( مفيـــد ) بك ... لم تكن هناك مناسبة صالحة ... إنه يمر بحالة نفسية سيئة ، بعد مقابلته لسيادة الرئيس ، ولست أدرى ماذا دار بينهما .

انعقد حاجبا ( مفيد ) ، وسعل فى قوة ، كعادته كلما شعر بالانفعال ، وقال بصوت متحشرج :

ــ سأنطلق إليه على الفور يا أستاذ ( لطفى ) ... أشكرك .

أنهى المحادثة فى توتر ، فسأله ( عمر ) فى قلق :

ــ ماذا أصاب ( حسين ) ؟!

هزَّ رأسه ، مغمغمًا فى توتر :

ــ لست أدرى ... إنها المرة الأولى التى يمر فيها بهذا .

غمغم ( عبد الحكيم ) :

ــ ربما نبت له قلب فجأة .

التفت إليه ( عمر ) بنظرة صارمة ... فتراجع مستدركًا :

ــ أقصد ربما آلمه قلبه ... الباشا يبذل الكثير من الجهد .

نهض ( مفيد ) ، قائلاً :

ــ سأسافر إليه فى ( القاهرة ) فورًا .

سأله ( عمر ) فى اهتمام مخلص :



ــ هل تحب أن أرافقك ؟!

هزَّ ( مفيد ) رأسه نفيًا ، وسعل مرتين ، قبل أن يلوِّح بيده ، مجيبًا :

ــ لن يروق له هذا .

قال ( عبد الحكيم ) فى قلق :

ــ أنا لا يروق لى تعبك هذا ... لابد وأن تعرض نفسك على طبيب اخصائى .

حاول ( مفيد ) أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ــ سأفعل ... بإذن الله سأفعل . .

« أنا على ما يرام يا ( مفيد ) ... اطمئن ...»

قالها ( حسين ) فى هدوء زائد عن الحد ، حتى أن ( مفيد ) شعر بقلق حقيقى ، وهو يسأله :

ــ حقًّا ؟!

هزَّ ( حسين ) كتفيه ، قائلاً :

ــ إرهاق عمل ليس إلا ...

ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، مستطردًا :

ــ حتى النسور ، لابد لها من أن تهبط يومًا ... أليس كذلك ؟!

كان هادئاً للغاية ، حتى أن ( مفيد ) شعر بقلق حقيقى ، جعله يسأله فى تردد :

ـ هل تحب أن أبيت معك الليلة ؟!

ربَّت ( حسين ) على كفه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ أنت على الرحب والسعة دومًا ، ولكننى أفضل البقاء وحدى الليلة .

غمغم ( مفيد ) :

ـ ألا تريدنى أن أعدَّ لك شيئًا قبل رحيلى ؟!

هزَّ ( حسين ) رأسه مع ابتسامة ، لم ير ( مفيد ) مثلها على وجهه أبدًا ، فغمغم :

ـ كما تشاء يا ( حسين ) ... كما تشاء يا أخى .

هم بالنهوض ، ثم لم يلبث أن عاود الجلوس ، وهو يقول فى تردد :

ـ هناك أمر أرغب فى مفاتحتك به ، قبل أن أنصرف :

ـ أشار إليه ( حسين ) بيده ، يدعوه إلى الاستمرار ، فالتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ ( لطفى ) ، مدير مكتبك ، طلب منى يد ( شريفة ) .

بدت الدهشة على وجه ( حسين ) ، وهو يقول :

ـ ( لطفى ) ؟!... لم يفاتحنى أبدًا فى هذا .

ازدرد ( مفيد ) لعابه ، وقال بنفس التردد :

ـ كان يخشى مفاتحتك ، قبل أن يعرف رأى ( شريفة ) .

شرد ( حسين ) ببصره لحظات ، فأضاف ( مفيد ) فى حذر :



ـ ( شريفة ) موافقة ، ولكنها تنتظر موافقتك .

تواصل شرود ( حسين ) لحظات ، قبل أن يلتفت إلى ( مفيد ) بعينين حزينتين ، مغمغمًا :

ـ المهم موافقتك أنت يا ( مفيد ) .

شعر ( مفيد ) بصدمة قوية ، جعلته يتراجع فى مقعده بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ موافقتى أنا ؟!

ربَّت ( حسين ) على كفه مرة أخرى ، وابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ ألست شقيقها العاقل الرصين ؟!

واتسعت ابتسامته قليلاً ، وهو يضيف :

ـ والأمين .

تضاعف القلق والخوف فى قلب ( مفيد ) ، وهو يقول :

ـ ( حسين ) ... أخى ... أنت تقلقنى .

ربَّت ( حسين ) على يده مرة ثالثة ، ثم نهض ، والتقط مظروفًا كبيرًا ، ناوله إياه وهو يقول :

ـ احتفظ بهذا المظروف واحرص عليه ، وافتحه فى الوقت المناسب .

التقط ( مفيد ) المظروف فى توتر ، وهو يسأل فى قلق :

ــ ومتى هو الوقت المناسب ؟!

صمت ( حسين ) لحظات ، ثم بدت ابتسامته شاحبة للغاية ، وهو يجيب فى اقتضاب :

ــ ستعرف .

تردَّد ( مفيد ) ، وهو يسأله :

ــ ( حسين ) ... هل ...

قاطعه قبل أن يكمل سؤاله :

ــ هيا يا ( مفيد ) ؛ حتى لا يتأخَّر بك الوقت .

حاول ( مفيد ) أن يقول شيئًا ، ولكن ( حسين ) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يكرِّر فى حزم :

ــ اذهب يا ( مفيد ) .

لم يكن أمام ( مفيد ) سوى الطاعة ، على الرغم من كل ما يشعر به من قلق ، ولم يكد ( حسين ) يغلق الباب خلفه ، حتى أغمض عينيه فى قوة ، وتمتم :

ــ الوداع يا ( مفيد ) ... الوداع يا ( بنهاوية ) .

اتجه إلى شرفته المطلة على النيل ، واختار أفضل مقعد بها ، وجلس لحظات يتأمَّل نيل ( القاهرة ) ، ويسترجع ذكرى الليالى ، التى قضاها مع ( عايدة ) فى تلك الشرفة ، قبل أن يغمغم فى مرارة :



ــ الوداع أنت أيضًا يا ( عايدة ) .

وأخرج مسدسه ، من جيب معطفه المنزلى ...

واستيقظ حى ( جاردن سيتى ) كله ، على دوى الرصاصة .

★ ★ ★

# 20 ـ البديل ..

جنازة ( حسين البنهاوى ) لم تختلف كثيرًا عن حياته الحافلة ...

كانت جنازة كبيرة مهيبة ، سار فيها العديد من رجال السياسة والاقتصاد ، مع بعض الأسماء اللامعة ، اجتماعيًّا وفنيًّا ...

ولأنه ، وحتى لحظة موته ، كان يشغل منصبًا فى رياسة الجمهورية ، فقد تصدَّر الجنازة مندوب عن رئيس الجمهورية ، وآخر عن وزير الدفاع ، مع عدد من الرتب الكبيرة ...

نصف القرية تقريبًا سافر للمشاركة فى الجنازة ، التى عبرت أهم شوارع ( القاهرة ) ، مع نعش يلتف بعلم الجمهورية ...

وعلى الرغم من سطوته وقوته فى قريته ، ذرف الحاضرون منها أنهارًا من الدموع ، وهم يسيرون خلف نعشه ، ويواسون ( مفيد ) ، الذى سار إلى جوار مندوب رياسة الجمهورية ، ووجهه غارق فى دموع الحزن والأسى ...

أما تقرير الوفاة الرسمى ، فلم يشر من قريب أو بعيد ، إلى السبب الحقيقى لمصرع ( حسين البنهاوى ) ...

السبب الذى ذكره التقرير ، كان انفجارًا فى شرايين المخ ، نتيجة إجهاد فائق ...

الطبيب الذى وقع شهادة الوفاة ، لم يفعل شيئًا سوى توقيعها ...

لم ير جثة ( حسين ) ...



ولم يكتب حتى شهادة الوفاة ...

الشهادة أتت إليه ، مع مندوب خاص من الرياسة ، وكل بياناتها مكتوبة ، ولا ينقصها إلا توقيعه ...

ولقد فعل دون مناقشة ...

ولهذا لم يعلم مخلوق واحـد ، لا فى العائلة أو خارجها ، كيف لقى ( حسين البنهاوى ) مصرعه فعليًّا ...

وحتى بعد انتهاء الجنازة ، تم نقل الجثمان فى سيارة تابعة لرياسة الجمهورية ، مع اثنين من رجال الأمن ، أشرفا على عملية الدفن ، ليرقد جثمان ( حسين ) إلى جوار رفات والده الحاج ( البنهاوى ) ...

مراسم العزاء أقيمت فى جامع ( عمر مكرم ) فى ( القاهرة ) ، وعانت خلالها الشرطة معاناة كبيرة ، مع الأعداد الهائلة ، التى توافدت على قاعة العزاء ، والتى كان معظمها من الأسماء اللامعة فى ( مصر ) ...

( مفيد ) و( عمر ) و( عبد الحكيم ) و( فؤاد ) وقفوا لتلقى العزاء ، فى حين جلست ( ناهد ) و( شريفة ) و( نعيمة ) فى قاعة النساء ، وهن تبكين فى حرقة وحرارة ، شقيقهن الراحل ، الذى كان دومًا عزوتهن وسندهن ، وتستقبلن العزاء من زوجات المسئولين وبناتهم ...

أما ( طارق ) و( فاطمة ) و( حافظ ) ، فقد بقوا فى السراى ، يستقبلون المعزين ، الذين لم تسمح ظروفهم بالسفر إلى ( القاهرة ) ...

الكل بكى ( حسين البنهاوى ) ، على الرغم من تاريخه ...

الكل بلا استثناء ...

ربما كان السبب وفاته المفاجئة ...

أو الحزن على موته فى سن مبكرة ...

أو لأنه ، وفى كل الأحوال ، جعل قريتهم محط الأنظار لعقود ..

وعقب انتهاء العزاء ، عادت الأسرة من ( القاهرة ) ، وقد شملها صمت مهيب ، إلا من أصوات النحيب والبكاء ...

« الآن ستعود الأرض إلى أصحابها ... »

غمغم ( فؤاد ) بالعبارة ، وهو يجلس فى سيارة ( عبد الحكيم ) ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى ضيق غاضب ، فى حين قال ( عمر ) فى حدة :

ــ هــل ماتت مشاعرك يا هذا ؟!... الرجل لم يبرد فى قبره بعــد !!

هزّ كتفيه فى عصبية ، وهو يقول :

ــ وهل ستعيده اللباقة إلى الحياة !!

تبادل ( عمر ) و( عبد الحكيم ) نظرة امتعاض ، ولم يحاول أحدهما مجادلته ، إلا أنه ، وبعد وهلة من الصمت ، اعتدل يسأل فى اهتمام :

ــ المرحوم ( حسين ) طلّق الأميرة ( عايدة ) قبل موته ، ألا يعنى هذا أن أسرته هم الورثة الوحيدون لــ ...

صاح به ( عبد الحكيم ) فى حدة :

ــ ماذا أصابك يا ( فؤاد ) ؟!... هل تثير أرض ( البنهاوى ) لهفتك إلى هذا الحد ؟!...

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حدة :

ــ لا ضرر فى عودة الحقوق لأصحابها .



صاح به ( عمر ) فى غضب :

ــ اصمت يا ( فؤاد ) ... اصمت .

تراجع ( فؤاد ) فى المقعد الخلفى فى حنق ، وحافظ على صمته لعشر دقائق ، قبل أن يعتدل فجأة ، متسائلاً :

ــ كم يستغرق إعلان الميراث ؛ ليصبح نافذًا ؟!

صرخ ( عمر ) بكل غضبه :

ــ اصمت .

« لماذا يا ( حسين ) ؟!...»

غمغم بها ( مفيد ) ، مــن وســط دموعه الغزيرة ، وهو يجلس فى شرفة حجرته فى السراى ، قــرب انبلاج الفجــر ، يدخن واحدة من سجائر ( جودة ) ، ويشعر بعذاب شديد فى ضميره ...

لم يكن ينبغى له أن ينصرف ، عندما طلب منه ( حسين ) هذا ...

كان عليه أن يبقى إلى جواره ...

( حسين ) كان يحتاج ــ يومئذ ــ لمن يؤازره ، ويبقى إلى جواره ...

لماذا انصرف وتركه ؟!...

لماذا ؟!

انهمرت الدموع غزيرة من عينيه ، وراح يسعل بقوة ، حتى أنه عندما مسح فمه بمنديله ، اصطبغ معظمه بلون الدم ، الذى بدا مذاقه واضحًا فى حلقه ...

« لماذا يا ( حسين ) ؟!... »

كررها مرة أخرى ، قبل أن يتذكَّر فجأة أمرًا هامًّا ...

ذلك المظروف ...

المظروف الذى سلمه له ( حسين ) ، وطلب منه فتحه فى الوقت المناسب ...

كان يشعر بمصيره إذن ...

نهض يستعيد ذلك المظروف ، وأمسك به بيديه معًا ، وهو يسأل نفسه :

ـ هل حانت لحظة فتحه ؟!...

الجواب أتاه فى سرعة ، مع خفقات قلبه القوية ...

تُرى ماذا يحوى ذلك المظروف ؟!...

ماذا ؟!

فضَّ المظروف بأصابع مضطربة ، وألقى نظرة داخله ...

هناك مفتاح له هيئة عجيبة ، وعليه رقم معلَّق ببطاقة ممغنطة ، وعدد من الأوراق ، الممهورة بالأختام الرسمية ...

وبنفس الأصابع المضطربة ، التقط الأوراق ، التى ألصق بها ( حسين ) كلمات قليلة بخطه ...

وفى سرعة ولهفة وتوتر ، التهمت عيناه تلك الكلمات القليلة ...

ثم انتفض قلبه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ...

فما تركه له ( حسين ) كان مفاجأة ...



مفاجأة صادمة ...

إلى أقصى حد ...

★ ★ ★

« ألم أقل لك ؟!... »

قالتها ( جيهان ) فى هدوء ، يحمل لمحة ساخرة ، جعلت ( مكى ) يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا قلت لى بالضبط ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ من الخطأ أن تصادق ذئبًا ، متصورًا أنه لن ينشب مخالبه فى جسدك يومًا .

قالتها ، وأطلقت ضحكة ساخرة مستفزة ، جعلته يقول فى صرامة :

ـ من أين اكتسبت هذه الحكمة ؟!

مالت نحوه ، مجيبة فى سرعة :

ـ من رأس الذئب المقطوع .

ثم أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، زادت من ضيقه وتوتره ، فمال نحوها بحركة حادة ، قائلاً فى شراسة :

ـ اسمعى أيتهـا المتحذلقة ... لو تصوَّرت أنك قـادرة على اللعب بـ ( إبراهيم مكى ) فأنت واهمة ... لقد سحقت من هم أكثر قوة منك كثيرًا ، بأطراف أناملى .

قالت ساخرة :

ـ حقًا ؟!

أجابها فى خشونة :

ـ نعم حقًا يا امرأة ... لقد كان بيننا اتفاق ... عقد شراكة ، وأنا نفذت الجزء الخاص بى من العقد ، وبقيت الخطوة الأخيرة .

التمعت عيناها ، وهى تقول :

ـ الشركة ؟!

تراجع فى مقعده ، قائلاً فى صرامة شرسة :

ـ نعم ... مع توقيع عقدها ، تكون الصفقة المتفق عليها قد تمت .

ابتسمت ابتسامة لم ترق له ، وهى تقول :

ـ وتصبح أنت من كبار رجال المال والأعمال فى ( مصر ) .

قال فى خشونة :

ـ هل يزعجك هذا ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ مطلقًا !

ثم نهضت مستطردة :

ـ ولكن اسمح لى ... ستقلع طائرتى بعد ثلاث ساعات ، ولابد وأن أعد حقائبى .



هتف مستنكرًا :

ـ حقائبك ؟!... أتتصوَّرين أنه يمكنك خداعى بهذه البساطة .

قالت فى سخرية :

ـ خداعك ؟!... تفكر كذئب وحشى يا ( مكى ) ، وتجهل كيف تتعامل مع سيدة محترمة .

ثم مالت نحوه ، مضيفة :

ـ قبل أن أغادر الفندق ، سيكون-مدير أعمالى الفرنسى ( رينو ) ، قد وقع معك عقد الشركة .

قال فى شك قاسى :

ـ مدير أعمالك ؟!... ولماذا لا توقعينه بنفسك .

اتسعت ابتسامتها الساخرة ، وهى تقول :

ـ سل أقارب ( حسين ) ، وسيخبرونك أن ( رينو ) هو من يوقِّع كل عقودى ... ثم أنه يمكنك أن تأمر أحد رجالك بمراقبتى ، حتى يتم توقيع العقد .

جذبها من معصمها ، وهو يقول فى حدة :

ـ لو أنك تخدعيننى ...

لم يتم عبارته ، ولم يكن حتى بحاجة إلى هذا ، إلا أنه لم ترق له ابتسامتها على الإطلاق ، وهى تجيب :

ـ أتظننى أجرؤ على هذا ؟!..

ثم أفلتت معصمها من يده فى رقة ، واعتدلت مستطردة :

ــ وأحب أن أخبرك أنك كنت مصدر إلهام كبير لى ... أشكرك .

قالتها ، وقبّلت أطراف أصابعها ، ثم فردتها أمامها ، ونفخت أصابعها ، وكأنها ترسل القبلة إليه ، قبل أن تلوح بأصابعها ، قائلة :

ــ الوداع يا ( مكى ) بك ... أسعدنى كثيرًا التعاون مع ذئب مثلك .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يشاهدها تبتعد فى أناقة ، وأتبع نصيحتها ، فأشار إلى أحد رجاله بمتابعتها ومراقبتها ، وجلس يلتهم توتره الشديد ، وعقله يستعيد كل عبارة نطقتها ...

كل جملة ...

كل كلمة ...

بل كل حرف ...

وفى أعماقه تصاعدت شكوك عديدة ، و ...

« مسيو ( مكى ) ؟!... »

أتاه السؤال من خلفه بالفرنسية ، فالتفت إلى شاب أشقر وسيم يقف خلفه ، مستطردًا :

ــ ( رينو بولارد ) ... مدير الأعمال .

عاد حاجبا ( مكى ) ينعقدان ، وهو يسأله :

ــ هل تحمل عقد الشركة ؟!

جلس ( رينو ) أمامه ، قائلاً :



ــ بكل تأكيد .

فتح حقيبة أنيقة ، والتقط منها عقدًا من نسختين ، ناوله إياه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ يمكنك أن تقرأه جيدًا بالطبع ، قبل التوقيع عليه .

غمغم ( مكى ) فى صرامة :

ــ سأفعل بالتأكيد .

قرأ العقد فى دقة حرفًا بحرف ، قبل أن يرفع عينيه إلى ( رينو ) ، قائلاً فى خشونة :

ــ هناك فقرة تقول : إننى سأحصل على مائة ألف دولار ، فور توقيع هذا العقد ، كدليل على حسن النوايا .

أخرج ( رينو ) مظروفًا منتفخًا من حقيبته ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى يا مسيو ( مكى ) ... عـدًا ونقدًا ، ويمكنك عدها ، قبل التوقيع على العقد .

صمت ( مكى ) لحظات مفكرًا ، قبل أن يغمغم :

ــ لا بأس ... سأمنحكم ثقتى هذه المرة .

وقع العقد بالفعل ، ومد يده يلتقط المظروف ، و ...

« ( إبراهيم مكى ) ...»

سمع اسمه بكل الصرامة ، فالتفت إلى ناطقه ، الذى واصل فى قسوة :

ـ البلاغ كان صحيحًا ... كل شيء تم تسجيله بالصوت والصورة ، بإذن وتصريح نيابة أمن الدولة .

صدمه الموقف ، ولكنه قال فى عصبية :

ـ عقود العمل لا تخضع لنيابة أمن الدولة ... ربما هو تجاوز قانونى ، ولكن ...

قاطعه الرجل ، وهو يميل نحوه ، قائلاً بكل صرامة :

ـ البلاغ لم يكن بشأن التجاوزات الوظيفية يا ( مكى ) بك ، ولكن حول تقاضى رشوة من جهة أجنبية ؛ لتسليمها معلومات بالغة السرية .

امتقع وجه ( مكى ) ، وهو يهتف مختنقًا :

ـ جهة أجنبية ... معلومات سرية ؟!

اعتدل الرجل ، ونظر إلى ( رينو ) فى صرامة ، قائلاً :

ـ ألا تتفق معى فى هذا يا أدون ( دافيد ) ؟!

انتفض جسد ( مكى ) فى قوة ، وهو يهتف :

ـ ( دافيد ) ؟!... إنه ( رينو بولارد ) ، مدير أعمال الـ ...

قاطعه الرجل فى صرامة أشد قسوة :

ـ هذا الرجل هو ( دافيد ليكنشتاين ) ... سكرتير بالسفارة الإسرائيلية ، التى أبلغتنا عن تفاوضك معها ، وأيّدت السيّدة ( جيهان ) تلك المعلومة ، بعد أن طلبت منها التوسّط ، لعقد تلك الصفقة القذرة .



اتسعت عينا ( مكى ) عن آخرهما فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه الرجل ...

سكرتير فى السفارة الإسرائيلية ؟!...

فعلتها ( جيهان ) ...

« كنت مصدر إلهام لى ...»

« من الخطأ أن تصادق ذئبًا ، متصورًا أنه لن ينشب مخالبه فى جسدك يومًا ... »

استعاد كلماتها ، وهو يحدق ذاهلاً فى الرجل ، الذى أشار لرجاله بإلقاء القبض عليه ، فى حين ارتسمت ابتسامة ظافرة على وجه ( دايفيد ) ، وهو يقول :

ـ أظن هذا دليل على حسن نوايانا بشأن السلام ياكولونيل .

صافحه الرجل بلا حماس ، وهو يغمغم :

ـ شكراً لكم وللسيّدة ( جيهان ) ، على تعاونكما المثمر .

مستحيل أن يكون هذا حقيقيًا ...

مستحيل أن تهزمه هـاوية ، وهو الذى سحق المحترفين بذكائه ودهائه طوال عقود !!...

مستحيل !!...

وبكل الازدراء ، قال الرجل ، وهو يشير إلى أحد رجاله :

ــ لست أدرى ، كيف لرجل له تاريخ حافل مثلك ، أن ينهى حياته بخيانة حقيرة لوطنه !!

لم يحاول ( مكى ) التعليق ، مع الغصّة الكبيـرة ، التى أغلقت حلقـه تمامًا ...

وبينما كان الرجال يحيطون معصميه بالأغلال ، شاهد بوجه محتقن وعينين زائغتين ( جيهان ) ، وهى تسير خلف حامل حقائبها فى أرستوقراطية واضحة ...

وعندما وقع بصره عليها ، مع ملامحها الذئبية الناعمة ، التمعت عيناها ، ولوّحت له بأناملها فى رقة ، مع ابتسامة ظافرة ..

لقد فعلت ما عجز العمالقة عن فعله طويلاً ...

واجهت قطيع الذئاب ...

والتهمته ...

كله ...

وانتقمت ...

انتقمت انتقام امرأة ...

غاضبة ...

★ ★ ★

حمل صوت ( فؤاد ) كل غضبه وتوتره ، وهو يجلس فى حجرة مكتب ( مفيد ) فى المصنع ، قائلاً :



ــ إلى متى سننتظر ؟!

تبادل ( عمر ) و( عبد الحكيم ) نظرة متوترة غاضبة ، فى حين بدا ( مفيد ) هادئًا ، باستثناء سعاله مرتين ، قبل أن يتساءل :

ــ تنتظرون ماذا ؟!

هتف ( عبد الحكيم ) :

ــ ( مفيد ) ... ليس لنا شأن فيما يقصده ( فؤاد ) ... إننا ...

قاطعه ( مفيد ) بإشارة من يده ، وهو يعاود سؤاله ، فى شىء من الحزم هذه المرة :

ــ تنتظرون ماذا يا ( فؤاد ) بك ؟!

أجابه ( فؤاد ) فى عصبية :

ــ إعلام الميراث ... أليس من الطبيعى أن يتم توزيع ميراث المرحوم ( حسين ) ، على ورثته الشرعيين ؟!

لم يجب ( مفيد ) ، وهو يتراجع فى مقعده فى هدوء ، متطلعًا إلى ( فؤاد ) فى صمت ، استفز هــذا الأخيــر ، فضرب سطح المكتب بقبضته ، وهو يهتف :

ــ مضى أكثر من شهر الآن ، على وفاة المرحوم ( حسين ) ، وأنت اختفيت لأسبوع كامل .

غمغم ( مفيد ) فى هدوء :

ــ كنت مسافرًا خارج البلاد .

لوَّح ( فؤاد ) بذراعه كلها فى حدة ، وهو يهتف :

ــ هذا شأنك ... ولكن واجبك أن تستخرج إعلام الوراثة ، اللازم لتوزيع ثروة ( حسين ) .

ظلَّ ( مفيد ) صامتًا ، يتطلَّع إليه فى هدوء ، فى حين قال ( عمر ) بكل توتره :

ــ لماذا العجلة يا ( فؤاد ) ؟!... أنت تعلم أن ( مفيد ) رجل شريف ، ومن المستحيل أن ...

قاطعه ( فؤاد ) بضربة أخرى ، على سطح مكتب ( مفيد ) ، وهو يصيح بكل الغضب والحدة :

ــ أريد حق زوجتى ... هل تفهمون ؟!... فرطوا أنتم فى حقوقكم لو أردتم ، ولكننى لن أفعل .

تبادل ( عمر ) و( عبد الحكيم ) نظرة متوترة أخرى ، فى حين بدا ( مفيد ) هادئًا أكثر مما ينبغى ، فى مثل هذا الموقف ، باستثناء شحوب وجهه ، وصوت أنفاسه المرتفع ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا ( فؤاد ) بك ... كل شىء سيكون قانونيًّا تمامًا .

تراجع ( فؤاد ) فى مقعده ، وهو يغمغم فى عصبية :

ــ هذا كل ما أنشده .

عاد ( مفيد ) إلى صمته لحظات أخرى ، ثم اعتدل ، قائلاً فى حزم :



ــ الليلة فى السراى ... ستجتمع الأسرة كلها ؛ لأخبركم كم تبلغ ثروة حسين ــ رحمه الله ــ بالورقة والقلم والمستندات .

التمعت عينا ( فؤاد ) ، وهو يقول :

ــ هكذا يكون الكلام .

« ولكن لماذا ؟!... »

غمغم ( طارق ) بالسؤال ، فى حجرة والديه ، فربَّتت ( فاطمة ) على كتفه فى حنان ، وهى تقول بصوتها الخشن :

ــ لماذا ماذا يا ولدى ؟!

أشار ( طارق ) بيده ، متسائلاً :

ــ لماذا يجمع عمى ( مفيد ) الأسرة كلها ، لإعلان ثروة عمى ( حسين ) رحمه الله ــ ؟!... ألم يكن إعلام ميراث يكفى ؟!

تنهَّدت ، وواصلت مساعدة ( حافظ ) على ارتداء ثيابه ، وهى تقول :

ــ عمك ( مفيد ) هو أشرف وأفضل فرد ، فى عائلة ( البنهاوى ) كلها ، ولا ريب أنه لديه مبرراته .

ثم ابتسمت فى حنان ، مضيفة :

ــ ألم تر بنفسك ، منذ عملت فى المصنع ، كم يحبه كل العاملون هناك ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، وهو يغمغم :

ــ من الصعب ألا تحبى عمى ( مفيد ) .

ربَّتت على صدره مبتسمة ، قبل أن تسأله فى اهتمام :

ـ هل حضر الآخرون ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ كلهم هناك فى انتظارنا .

« يا للزمن الأغبر !!... »

غمغمت ( نعيمة ) بالكلمات فى حنق ، فرمقها زوجها ( عمر ) بنظرة قاسية ، فى حين تطلع إليها ( مفيد ) فى هدوء ، ولكنها تابعت فى حنق أكبر :

ـ عائلة ( البنهاوى ) كلها ، تجلس فى انتظـر وصـول البرنسيسة ( فاطمة ) .

زمجر ( عمر ) ، قائلاً فى صرامة :

ـ اصمتى .

واصـل ( مفيـد ) التطلع إليها ، فى حين بدا ( فؤاد ) عصبيًّا ، وهو يقول :

ـ هل سننتظر طويلاً ؟!

ظهرت ( فاطمة ) على باب الحجرة ، وخلفها ( طارق ) يعاون والده على السير ، فهتفت ( نعيمة ) فى حدة :

ـ أخيرًا جاءت البرنسيسة .

احتقن وجه ( فاطمة ) ، وهمَّت بقول شىء ما ، ولكن ابتسامة ( مفيد ) الحانية جعلتها تغمغم :



ـ ( حافظ ) احتاج بعض الوقت .

قال ( مفيد ) فى حنان :

ـ لا بأس يا ( فاطمة ) ... المهم أن نجتمع جميعًا .

قال ( فؤاد ) فى عصبية :

ـ ومادمنا قد اجتمعنا ، فلا داع لإضاعة المزيد من الوقت .

تطلَّع إليه ( مفيد ) فى صمت ، فى حين بدا التوتر والحرج على الجميع ، وغمغمت ( ناهد ) محنقة :

ـ ( فؤاد ) .

التفت إليها بنظرة غاضبة ، فقال ( مفيد ) :

ـ ( فؤاد ) بك على حق ... لا داع لإضاعة المزيد من الوقت .

ثم التقط ورقة من جيبه ، وفضها قائلاً :

ـ بخلاف الأرض والسراى ، ترك ( حسين ) نصيبه فى مصنع الغزل القديم ، وحوالى عشرة آلاف جنيه مصرى فى البنك .

هتف ( فؤاد ) مستنكرًا :

ـ فقط ؟!... ( حسين البنهاوى ) بجلالة قدره ، لم يترك سوى عشرة آلاف جنيه ، بعد كل هذه السنين ؟!

رفع ( مفيد ) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ حسابات ( حسين ) ـ رحمه الله ـ كانت كلها مودعة فى بنك خاص فى ( زيورخ ) .

هتف ( فؤاد ) :

ــ لهذا سافرت لمدة أسبوع ؟

سرت همهمة بين الجميع ، فانتظر ( مفيد ) حتى هدأت ، قبل أن يجيب :

ــ هذا صحيح ... ( حسين ) ترك لى قبل وفاته ، كل ما يلزم للتعامل مع حسابه السرى فى ( زيورخ ) ... وهناك وجدت أنه يمتلك حوالى مليونى دولار .

هتف الكل فى انبهار :

ــ مليونا دولار دفعة واحدة .

وقال ( فؤاد ) فى انفعال :

ــ هذا يساوى مليون ونصف مليون جنيه بالمصرى ، بالسعر الرسمى .

غمغم ( مفيد ) :

ــ تقريبًا ... ولكن جزء من هذا المبلغ من حق ( عمر ) و( عبد الحكيم ) ؛ لأن ( حسين ) استولى على ثلث مصنعهما القديم بسيف القهر .

بدت الدهشة على وجهى ( عمر ) و( عبد الحكيم ) ، فى حين غمغمت ( نعيمة ) مبتسمة :

ــ المال الحلال لا يضيع .

أما ( فؤاد ) ، فصاح فى غضب :

ــ ليس من حقك ... المال مال الجميع ، وليس من حقك توزيعه كما تشاء ، و ...



قاطعه ( مفيد ) فى صرامة مفاجئة :

ــ ( فؤاد ) بك ... هــل تذكر ما فعله والــدى الراحل قبل وفاته ؟!

قال ( عمر ) فى توتر :

ــ كتب ثروته كلها باسم ( حسين ) وحده .

رفع ( مفيد ) سبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ــ بشرط توزيع الأنصبة الشرعية بالعدل على الجميع .

غمغمت ( فاطمة ) فى حسرة :

ــ لم يكن ــ رحمه الله ــ عادلاً معنا .

وأضاف ( طارق ) :

ــ كان يعاقب أمى .

أمسك ( حافظ ) يده ، قائلاً :

ــ هو عمك وشقيقى ، ولا تجوز عليه اليوم سوى الرحمة .

صاح ( فؤاد ) :

ــ ما شأننا نحن بحديث قديم كهذا ؟!

شدَّ ( مفيد ) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ــ لأن ( حسين ) ــ رحمه الله ــ كرَّر نفس ما فعله والدى الراحل .

امتقع وجه ( فؤاد ) ، وهو يقول :

ــ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ لقد كتب كل ما يمتلك باسمى وحدى ، وبنفس الشروط ... أن أقوم بتوزيع الأنصبة الشرعية على الجميع بالعدل .

وكانت صدمة هائلة ...

للكل ...

بلا استثناء .

★ ★ ★



## 21 ـ النصيب ...

يا لها من مسئولية جسيمة ...

( حسين ) وضعك حيث أردت الفرار دومًا ...

وضعك فى موضع المسئولية ...

أموال ( البنهاوية ) كلها صارت ملكًا لك ...

وعلى نحو قانونى تام ...

( عمر ) و( عبد الحكيم ) تقبلا الأمر دون مناقشة ، وحصلا على مائة ألف جنيه ، تعويضًا عما أصابهما من ضرر ، مع تنازله لهما عن نصيب ( حسين ) فى المصنع القديم ؛ ليعود الحق إلى أصحابه ...

( فؤاد ) لجأ لشقيقه ، وأقام الدنيا وأقعدها ، ورفع الأمر للقضاء ...

وخسر ...

( نعيمة ) و( ناهد ) أيضًا تقبلتا الأمر على مضض ، ثقة منهما فى أن ( مفيد ) لن يلبث أن يعيد الأمور إلى نصابها ...

( طارق ) لم يعجبه الأمر ، ولكنه لم يعترض ...

( حافظ ) لم يبال ...

( فاطمة ) شعرت أن وجود المال مع ( مفيد ) أكثر أمانًا ، خاصة وأنه قد أعاد لها كل ما خصمه ( حسين ) من نصيب ( حافظ ) ، خلال السنوات الماضية ، وأعاد إليها نصيبها الشرعى دون انقطاع ...

أما ( شريفة ) ، فلم تبال كثيرًا بهذا ، وخاصة عندما جاء ( لطفى ) للتعزية ، وكرَّر طلبه ليدها فى حياء ...

لم تبال إطلاقًا ؛ لأن ( مفيد ) وافق ، على ألا يتم الزفاف قبل مرور عام على وفاة ( حسين ) ...

ولكن قبل مرور ثلاثة أشهر ، تم زفافها على ( لطفى ) ، دون حفل زفاف أو صخب ...

والعجيب أن ( فاطمة ) قد بكت كثيرًا وهى تحتضنها ، قبل أن تغادر السراى إلى منزل ( لطفى ) فى ( القاهرة ) ...

بكت بمشاعر حقيقية ...

كان من الواضح أن ( فاطمة ) ، على الرغم من سوقيتها وخشونة صوتها وغلظتها ، تخفى فى أعماقها قلبًا طيبًا ، حجبه الغضب عن ظاهرها ...

وفى شرفة حجرته ، جلس ( مفيد ) يسعل فى شدة كعادته ...

السعال صار جزءًا سخيفًا معتادًا من حياته ...

وهو يدرك جيدًا ماهيته ، التى لم يخبر بها أحدًا قط ...

ورم خبيث فى الرئة ...



ورم لا علاج له ...

ياللقدر !!...

نسل ( البنهاوية ) ينقطع ...

( حسين ) مات ، وهو فى سبيله إلى هذا ، و( حافظ ) لا يصلح لموقع كبير العائلة ...

وهناك الأرض والسراى والثروة ...

كنز ( البنهاوية ) ...

لمن سيذهب ؟!...

لمن ؟!..

عند هذه النقطة ، تعالى سعاله وتواصل ، حتى أن الدماء تناثرت من فمه هذه المرة ، لتلوِّث سور الشرفة ، وشعر بالأرض تميد به ، وبساقيه تعجزان عن نهوضه ، فهتف :

ـ ( طارق ) ...

لم تمض ثوان ، حتى كان ( طارق ) يندفع إلى حجرته ، هاتفًا :

ـ عمى ( مفيد ) ... ماذا بك ؟!

شاهد الدماء التى تلوث سور الشرفة ، والشحوب الشديد فى وجه ( مفيد ) ، فأسرع يسنده بجسده ، ويحيطه بذراعيه ، صارخًا :

ـ أمى ... أمى ...

وكان هذا آخر ما سمعه ( مفيد ) ، قبل أن تظلم الدنيا أمام عينيه ... تمامًا ...

« لا أخفى عنكم ... الحالة متأخرة للغاية ... »

سمع ( مفيد ) العبارة فى صعوبة ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، فأبقى عينيه مغمضتين ، وسمع صوت ( عمر ) يقول فى ارتياع :

ـ نستطيع نقله إلى أكبر مستشفى خارج البلاد ، و ...

قاطعه الطبيب فى أسف :

ـ الأمر تجاوز العلاج بكثير يا أستاذ ( عمر ) ... ربما لو بدأنا قبل ستة أشهر ... ربما ... الآن المرض انتشر فى جسده كله ... فى الكبد ، والمعدة ، وحتى فى المخ .

تساءل ( عبد الحكيم ) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ نحن مستعدون لدفع كل ما نملك ، من أجل شفائه .

بدا صوت الطبيب أكثر أسفًا ، وهو يجيب :

ـ ليت المال قادر على شفاء تلك الأمراض المستعصية .

تناهى صـــوت بكاء حـــار لأذنى ( مفيد ) ، الذى ظلَّ مغلق العينين ، يميِّز أصوات شقيقاته وأزواجهن من حوله ، قبل أن يشعر بيد تقبض على كفه ، وصاحبها يقول فى حزن شديد :



ـ ماذا يمكننا أن نفعل ؛ لنخفِّف معاناته على الأقل ؟!

غمغم الطبيب :

ـ هنا سنفعل كل ما بوسعنا ... والآن أرجوكم أن تنصرفوا جميعًا ، حتى يمكننا القيام بعملنا .

تشبَّث ( طارق ) بيد ( مفيد ) ، وهو يقول :

ـ أنا سأبقى إلى جواره .

هتفت ( ناهد ) من وسط دموعها :

ـ كلنا سنبقى .

قال الطبيب فى صرامة :

ـ لا يمكننا أن نسمح إلا ببقاء مرافق واحد .

كرَّر ( طارق ) ، فى إصرار حاسم :

ـ أنا سأبقى .

ظلَّ ( مفيد ) مغلق العينين ، مع ما يشعر به من ضعف شديد ، حتى أدرك أن الكل قد غادر حجرته ، ولم يتبق سوى ( طارق ) ، الذى مازال يمسك يده فى حنان ، ففتح عينيه فى بطء ، وحاول أن يبتسم فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ كيف حال ( البنهاوى ) الصغير ؟!

تهللت أسارير ( طارق ) ، وانسالت الدموع من عينيه ، وهو يقول :

ــ بخير ، مادمت بخير يا عمى .

حاول ( مفيد ) أن يشدَّ على يده ، إلا أن ضعفه الشديد لم يمكنه من هذا ، فتمتم فى تهالك :

ــ أنت الامتداد الوحيد لعائلة ( البنهاوى ) يا ( طارق ) .

شدَّ ( طارق ) على يده ، قائلاً فى حنان مشفق :

ــ أطال الله فى عمرك يا عمى .

حاول ( مفيد ) أن يبتسم ، وسعل مرة ، نشرت آلامًا مبرحة فى كيانه كله ، قبل أن يغمغم ، فى صوت مختنق متحشرج :

ــ البركة فيك أنت يا ( طارق ) .

مسح ( طارق ) دموعه ، وهو يقول :

ــ البركة فيك يا عمى ... إن شاء الله ، ستنهض بألف سلامة ، و ...

تطلّع إليه ( مفيد ) ، ثم أسبل عينيه ، وراحت حياته تنطلق فى ذهنه ، وكأنه يستعرض كل لحظة منها ...

ثم توقّفت ذكرياته ومشاعره كلها عند أمر واحد ...

( مديحة ) ...

لم يحظ بها فى الدنيا ، وربما ينعم الخالق عزّ وجلّ عليه بها فى الآخرة ...



« ( مديحة ) .. »

غمغم باسمها فى خفوت شديد ، لم يستوعبه ( طارق ) ، فمال نحوه ، متسائلاً :

ــ ماذا تريد ياعماه ؟!..

فتح عينيه فى صعوبة ، وتراخت أصابعه بين أصابع ( طارق ) ، وهو يتمتم مكررًا :

ــ البركة فيك يا ( طارق ) ... يا ( بنهاوى ) .

مع آخر حروف كلماته ، تراخت أصابع ( مفيد ) تمامًا ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة جافة ، وتجمَّدت عيناه ، على نحو ارتجف له جسد ( طارق ) ، وهو يهتف فى هلع :

ــ عمى ( مفيد ) ... عمى ( مفيد ) ...

ولكن ذلك الأزيز المتصل ، الذى انبعث من جهاز مراقبة القلب ، وهروع الطبيب وطاقم التمريض إلى الحجرة ، جعله يدرك الحقيقة المفزعة ...

عائلة ( البنهاوى ) تتقلص ...

وبسرعة ...

★ ★ ★

على الرغم من أن جنازة ( مفيد البنهاوى ) لم تكن بنفس مهابة جنازة ( حسين ) ، إلا أنها كانت تختلف فى أمر آخر ...

الحب ...

والحزن ...

القرية كلها بلا استثناء ، سارت خلف نعش ( مفيد ) ...

عمـــال المصنعين بالكامل تسابقوا لحمل النعش ، وإيصال ( مفيد ) إلى مثواه الأخير ...

دموع الحب والحزن ، التى انسكبت خلال الجنازة ، كانت تكفى لرى أرض القرية لعام على الأقل ...

( جودة ) وحده لم يحضر الجنازة ، لأن شباب القرية كلهم بقيادة ( طارق ) حطموا مقهاه وطردوه خارج القرية ، وهددوا بقتله ، لو وطأها بقدميه مرة أخرى ...

لم يكن هناك سرادق عزاء فى المساء ؛ لأن القرية كلها تحولت إلى سرادق عزاء كبير ...

الحب الذى يكنه كل فرد فى القرية ، وكل عامل فى المصنع ، كان العزاء الأساسى ، الذى شعرت به القرية ...

كل النساء ارتدين السواد لشهرين كاملين ، وكأنما أعلنت القرية الحداد ، على خيرة شبابها وأطيبهم وأشرفهم وأكثرهم رحمة وحنانًا ...



وعلى الرغم من أنهن جميعهن متزوجات ، شعرت نساء ( البنهاوية ) بأنهن قد فقدن السند والحماية بوفاة ( مفيد ) ...

« تلك الحقيرة لابد وأن تغادر السراى ... »

هتفت ( نعيمة ) بالعبارة فى مقت ، فصاحت بها ( ناهد ) :

ــ أى قول هــذا يا ( نعيمة ) ... ( فاطمة ) زوجة ( حافظ البنهاوى ) ، وأم ( طارق البنهاوى ) ، ومن حقها أن تقيم فى السراى معهما .

صاحت فى حقد :

ــ لن ترث تلك العقربة سراى ( البنهاوى ) .

قالت ( شريفة ) فى حدة :

ــ كفى يا ( نعيمة ) ... ( فاطمة ) لا تستحق منك كل هذا .

صاحت ( نعيمة ) فى غل :

ــ ولا تستحق ابنة عّلاف البهائم هذه ، أن تقيم فى سراى أبى .

برز ( عمر ) فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ على العكس ... هى وحدها تملك حق الإقامة فى ذلك السراى الملعون .

تراجعت ( نعيمة ) مصعوقة ، وهى تقول فى ارتياع :

ــ ماذا تعنى ؟!

« كتب كل شىء باسم ( طارق ) ؟!...»

هتف بها ( فؤاد ) فى هلع ، فأومأ ( عبد الحكيم ) برأسه ، مجيبًا :

ـ كل شىء ... الأرض ... والسراى ... وحتى النقود السائلة ، ونصيبه فى المصنع .

اتسعت عينا ( فؤاد ) فى ذعر ذاهل ، قبل أن يهتف فى ثورة :

ـ أية عائلة مجانين هذه ؟!

أشار ( عبد الحكيم ) بيده ، قائلاً :

ـ لقـد وضع الشرط نفسـه ، الذى وضعه من قبـل والده وشقيقه الراحلين ... أن يقـوم ( طارق ) بتوزيع الأنصبة بالعدل .

صاح ( فؤاد ) :

ـ أى عدل ؟!... كلهم ظالمون ... كلهم ...

التقط ( عبد الحكيم ) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ كل شىء قانونى تمامًا .

هتف ( فؤاد ) :

ـ كلا ... أية تعاملات أو عقود خلال مرض الموت ، غير معترف بها .

غمغم ( لطفى ) الذى ظل صامتًا منذ البداية :

ـ المرحوم ( مفيد ) كتب كل شىء باسم الأستاذ ( طارق ) ، بعد أسبوع واحد ، من انتقال الثروة إليه .



تراجع ( فؤاد ) شاحبًا ، فى حين غمغم ( عبد الحكيم ) :

ـ ألم أقل لك .

« كل شىء قانونى تمامًا ... »

قالها ( طارق ) فى صرامة شديدة ، فى وجه عائلة ( البنهاوى ) كلها ، فاحتقن وجه ( نعيمة ) فى شدة ، وهى تهتف :

ـ وهل تتصورّ أن ...

قاطعها بكل صرامة :

ـ ما أتصورّه يا عمتى ، أنك اليوم تجلسين فى سراى لا تملكين شبرًا واحدًا فيه .

تراجعت مصعوقة ، فى حين جذب هو ( فاطمة ) إليه ، مستطردًا بكل الصرامة والحزم :

ـ ولكى تبقى فيه ، لابد لك من الحصول على موافقة صاحبته .

انحدرت الدموع من عينى ( فاطمة ) ، وهى تمسك كف ابنها ، الذى أضاف فى قوة :

ـ أمى .

اتسـعت عيونهم جميعًا فى ذهـول مصـعوق ، وغمغمت ( نعيمة ) ، وقلبها يكاد يتوقف :

ـ ( فاطمة ) ؟!

هتف فى حدة :

ــ ( فاطمة ) هانم ... مالكة أرض ( البنهاوى ) وسراياه ... ( فاطمة ) هانم ، التى ستأتون إليها كل عام ، لتوزِّع عليكم أنصبتكم الشرعية .

والتمعت عيناه ، وهو يضيف :

ــ لو أنكم تريدونها ...

واحتضـــن والديه فى قـــوة حانية ، وهو يتطلَّع إلى الكل فى تحدٍّ ... « سبحان العاطى الوهَّاب ... »

قالها الحاج ( سعفان ) عمدة القرية ، وهو يقترب من سراى ( البنهاوى ) ، الذى تراصت أمامه سيارت الأسرة ، قبل أن يتنهَّد مستطردًا :

ــ عـــام وشهر مضيا ، على وفـــاة ( مفيد بك البنهاوى ) ، وها هى ذى عائلة ( البنهاوية ) تجتمع صاغرة أمام ( فاطمة ) ابنة ( عبد الحميد ) ، لتوزع عليهم أنصبتهم .

غمغم ( بسيونى ) فى حيرة :

ــ ولكننى سمعت يا حضرة العمدة ، أن ( مفيد ) بك رحمه الله ، قد ترك كل شىء لـــ ( طارق ) بك ، وليس لـــ ( فاطمة ) .

أومأ العمدة ( سعفان ) برأسه ، وهو يقول :

ــ و( طارق ) بك أراد أن يعوض أمه ، عما لاقته على يد ( البنهاوية ) من اضطهاد ، فجعل كل الأمور بيدها .



غمغم ( بسيونى ) فى دهشة :

ــ فى يد ( فاطمة ) .

ابتسم العمدة ، قائلاً :

ــ لم تعد ( فاطمة ) يا شيخ الخفر ... إنها الآن ( فاطمة ) هانم .

كانا يمران بمدخل السراى ، عندما ألقى العمدة نظرة على الشرفة الواسعة ، حيث جلس ( حافظ ) مبتسمًا ، وإلى جواره ( فاطمة ) مرفوعة الرأس ، وخلفهما ( طارق ) يضع راحتيه على كتفيهما فى صلابة ، فى حين يجلس البنهاوية كلهم أمامهم منخفضى الرءوس ، فى انتظار أنصبتهم من إيراد أرض ( البنهاوية ) ، فهز رأسه ، وهو يكرر مرة أخرى :

ــ سبحان الله .

وافقه شيخ الخفر ( بسيونى ) بإيماءة من رأسه ، وهو يضيف :

ــ أرزاق .

ثم جمعهما الصمت ، وهما يبتعدان عبر أرض ( البنهاوى ) عن السراى ...

ويبتعدان ...

ويبتعدان .

★ ★ ★

تمت بحمد الله



د. نبيل فاروق

11/1/015

# أرزاق
## ٤

- حافلة هى تلك الفترة التى حكم فيها ( السادات ) ( مصر ) ...
- وحافلة هى بالأحداث ، حياة عائلة ( البنهاوى ) ...
- صعود وتألق ، أم انكسار وانحسار ؟!
- انتصارات عظيمة أم هزائم منكرة ؟!
- أى مصير ينتظر كل فرد من أفراد ( البنهاوية ) ؟!
- تحت كل الظروف ، وفى كل الأحوال ، فالحياة كلها ... أرزاق .

الثمن فى مصر 7 جـ
وما يعادله بالدولار الامريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العربية الحديثة